
روضة
طالب العلم



اسم الكتاب: روضة طالب العلم

تأليف فضيلة الشيخ : عمر بن محمد بن صالح العمراني

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٩٩٧٩.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٧٦.

القياس: ١٧x٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / عادل المسلماني .

٢٠٢٠



دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥



تقديم فضيلة الشيخ
محمد بن محمد المهدي
عفا الله عنه

تقديم فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن إسماعيل العمراني
عفا الله عنه

إعداد
عمر بن محمد بن صالح العمراني
عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة
محمد بن إسماعيل العمراني

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُر الميامين، وعلى التابعين بإحسان لهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فهذا الكتاب (**روضة طالب العلم**) تأليف الشاب النشيط العالم الفاضل أبو البدر(عمر بن محمد بن صالح العمراني)،لمن أحسن الكتب التي أُخرجت للناس في هذا العصر، الذي كثر فيه الاختلاف والتفريق بين الناس، ولا سيما الشباب منهم والكهول، ففي هذا الكتاب رأب الصدع والحث على اجتماع كلمة المسلمين على كلمة التوحيد،وترك الخلافات والتنابز بالألقاب، وتوجيه كل فرد من أفراد الشباب والكهول نحو دينه، وما يجب عليه نحو أمته وترك ما يضره،والحث على ما ينفعه في الدنيا والآخرة .

فللَّهِ در مؤلفه وجزاه الله خيرًا، وزاد في الشباب والعلماء من أمثاله، وفي رجال اليمن من نظرائه ، ولا زال رمزًا للعالم العامل، ومثلاً من أمثلة الإخلاص في العلم .

وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

كتبه

محمد بن إسماعيل العمراني

عفا الله عنه

تقديم فضيلة الشيخ
محمد بن محمد المهدي

الحمد لله جعل العلماءَ وَرثَةُ الأنبياءِ في العلم والعَمَلِ، وهدايَةِ العِبَادِ إلى طريقِ الرَّشَادِ، الذي ينتهي بهم إلى دارِ السعادَةِ والخُلُود في النَّعِيْم المُقِيم، والتحذيْرِ من سُبلِ الضَلال التي يَصيرُ أصحابُهَا وسالكوها إلى العذابَ الدَّائم فيَ الجحيم، فقد فضَّلَ -سُبْحَانهُ- مَنْ أكرمَهُمْ بالعلم والقُدوةِ بقُبُول شهَادَتِهم مع شهَادَتِه وملائكته بأنهُ الإلَهُ المَعبودُ بحَقٍّ وحدَهُ، وهذه الشَّهَادَةُ هي أَعظمُ شهَادَةٍ على الإطْلاَق، فَدَلَّ ذلك على عدالتهم إذ لا تقبلُ في محكمةِ الشرع على قليل من الحُطام الفاني، إلا شهَادَةُ العُدول فكيف بالشهَادَة على وحدانيةِ الله في أُلوهيته ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران:١٨]، وأمر -سُبْحَانهُ- بسؤالهم فقال -تعالى-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [النحل:٤٣- الأنبياء:٧].

ويكفي العلماء أنهم أهل خشية الله -سبحانه وتعالى- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨]. وهم من أراد الله بهم خيرًا، كما فِي الصحيحين: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

أما بعد:

فقد أراني أخي في الله، الداعيةُ والمؤلفُ والباحثُ الشابُ ذو الهمم العاليةِ المحققُ عُمرُ بن محمدٍ العِمراني، جديدَ مؤلفاتِهِ، وهو الكتابَ

الموسوم بـ (**روضةُ طالبِ العلم**) [١].

وقد سبق لي أن اطلعت على مؤلفاتٍ أخرى للأخ المحبوب في الله، عُمرَ العمراني ، وقد وجدتُ أنه له سيرًا سريعًا نحوَ التأليفِ الذي يُعالجُ أمراضًا مُنتشرَةً في الأُمَّةِ ، ويضعُ الدواءَ بعد كشفِ الدَّاءِ .

والكتابُ روضةٌ كاسمِهِ، بلْ روْضات ، فالذي يعيشُ في هذه الروضة، إنما يتجولُ في التوحيدِ وفرضِهِ ، وفضلِ تحقِيْقِهِ ، وينتقلُ منه إلى روضةِ القُرْآنِ وآثارِ قراءَتِهِ مع التدبرِ ثم يذهبُ إلى حديقةِ السُّنَّةِ .

ثم ينتقلُ إلى عموم بعد خصوص من التَّفَكُّهِ والتلذذِ بالعِلْم الذي يشملُ الكتابَ السُّنَّةَ وآثَارَ السلفِ والكلامَ على العقيدةِ السليمةِ ، عَقيدَةِ السلفِ الصالِحِ، التي كان أهلُها بسبب معرفتهم بأسماءِ الله الحُسنى، وصفاتهِ العُلَى، وأفعالِهِ التي هي حكَمٌ يعلمُهَا فجعلهُم الله بتلك المعرفَةِ له محبينَ ومنهُ خائفينَ، ولأخبارِهِ مصدقينَ ،ولذلك توسطوا في العبادةِ وجمعوا بين

---

(١) الروضة كما قال العلماء هي: الموضع المعجب بالزهور ، ويقال نزلنا أرضاً (أَرِيضَةً) قيل سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة إليها أي لسكونها بها و (أَرَاضَ) الوادي و(اسْتَرَاضَ) إذا استنقع فيه . [المصباح ص ٢٤٥] .
(والروضة) من البقل والعنب والعشب ، وجمعها (روض) و(رياض) .
و (أراض) المكان و (أروض) أي كثرت رياضه . ويقال : افعل ذلك ما دامت النفس (مستريضة) أي متسعة طيبة . [مختار الصحاح ص ٢٦٣].
وقال الشيخ :عبد الرحمن السعدي-رحمه الله- في تفسير ﴿ رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ من سورة الشورى ما يلي:
« ﴿ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ أي: الروضات المضافة إلى الجنات، والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذ من المعاشرة والمنادمة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى إلا حسنا وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها ووِدادا » [تفسير السعدي المجلد٤ ص٤٢١، وراجع تفسير ابن عطية جـ١٢ ص ١٣٠ ، وابن كثير جـ٤ ص ١٤٣].

الرغبة والرهبةِ ، والخوفِ والرجاءِ ، ولانَتْ قلوبُهُم وخشعتْ جوارحُهُمْ وسالت الدُّمُوعُ من عيونهم ، لما عرفوا الوعْد والوعيدَ اشتغلوا بتكفير السيئات ، وسعوا إلى رفعِ الدرجات ، كما قال تعالى عنهم: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات :١٧-١٨]، وانطبق عليهم قولُهُ -تعالى- : ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلۡقَـٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران :١٧] .

والكتابُ روضةٌ اسماً ومعنى ، فهو روضةُ عِلْمٌ ،يتجولُ المُنْعَمُ في هاتيك الروضةِ بين معرفة العلم والعملِ ، وحُسنِ المُعتقدِ ، والثباتِ والتواضع وعُلوِ الهمَّة والحياءِ ، مع معرفتِه محمودِه ومذمومِه في بعض الحالات ، إذا منع صاحبُهُ من الوصولِ إلى الحق، والرفق، وما كان عليه النبي -ﷺ- من الرِّفْقِ بالأمَّةِ والخلقِ كلهم لأخذهم إلى الجنةِ، وإبعادهِم عن النَّار ، والحثِّ على عُلو الهِمَم ، وهكذا روضة ا لعلماء والطلاب ، فهم يتجولونَ بالتعرفِ على الرفقِ والعفوِ والصفح ، وحُسنِ الظَّن بالمسلمين ، وحُبِّ العُلماء والتواضع لهم والتقدير، ويرون في هذه الروضةِ الحثَّ على حفظِ الأسرارِ وصنائع المعروفِ، والبشاشةِ بالمسلمينَ، والشورى بين الأُمةِ والعدلِ في القولِ والفعْلِ مع القريب والبعيدِ ، وتوحيدِ الصُّفوف، وهو روضةٌ لتطبيقِ وتعلُّم مكارمِ الأخلاقِ .

إن ساكني هذه الروضةَ سيتعلَّمُونَ حبُّ العلم والعلماءِ،ويعرفونَ أقسامَ ومراتبَ الخلافِ وآدابه، والحُكم على المختلفينَ بالعدلِ بكلِّ أدب وحياءٍ، كما أن صاحبَ هذه الرَّوضة الشامخة ، قد علَّمَنا -بارَكَ الله فيه- أنَّ السلفَ الصالحَ -رضي الله عنهم- ذَمُّوا الجدَلَ بالباطلِ، واتباعِ الباطِلِ .

كما أن فيه تحذيْرًا من حُبِّ الترأْسِ والشُّهرةِ، وأن السلفَ كانوا يحذرونَ من ذلك ويكرهونهُ .

وهكذا الإعجابُ داءٌ قاتِلٌ، يجبُ الاستعاذةُ باللهِ منهُ، وحذَّرَ مؤلفَ الروضةِ من اتباع الأهواء والتحزُّبِ الأعمى والتعصبِ لِأَي قولٍ قِيْلَ، ولا يجب التسليمُ مطلقًا إلَّا لله -سبحانهُ وتعالى- ورسولِهِ -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وأما أئمةِ المسلمين فيُؤخذُ منهم ويُردُ ، مع حبِّهم والدعاء لهم لأنهم أرادوا خيرًا.

وكذلك تجدُ في الروضةِ الذَّمَّ للتقليْدِ مع التفصيْلِ في ذلك ، إذ خلاصَتُهُ أخذُ من ليس قولُهُ حجةٌ بغَيْرِ حجة .

والغُلوُّ مذْمُومٌ كما أوضحَ المؤلفُ ويقابلُهُ الفتورُ والإرجاءُ، وكلا طرفي قصدِ الأمورِ ذمِيْمٌ .

و في الروضةِ الحديثُ عن الوَلاءِ والبراءِ ، وأن الناس فيه ثلاثَةٌ أقسام ، من يُوالي مطلقًا وهـم الرُّسُلُ وأتباعهـم، ومن يُعادى مطلقًا وهم الكفَّارُ، ومن يُوالى ويُعادى، وهو المؤمنُ الذي خَلطَ عملاً صالحًا وآخرَ سَيْئًا، ونقل تلك الأقْوال عن أئمةِ المسلمين ، كشيخ الإسلام ابن تيميةِ وغيْرِه.

كما أن المؤلفَ تكلم عن الهجرِ في اللهِ، وأفادَ وأجادَ في ضوابطِهِ ومقاصِدِهِ وحدودِهِ ، بما يشفي بعيدًا عن الذين لا يهجرونَ، ولو كافرًا عدوًا لدودًا للمسلمين ، ومن يهجرونَ كلَّ من خالفهم ولو مؤمنًا عالمًا مصيْبًا، وغير ذلك من ثمرات وفوائدِ هذا الكتابِ القيِّم ، الذي جمعهُ الأخ عُمرُ العِمراني، من مصادِرَ متعددةٍ ، ومما فتح اللهُ عليه ، وأعجبني المؤَلِّفُ

-وفقه اللهُ- حيثُ يُوردُ في الغالب في كلِّ بحثٍ من بحوثِ روضَتِه الآياتُ القُرْآنية ، والأحاديثُ النبويَّة والآثارُ السلفية ،والأشعارُ والحِكمُ المنثورةُ ، فكانت مواضيعُ رَوضَةِ العُلماءِ وطلابِ العِلْمِ مفيدةٌ جدًا،وفقنا الله لما يحبُّهُ ويرضاهُ ، نفع بهذا الكتابِ ومُؤَلِّفُهُ .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ،وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسَلَّمَ.

وكتبه
محمَّد بن محمَّد المهدي
عفا اللهُ عنهُ

فاتحة الكتاب

الحمد لله الأجل الأكرم ، الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم، بارئ النسم وخالق الخلق من عدم ، نجى نوحًا في السفينة من الغرق ، الذي عم وسلَّم موسى من طغيان فرعون ونجاه من اليم .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، لا يخيب من قصد بابه وأَمَّ وآمن وأسلم ، وانقاد واستسلم ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، البدر جبينه ، واليم يمينه ، والحنفية دينه ، هدى الله به وشفى من كان في الضلالة على شفا، قاد الأمة الحائرة في بيداء السماوة ، وسمى بها إلى السماء ، وفك أسر عقولها وجهلها بوحي ما أوحى ، ذي الجلال والعلا ، صلى الله على النبي المصطفى والرسول المجتبى ـ ﷺ ـ ، وعلى آله أولي العلم والنهى ، وأصحابه أهل الحلم والتقى ، ومن على نهجهم سار واهتدى من سلف هذه الأمة وخلفها ، ممن جاهد وضحى .

ثم أما بعد :

فإن خير الكلام كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ـ ﷺ ـ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن مقارنة يجريها المنصف بين أمتنا في سابق عهدها ، وهي مطوية في بطون الأرض والكتب ، وبين هذه الأمة التي تدب في حاضرها اليوم

على وجه الأرض ، يجد الفرق شاسعًا والبون واسعًا ، وأوجه الشبه تكاد تكون مفقودة مع وجود الاشتراك في النسب والاسم .

أمة تردت في جميع ميادين حياتها سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا - إلا من رحم ربك - ، وانتج هذا الواقع المؤسف لفيفًا من الأحزاب المتباعدة ، والفرق المتباغضة المتدابرة، فتفرقت الأمة أيدي سبأ شذر مذر .

ومع ذا فلا يأس ، فالفجر يولد رغم أشباح الظلام ، والشمس تشرق رغم أطباق القطام .

لا يـأس إن أظلمت فستنجلي   وكمثل مـا حملت تضـــع

إشتـــدي أزمـــة إشتـدي   قــد آذن ليلك بالبلـــج

مازال أملنا قائمًا بالله ، ثم بطلاب العلم الشرعي ، شباب الصحوة وجيل الوحي ، الذي قد نهل وعب من النبع الصافي ، وتنقل به للمراقي، فهم أمل الأمة وعقولها وقوادها وروادها في حاضرها ومستقبلها ، وأعدآء الإسلام يحسبون لهذه الطائفة ألف حساب ، ويترصدون لهذا الجيل في كل ناحية وباب .

ومع أملنا المناط بهذا الجيل في إنارة الدرب ، وإعادة المياه إلى مجاريها، إلا أنه قد حصل مؤخرًا شئ من التآكل عند البعض ، وذلك بانشغال بعضهم ببعض ، ودب شئ من الخلاف وسُلِبُوا العدل والإنصاف ، وضخموا الأخطآء ، ولم يصححوا ، وفضحوا ولم ينصحوا ، وبالجدال والإفتآء والجرح والتعديل أولعوا ؛ بل أدمنوا ، وتزكية الأنفس وترقيق

القلوب أهملوا ، ونطقت أفواههم تهذي بما تؤذي فضعفوا .

حينئذ تسارعت الفتن أوساطهم كقطع الليل ، يرقق بعضها بعضًا وأصبحوا يدورون في حلقة مفرغة ، لا يُدْرَى أولها من آخرها .

وبإذن الله – ما ذلك كله إلا كبوة من جواد، وسحابة صيف عما قريب تنقشع ،وطائف من الشيطان مسَّهم تذكروا ، فإذا هم مبصرون .

فلهذا وذاك كان هذا الكتاب المعنون له بـ **(روضة طالب العلم)**

قطفت فيه من كل بستان زهرة ، ومن كل روضة ثمرة ، ومن كل أرض ذرة ، على قدر الطاقة أزف زهوره ، ووروده ، أخلاقه ، وبنوده، لطلاب العلم الشرعي خاصة ولغيرهم من المسلمين عامة ، راجيًا من الجميع أن يرعوه حق الرعاية، ويفهموه حق الفَهم ، فلعلهم يجدون فيه بغيتهم المقصودة ، وضالتهم المنشودة، التي تجبر الكسر ، وتضمد الجرح، وتسد الخلل ، وتحرق سُعاة التحريش والفتن ، فيصيروا رمادًا بعد لهب – بإذن الواحد الأحد – .

ولقد حوى هذا الكتاب خمسة كتب كل كتاب فيه يشمل عدة أبواب :

فالكتاب الأول منه : كتاب العقا ئد .

والكتاب الثاني :– كتاب العلـــم.

والكتاب الثالث :– كتاب الأخـلاق .

والكتاب الرابع :– كتاب الرقــائـق .

والكتاب الخامس :– كتاب المحاذ ير .

ولقد حرصت جهدي واستفرغت وسعي في حشد ما رأيته كافيًا من أدلة الكتاب والسُّنَّة ، والأقوال المأثورة عن سلف الأمة ، وذلك لعلمي أن منهج طالب العلم متين أصيل قوي رصين ، لا يَقبل إلَّا على قاعدة : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١١١] .

وقاعدة : من أين لك هذا ، فالدليل رائده ،والحق قائده ،ففعلت ما رأيته كافيا من الأدلة ،حتى يستبين لطالب العلم الرشد وسواء الصراط، فلا ينحرف يمنة ولا يسرة ،إذ تجاوز طريق السلف إفراطًا أوتفريطًا هلكة وأي هلكة ؟ .

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

والله أسأل أن يلهمني السداد في القول، والإخلاص في العمل ، وأن يضع لهذا الكتاب وسآئر مؤلفاتي القبول في الأرض، وأن يتقبلها مني بقبول حسن ، نصرة لدينه ، ويدخر لي ثوابها إلى يوم لقائه ،يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه سميع عليم .

وأرجوا من كل أخ غيور ناصح أمين وجد ما يوجب النصح ؛ أن يسارع إلى تذكيري بالتي هي أحسن، للتي هي أقوم .

وأبرأ إلى الله من كل أمر خالف كتابه وسُنَّة نبيه ، وراجع عن ذلك في حياتي وبعد مماتي .

وماذاك مني بل من الله وحده بفتح وإمداد وفضل ونعمة

فإن أكُ فيها مخطئًا أو مغالطًا فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي

أتوب إلى الرحمـن من كل خطئة وأستغفر الرحمن لي ولإخوتـــي
وأسألـــه جل اسمـــه بصفاته وأسمائه الحسنـى قبـول كتيبي

وكتبه

أبو البدر

عمر بن محمد بن صالح العمراني

غفر الله له ولوالديه ولذويه ولجميع المسلمين

اليمن - إب - مديرية ذي السفال



الكتاب الأول
كتـــاب العقـــائد

باب
العناية بالتوحيـد

إن العناية بالتوحيد علماً وعملاً ، واعتقادًا ودعوةً ، من أوجب الواجبات وأهم المهمات ، كيف لا ؟، وهو أس العلوم ورأسها ، بل هو أشرف العلوم على الإطلاق ، يكتسب هذا الشرف بشرف المعلوم، ويعد الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع ، فحاجة العباد إليه فوق كل حاجة وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ، فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه ، ويكون سعيها فيما يقرب إليه دون غيره من سائر خلقه .

أما ضعف العناية بالتوحيد ، وجعله من الثانويات والإنشغال عنه بغيره، وجعله عائقًا أمام وحدة الشعوب - في زعمهم -من الخطأ الواضح والجهل الفاضح - فأمة بلا توحيد لله ، أمة غثاء ، لا تنفع ولا ترفع ، فقدت كل مقومات الحياة السعيدة ، ودعوة بلا توحيد دعوة خامدة ، سيرها عناء، وعملها هباء ، ونتيجتها الفشل والسقوط- عافانا الله من البلاء - .

معنى التـــوحيـــد

التوحيد : هو إفراد الله فيما يختص به [(١)] أو هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية ، وكمال الأسماء والصفات [(٢)] ، وبناءً على هذا التعريف تبين لنا أن التوحيد ثلاثـة أنواع :

الأول :- توحيد الألوهية : [(٣)]

وهو إفراد الله– تعالى – بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع، كالدعاء والنذر والذبح والتوكل و... » [(٤)] ، وهذا النوع من التوحيد هو موضوع وخلاصة دعوة الأنبياء والرسل أجمعين، قال الله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل : ٣٦] ، وقال –أيضًا – : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنبياء: ٢٥] ، وقام بتنفيذ هذه الرسالة جميعهم ، ففتحوا به آذانا صما ، وأعينًا عميًا ، وقلوبًا غلفاً، ولأجل هذا النوع من التوحيد أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وشرعت الشرآئع، ونصبت الموازين، ووضعت الدواوين ، وانقسمت الخليقة إلى كفار ومؤمنين ، وعليه نصبت القبلة ، وأسست الملة ، ولأجله جردت سيوف الجهاد ، وهو حق الله على العبيد ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

(١) شرح الأصول الثلاثة (ص ٢٥)،فتاوى الحرم المكي (ص ٥)
(٢) التوحيد للناشئة والمتبتدئين (ص١٩)،عقيدة التوحيد (ص١٦)نحوه.
(٣) الألوهية تعني العبودية .
(٤) عقيدة التوحيد (ص٣٦)، العقيدة الإسلامية (ص١٤)

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] [(١)] .

الثاني -توحيد الربوبية :

وهو إفراد الله تعالى بأفعاله [(٢)]، كالخلق والملك، والرزق والتدبير وغير ذلك، وهذا النوع من التوحيد قد فطر الله جميع الخلق على الإقرار به، حتى عبدة الأوثان يقرون بتفرده -سبحانه- بالربوبية، كما أخبر عنهم في كتابه الكريم ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الرب هو فرعون، ومع ذا فقد كان مستيقنًا به في الباطن، كما قال له موسى في قول الله: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وقال الله مخبرًا عنه وعن قومه: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وقل مثله في الملاحدة والدهريين والشيوعيين وغيرهم .

فـوا عجبًا كيف يعصى الإله	أم كيف يجحده الجاحـــد
وفـــي كـل شـئ لــه آيـــة	تـــدل عــلى أنــه الواحـــد

الثالـث :- توحيد الأسماء والصفـات :

وهو إفراد الله -سبحانه- بما سَمَّى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله -ﷺ- وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل . [(٣)]

(١) زاد المعاد (١/ ٩)مختصرًا .
(٢) التوحيد للناشئة والمبتدئين (ص١٩)، عقيدة التوحيد (ص١٦) .
(٣) فتاوى الحرم المكي ص٨ .

ولقد ضل في هذا النوع من التوحيد طآئفتان :

المعطلة : وهم الذين ينكرون الأسماء والصفات أو بعضها ، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة . (١)

الممثلة:وهم الذين أثبتوا الأسماء والصفات، مع تشبيه الله بخلقه، أما أهل السُّنَّة –وبحمد الله– فيثبتون لله من الأسماء والصفات ،ما أثبته لنفسه في كتابه ،أو على لسان رسوله،من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تمثيل ،قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

قال ابن القيم – رحمه الله –:

أسماؤه أوصاف مدح كلها ... مشتقة قد حملت لمعان

إياك والإلحاد فيها إنه ... كفر معاذ الله من كفران

وحقيقة الإلحاد فيها الميل ... بالإشراك والتعطيل والكفران

واعلم أيها الطالب–حفظك الله – : أن جميع من ضل في هذا النوع من التوحيد أو عجز عن معرفة الحق فيه إجمالاً ، إنما هو لتفريطه أو إهماله.

وعليه فإن معرفة المعبود – سبحانه – بأسمائه وصفاته وأفعاله المعرفة الإجمالية فرض عين، بينما معرفتها على التفصيل ففرض على الكفاية. والله أعلم .

حي عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذاك السمع والبصر

(١) الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان وهؤلاء ينكرون الأسماء والصفات جميعًا .
المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الإمام الحسن البصري وهذه الطائفة تثبت الأسماء وتنكر الصفات فيقولون عليم بلا علم ،سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ، وهكذا .
الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى مذهب أهل السُّنَّة ولم يرجعوا إلى ما رجع إليه وبالتالي فانتسابهم إليه غير صحيح وهؤلآء يثبتون الأسماء وسبع صفات فقط وهي حيٌ عليمٌ قديرٌ والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر .

ثمار التوحيد :

للتوحيد ثمار كثيرة منها :

١ – السعادة القلبية والحياة الطيبة.

٢ –الثبات على الحق .

٣ –النصر والعز .

٤ – الإستخلاف والتمكين .

٥ – الأمن .

٦ – النجاة من عذاب الله.

٧ – الخير والبركات .

وقد حكى الله هذه الثمار وغيرها كثيرةٌ مجملًا في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ [إبراهيم : ٢٤– ٢٥] .

قال أكثر المفسرين –رحمهم الله– : أن المراد بالكلمة في الآية هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، والمراد بأُكلها : ثمارها .

فيا أيها الطالب : إن تعلم العقيدة الصحيحة وغرسها في قلوبنا وأفئدة شبابنا ، والإنخلاع من كل ما ينقضها أو ينقصها من شرك أو رياء أو نحوهما ، كفيل بتحقيق ثمارها المرجوة ، وذلك وعد الله ولن يخلف الله وعده .

فالله الله في العقيدة الصحيحة المتمثلة بعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وهي عقيدة الأنبياء والمرسلين ، ومن سار على نهجهم من الدعاة والمصلحين.

فإنها – والله – الركن الأقوم التي لا تقهر وإن كاد بها من في السماوات والأرض .

هتف الزمان مهللًا ومكبرًا ... إن العقيدة قــوة لن تقهرا
هي ســر نهضتنا ورمز جهادنا ... وبهــا تبلج حقنا وتــنــورا

وقال أخر:

إن العقيدة في قلوب رجالها ... من ذر ة أقوى وألف مهند

ويالالأسف حين نجد اليوم الكثير من المسلمين قد أغفلوا وأهملوا مصدر قوتهم وعقيدتهم ، وركنوا إلى أنفسهم ومادياتهم وسياساتهم ، وهذا واقع مشاهد على مستوى الأفراد والجماعات .

فلا تغتر – أخي الطالب – بمن اهتموا بالتسييس وأهملوا التأسيس ، فإنه سراب خادع .

لعمري إن هذا الداء قد وقع في شباكه كثير من الأفراد والجماعات، وصار منهجًا يدرس لدى أهل التحزب والجماعات، والحق أن التأسيس قبل التسييس .

لا يـصـنـع الأبــطــال إلا ... في مــســاجـدنــا الــفــسـاح
في روضـــة الــقـــرآن في ... ضـل الأحــاديــث الصحاح
شــعـــبٌ بـغـير عـقـيـدةٍ ... ورق تــذريــه الــريــاح
من خــان حي على الصــلاة ... يخــون حــي عــلى الكفــاح

فشد أيها الطالب وثاقك وأسس بنيانك واختر قرينك واعلم : أن خير

جليسٍ في الزمان كتاب .

وإليك جملة من مصادر العقيدة الصحيحة :

(١) القرآن الكـــــريم.

(٢) السُّنَّة الصحيحة.

(٣) شرح الطحاويـــة لابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - .

(٤) شرح الواسطية لابن عثيمين - رحمه الله -.

(٥) كتب العقيدة الثلاثة [(١)] للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي - رحمه الله - .

وبعدها أدع إلى المعتقد الصحيح مجتمعك ومن حولك ، بقلمك ولسانك وفعالك ، فمنها المبتدأ وإليها المنتهى ، واعمل جاهدًا على تخليصهم من كل ما يقدح في عقائدهم من شركيات، وعادات وأوهام وخرافات،إذ الإنحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع ،والفرد بلا عقيدة صحيحة، عُرضة للضياع وفريسة للشكوك والأوهام التي ربما تتراكم عليه فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لطريق السعادة، وبالتالي تضييق عليه حياته التي قد تصل به إلى محاولة التخلص منها ولو بالإنتحار، وواقع أهل الحيرة والكلام خير دليل وأعظم برهان .

ولست هنا ممن يتغنى بالعقيدة بالأقوال أو يتمسح بها كشعار ، وإنما المراد غرسها في الأفئدة حتى تصير حقيقة ثابته ومنهجا سديدا ينهجه المسلمون إذ :

(١) وهي كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، الأصول الثلاثة . كشف الشبهات .

ليس من يجعل العقيدة نهجًا   كـالـذي ينتمي إليها شعاراً

فكأني بطالب العلم بعد هذا المشوار المختصر ، قد عزم وصمم أن يهتم بعقيدة التوحيد علماً وعملًا وإعتقادًا ، لسان حاله :

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي   ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي

وإنما اعتاض شعري غير صبغتـه   والشيب في الشعر غير الشيب في الهمم



باب
العناية بالقرآن الكريم

معنى القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله -تعالى- لفظًا ومعنى ، منزل غير مخلوق على رسوله -ﷺ- بواسطة جبريل -عليه السلام- ، بلسان عربي مبين، منه بدأ وإليه يعود [١].

ولقد اقتضت حكمته - تعالى - في هذا الكتاب المفضل أن يكون نزوله في أعظم الأزمان، وأشرف الشهور ، وأفضل الليال ، وكان نزوله على خيرة الخلق محمد -ﷺ- بواسطة سيد الملائكة جبريل -عليه السلام- ، فكل هذه الخصال والخلال ما علم أنها اجتمعت في كتاب قبله ، فلذا كان أفضلها وناسخًا لها ومهيمنًا عليها .

قال الله تعالى :- ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

الله أكبر إن دين محمد   وصراطه أقوى وأقوم قيلًا
لا تذكر الكتب السوالف قبله   طلع الصباح فأطفئ القنديلا

إي - وربي - إنه النجم الساطع والصبح الشارق الذي اجتمعت فيه مجامع المحامد والفضائل .

(١) أنظر العقيدة الطحاوية (ص١٢) ، شرح لمعة الإعتقاد (ص ٥٥) ، وأعلام السُّنَّة المنشورة (ص٥٣) .

فمن فضائله :

١- قراءة الحرف منه بحسنه إلى أضعاف مضاعفه : عَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ** ﴿الٓمٓ﴾ **حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**». رواه الترمذي وصححه الألباني في الجامع الصغير برقم (٦٤٦٩) .

٢-الماهر به مع السفرة الكرام البررة : عنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ الله عَنْهَا- قَالَتْ قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- : « **الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**» متفق عليه .

٣- حافظ القرآن المهتم به يرتقي في الجنان : جاء عند أحمد والترمذي وصححه الألباني من حديث عَبْد الله بْنِ عَمْرو -رَضِيَ الله عَنْهُمَا-عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -قَالَ: « **يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَأُهَا**» .

٤- معلم القرآن ومتعلمه من أفضل الناس روى البخاري من حديث عُثْمَانَ -رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** » .

٥- القرآن يطلب المزيد من النعيم لصاحبه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ حَلِّه فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً** ». رواه الترمذي وقال حديث حسن.

٦- يأتي يوم القيامة يحا ج عن صاحبه جاء عند مسلم من حديث النَوَّاس بْنِ سَمْعَانَ -رَضِيَ الله عَنْهُ-قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :« **يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا** » رواه مسلم.

٧- شفيع لأصحابه فعن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَقُولُ : « **اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ** » ، رواه مسلم .

٨- أهله هم أهل الله وخاصته ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ** »، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، مَنْ هُمْ ؟، قَالَ : « **هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ** » رواه أحمد وابن ماجة وصححه الألباني .

٩- إنه سهلٌ ميسر قال الله -تعالى- : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧** ﴾ [القمر : ١٧] .

١٠- إنه هدىً وشفاء قال الله تعالى :﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ** ﴾ [فصلت : ٤٤] .

١١- أنه معجز : والإعجاز فيه ثلاثة أنواع :

أ - الإعجاز البلاغي (البيانـي) :

لقد عرف العرب في الجاهلية بالفصاحة والبيان وكانت لهم أسواق يتبارون فيها بشعرهم ونثر هم فلما نزل القرآن وطرق مسامعهم أدركوا أنه فوق ما يدركون وذلك لأنه يتميز بفصاحته وسهولة أسلوبه ووضوح

معانيه وهذا هو الذي جعل الوليد بن المغيرة يقول فيه رغم كفره : (لقد سمعت من محمد كلامًا ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، والله إن له لحلاوةٌ ، وإن عليه لطلاوةٌ ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلوا وما يعلى عليه) [1].

ب- الإعجاز التشريعي :

فهو معجزة تشريعية بما احتواه من نظم وأحكام وهذه المعجزة ظاهرة في خلوة من التعارض والإختلاف وصلاح أحكامه وتشريعاته لكل زمان ومكان وحفظه من التغيير والتبديل والتحريف قال الله- تعالى-: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر : ٩] .

ج- الإعجاز العلمي :

فهو معجز بما احتوى من علوم وحقائق كلما تقدم به الزمان .

تنبيه هام :وهذا الإعجاز قد اقحم كثير من الناس أنفسهم فيه، فأساؤا وما أحسنوا يظهر ذلك بخلطهم العجيب وتأويلهم البعيد .

وعليه فلا يؤخذ من الإعجاز العلمي إلا ما ثبت حقيقته (١٠٠٪)، أما ما دون ذلك فلا يقبل لأن فيه إساءةً لكلام الله ، وإذهابًا لمعانية الإجمالية وحصرها في تلك التفسيرات العلمية ، فانتبه وفقك الله .

أخي طالب العلم تلك هي طائفة من فضائل القرآن الكريم فياليت شعري هل عقدت العزم على العناية به أم لا ؟ .

---

(١) مباحث في علوم القرآن (ص٢٦٧).

قال الشاعر شوقي –رحمة الله عليه– :

دعني ووصفي آيات له ظهرت ... ظهور نار القرى ليلًا على علم
فالدر يزداد حسنًا وهو منتظم ... وليس ينقص قدرا غير منتظم
دامت لدينا ففاقت كل معجزةٍ ... من النبيين إذ جاءت ولم تدُم
لها معانٍ كموج البحر في مدد ... وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تُسام على الإكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له ... لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
إن تتلها خيفةً من حر نار لظى ... أطفأت حر لظى من وردها الشَّبِم

ثم وأنت – أيها الطالب – تتلوا هذا الكتاب العزيز، ينبغي أن تراعي آدابه فمن آدابه :

١ – الإخلاص في قراءته : إذ الرياء من محبطات الأعمال وقارئ القرآن رياء من الثلاثة الذين تسعر بهم نار جهنم – عياذًا بالله –، جاء عند مسلم وأحمد والنسائي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ الله عَنْهُ– قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: « **إِنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ : ... قَالَ : تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ إِنَّكَ عَالِمٌ، وَقَدْ قِيلَ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ** ».

٢– التهيأ بما يليق بكتاب الله –سبحانه وتعالى–: من تنظيف للفم واليدين –والتجمل والتطيب –واختيار المكان الذي لا يشغلك عن تدبره.

٣- الإستعاذة والبسملة : لقول الله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل : ٩٨] ، وعند بداية السورة أضف البسملة بعد الإستعاذة لما فيها من الخير والبركة .

٤- تحسين الصوت : لقول الله : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤] ، وقوله -سبحانه-: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة : ١٦-١٧] ، وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:« **زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا** » ، رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم [٣٥٨١]، وعند الدرامي بلفظ :«**حَسِّنُوا الْقُرْآنَ**» صححه الألباني في صحيح الجامع [٣١٤] وسمع- عليه الصلاة والسلام- يومًا أبا موسى الأشعري يقرأ بصوت جميل متخشع فقال له : « **يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ** » رواه البخاري .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقدم الشاب الحسن الصوت بين يدي القوم [١] .

٥-الإنصات : لقول الله -تعالى- : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

٦ـ التدبر والبكاء : والتدبر يعني : تحديق القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تعقله ، والتدبر مع العمل هما المقصود من إنزاله ، قال ابن القيم -رحمه الله -: (التأمل في القرآن هو تحديق القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله ، وهو المقصود بإنزاله ، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا

---

(١) فتح الباري(١٠/ ١١٤) .

تدبر) [١]، وقال الحسن -رحمه الله- : (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً فليس شيئ أنفع للعبد في معاشه ومعاده أقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل فيه) [٢]، قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩] ،وقال: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨] ،فهذا سيد الخلق - ﷺ - وأتقاهم لله وأخشاهم له ، كان عند قراءته للقرآن « يُسمع لصدره أزيزٌ كأزيزِ المرجل [٣]، من البكاء » ، رواه أحمد وصححه الألباني في المشكاة (١/ ٣١٦) .

عَن ابْنِ مَسْعُود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **اقْرَأْ عَلَيَّ** » . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ. قَالَ : « **نَعَمْ** » . قَالَ : فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَة : ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ ﴾[النساء آية ٤١] .قَالَ : « **حَسْبُكَ الآنَ** » . فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. رواه البخاري ، وروى البخاري ومسلم عن عبدَ الله ابن مغفل -رضي الله عنه- قال : «رأيت رسول الله -ﷺ- يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قرآءته ».

وقال ابن القيم -رحمه الله -:«وكان -ﷺ-يقطع قراءته آية آية»[٤] ، وهو القائل - ﷺ - : « **لا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ** » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ، وصححه الألباني من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وهذه كانت عادة السلف من بعد رسول الله -ﷺ-

---

(١) الفوائد (ص: ٢٧) الهامش .
(٢) المرجع السابق .
(٣) القدر الذي يفور بالماء .
(٤) زاد المعاد (١/ ١٩٢) .

عند قراءتهم لكتاب الله، فهذا ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول : (لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله) .

وَ جَاءَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ نَهِيكُ بْنُ سِنَان إِلَى عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُود –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فَقَالَ قَالَ: إِنِّي لأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَة ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: « هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ ، فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ » رواه البخاري ومسلم .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُود –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ : « لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ [١]، وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ ، وَلا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ » [٢].

ولقد كان يردد أحدهم الآية إلى الصباح وأسوتهم رسول الله – ﷺ– روى أبو ذر –رضي الله عنه– أن النبي – ﷺ – قام بآية يرددها حتى أصبح ، والآية ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة : ١١٨] رواه الحاكم والنسائي وابن ماجة.

وبالجملة اعلم –أيها الطالب – أنه : (لا شيئ أنفع للقلب من قرآءة القرآن بالتدبر والتفكر ، فإنه جامع لجميع منازل السائرين ، وأحوال العاملين ، ومقامات العارفين ، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة ، والتوكل والرضا ، والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله ، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة ، التي بها فساد القلب وهلاكه ، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر ، لا شتغلوا بها عن كل ما سواه فإذا قرأه بتفكر حتى

(١) الدقل : رديء التمر .
(٢) المختار في شهر رمضان (ص ٥٤) .

مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه ، كررها ولو مائة ولو ليلة فقرآءة آية بتفكر خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن .[١]

٧- العمل بمقتضاه : يجب العمل بالقرآن الكريم جملةً وتفصيلًا ، فلقد كان أصحاب رسول الله - ﷺ - لا يتجاوز الواحد منهم العشر الآيات حتى يتدبرها ويعمل بمقتضاها ، وهكذا جمعوا بين العلم والعمل، فلله درهم وعلى الله أجرهم ورضي الله عنهم ، وليعلم أن أعظم أسباب المقت ترك العمل بالعلم، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف : ٢-٣] .

إلى غيرها من الآداب التي تحمل بعضها على الوجوب ، وأخرى على الإستحباب ، فينبغي على كل مسلم لا سيما طلبة العلم منهم المحافظة على كتاب الله ، وتعاهد ما حفظ منه فإنه سريع التفلت ، جاء عند البخاري ومسلم من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُو أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ مِنْ عَقْلِهَا** » .

وعَنْ عَبْد الله بْن مَسْعُود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، قَالَ : « يَنْبَغي لِحَامل الْقُرْآن أَنْ يُعْرَفَ بلَيْله إذَا النَّاسُ نَائمُونَ ، وَبنَهَاره إذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ ، وَبحُزْنه إذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَببُكَائه إذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ، وَبِصَمْته إِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ ، وَبِخُشُوعِه إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ» .[٢]

(١) الفوائد (ص ٢٣) الهامش .
(٢) المختار في شهر رمضان (ص ١٢٥) .

وعن الفضيل قال: « حَاملُ الْقُرْآن حَاملُ رَايَةِ الإسْلام، لا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَلْغُوَ، مَعَ مَنْ يَلْغُو، وَلا أَنْ يَلْهُوَ مَعَ مَنْ يَلْهُو، وَلا يَسْهُوُ مَعَ مَنْ يَسْهُو، وَيَنْبَغي لِحَامِلِ الْقُرْآن أَنْ لا يَكُونَ لَهُ إِلَى الْخَلْق حَاجَةٌ، لا إِلَى الْخُلَفَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَوَائِجُ الْخَلْق إِلَيْهِ » . [1]

فاحرص أيها الطالب على قرآة القرآن، واحذر هجره .

واعلم أن الهجر أنواع عديدة كما ذكر ذلك ابن القيم – رحمه الله–:

(١) هجر سماعه، والإيمان به ، والإ صغاء إليه.

(٢) هجر العمل به ،والوقوف عند حلاله وحرامه .

(٣) هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

(٤) هجر تدبره وتفهمه .

(٥) هجر الإستشفاء والتداوي به » . [2]

قال الامام القحطاني – رحمه الله– :

يـا مـنـزل الآيــات والفرقان ... بيني وبينك حرمة القـرآن

اشرح به صدري لمعرفة الهدى ... واعصم به قلبي من الشيطان

يـسر بـه أمـــري وقـض مـآ ربي ... وأجر به جسدي من النيـــران

واحطط به وزري وأخلص نيتي ... واشـدد به أزري وأصلح شاني

واكشف به ضري وحقق توبتي ... واربـــح بـه بيعى بـلا خـسران

طهر به قلبي وصف سريرتي ... أجمـل به ذكـري وأعـل مكاني

(١) المختار في شهر رمضان (ص ١٢٥).

(٢) الفوائد (ص ١٢٠ : ١٢١) مختصرًا .

واقطع به طمعي وشرف همتي كثر به ورعي وأحي جناني
أسهر به ليلي وأظم جوارحي أسبل بفيض دموعها أجفاني
أمزجه يارب بلحمي مع دمي وأغسل به قلبي من الأضغان

اللهم آآمين .



باب
العناية بالسُّنَّة



معنى السُّنَّة :

السُّنَّة لغـة :- العادة والطريقة والسيرة .

إصطلاحـًا :ما ثبت عن الرسول -ﷺ- من قول أو فعل أو تقرير .[١]

أقسامها من حيث النوع :

من خلال ما سبق بيانه من التعريف الإصطلاحي للسُنَّة ، نجد أنها ثلاثة أقسام :

سُنَّة قولية : أحاديثه -ﷺ- التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات.

سُنَّة فعلية : أفعاله -ﷺ-التي نقلها إلينا الصحابة -رضي الله عنهم - .

سُنَّة تقريرية : ما أقره -ﷺ- بسكوت أو موافقة وعدم إنكار .

أقسامها من حيث الحكم :

سُنَّة مؤكدة : وهي ما واظب عليها النبي -ﷺ- ولم يتركها في حضره ولا في سفره وإن فاتته قضاها .[٢]

سُنَّة غير مؤكدة : هي التي لم يواظب عليها النبي -ﷺ- دائمًا وإن فاتته لم يقضها وكان ربما فعلها أحيانا وتركها أحيانا أخرى .[٣]

(١) انظر مصطلح الحديث ورجاله (ص:١٩) إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسُّنَّة (ص٥١) .
(٢) مصطلح الحديث ورجاله (ص ١٨/ ١٩) .
(٣) مصطلح الحديث ورجاله (ص ١٨/ ١٩) .

مكانة السُّنَّة النبوية ووجوب اتباعها :

أجمع المسلمون على أن السُّنَّة الصحيحة التي يقصد منها التشريع والإقتداء تعد المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم [١] ، وبالتالي فاتباعها واجب والأدلة والحجج على ذلك كثيرة ومتناثرة من ذلك : قول الله تعالى :﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٤] .

وقوله :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر : ٧]، والآية وإن كان لها سبب خاص فإن:«العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» ، ومن السُّنَّة ما جاء في صَحيح البُخاري [٢] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى** » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟، **قَالَ** : «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى** » ، وقال -ﷺ- : « **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** » رواه الترمذي وأحمد ، وصححه الألباني من حديث العرباض ابن سارية -رضي الله عنه - ، وجاء عند مسلم من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «**فمنْ رغِب عَنْ سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّى**» وقال -ﷺ- :«**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** » رواهُ أبو داود وصححه الألباني رقم (٣٨٤٨)

حال السلف مع السُّنَّة :

وإليك أخي -طالب العلم- طائفة من أفعال وأقوال السلف الصالح،

---

(١) (صحيح) رواه البخاري كتاب «الاعتصام بالكتاب والسُّنة» (٩٨٨٦) .
(٢) مصطلح الحديث ورجاله (ص ٢٠) للدكتور/ حسن الأهدل، والبيان المأمول من علم الأصول (ص٤١١) ، للشيخ / عبد الرحمن عبد الخالق .

التي تبين لكل ذي عينين حرصهم على التمسك بالسُّنَّة والدعوة إلى الإعتصام بها ، وأن مخالفتها ضلال وهلاك [١].

قال الزهري -رحمه الله- : « الإعتصام بالسُّنَّة نجاة » . [٢]

وهذا ابن مسعود - رضي الله عنه- رأى رجلًا يضحك في جنازة فقال : أتضحك مع الجنازة ؟ لا أكلمك أبدًا . [٣]

قال أحمد بن سنان : (كان لا يُتحدث في مجلس عبد الرحمن بن أبي ليلى، ولا يُبرى قلم ، ولا يبتسم أحد ، ولا يقوم أحد قائمًا كأن على رؤوسهم الطير ، أو كأنهم في صلاة ، فإذا رأى أحدًا منهم تبسم أو تحدث لبس نعله وخرج) . [٤]

وعن مجاهد قال كنا مع ابن عمر - رضي الله عنهما- في سفر فمر بمكان ، فحاد عنه فسُئل ولم فعلت ؟ ، قال : رأيت رسول الله -ﷺ- فعل هذا ففعلت) حديث صحيح رواه أحمد والبزار وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٤٤)

قال أبو عثمان الحيري : «من أمَّر السُّنَّة على نفسه قولًا وفعلًا ، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة ، قال تعالى :﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] . [٥]

قال أحمد بن حنبل : « من رد حديث رسول الله -ﷺ- ، فهو على شفا هلكة ».[٦]

---

(١) الاصول من علم الاصول (صـــ ٤٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٧)
(٣) المرجع السابق .
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠١-٢٠٢)
(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٣-٦٤).
(٦) المرجع السابق (١١/ ٢٩٧) .

قال الشافعي – رحمه الله – : (أجمع الناس على أن من استبانت له سُنَّة عن رسول الله – ﷺ – لم يكن ليدعها لقول أحدٍ من الناس) . (١)

وعن المروذي قال : قلت لأبي عبد الله : من مات على الإسلام والسُّنَّة مات على خير ؟ ، فقال : اسكت بل مات على الخير كله) . (٢)

قال ابن حزم –رحمه الله – : (من أراد خير الدنيا والآخرة ، وحكمة الدنيا وعدل السيرة والإحتواء على محاسن الأخلاق كلها ، واستحقاق الفضائل بأسرها ، فليقتد بمحمد – ﷺ – وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه ، أعاننا الله على الإتساء به بمنه آمين) . (٣)

فيا أيها الطالب ما ذكرته عن السلف –رحمهم الله – في هذا الباب قطرة من مطرة وغيضٌ من فيض ، ويكفي من القلادةِ ما أحاط بالعنق ، وإلا فأقوال السلف وأفعالهم وتعظيمهم للسُنَّة لا يسعها مصنف كبير، فما بالك بعجالة في مختصر ، ولو عقدت أخي الطالب مقارنة بين حال السلف مع السُّنَّة وحالنا اليوم ، لوجدت الفرق واسعًا والبون شاسعًا .

إذ الناظر لأحوال المسلمين اليوم يجد فئامًا من الناس ، وربما من القائمين على الدعوة بل ومن كبار المنظرين والمفكرين أهانوا سُنَّة رسول الله –ﷺ – بأقوالهم وأعمالهم ، ولهم على ذلك حجج واهية وعلل عليلة بل ميتة كحجة فقه الواقع ، والمماشاة والمسايرة ، وحجة التنوير والإنفتاح والمرونة ،وحجة أن هذه جزئيات وفروع ، وربما سموها قشورًا –زعموا ناسين أو متناسين – أن الشريعة كلها لب ، أُمرنا بها

(١) إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسُّنَّة (ص : ٥٨) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٦).
(٣) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص : ٣٦) فيصل الحاشدي .

جميعًا أصولها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

فإياك – أيها الطالب – وإياهم ولا تغتر بذيوع صيتهم في الآفاق، وزخرفة أقوالهم وبريق عباراتهم، فإن الله قد حكاهم بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾) [البقرة: ٢٠٥].

ولله در القائل:

في زخرف القول تزيين لباطله | والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحه | وإن ذممت فقل قيئ الزنابير

ثم إنهم لم يكتفوا بتلك العبارات الآثمة والحجج الواهية، حتى نفثوا بأخرى مسمومة طعنًا في علماء السُّنَّة ودعاة الفضيلة، بأنهم نصيون جامدون وواقعهم لا يفقهون، وفي خندق السواك، وتحريم الإسبال واقفون، وفي فتاوى الحيض والنفاس يسبحون، وهكذا يهمزون ويلمزون أولئك المشؤمين المعدومين، وهم إنما أرادوا بتلك الكلمات المسمومة التزهيد في أهل السُّنَّة وعلمائهم ودعوتهم ﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة: ٣٢].

وخلاصة ما سبق اعلم – وفقك الله – أن الخير كل الخير في الأخذ بالسُّنَّة، وأن جميع الطرق إلى الله مسدودة سوى طريقة رسول الله – ﷺ –، فالزمها والزم أهلها، واحذر العدول عنها – وفقك الله –.

باب
العناية بمنهج السلف الصالح

السلف لغة : كل من تقدم وسبق بالعلم والإيمان ، والفضل والإحسان.[١]

ومنه قول رسول الله - ﷺ - لابنته فاطمة - رضي الله عنها- : (فإنه نعم السلف أنا لك) رواه مسلم .

إصطلاحًا : وصف لازم يختص عند الإطلاق بالصحابة - رضي الله عنهم - ويشاركهم فيه غيرهم تبعًا وأتباعًا .[٢]

وعليه فالسلفية تعني اتباع منهج السلف عقيدةً وقولًا واختلافًا وتراحمًا وتوادًا ، فَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ الوَاحِد ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** » . رواه البخاري ومسلم .

قال ابن عثيمين -رحمه الله- : (السلفية هي اتباع منهج النبي -ﷺ- وأصحابه ، لأنهم سلفنا تقدموا علينا فاتباعهم هو السلفية) .[٣]

فالإنتساب لهذا المنهج والإعتزاز به والدعوة إليه والعناية به واجب

---

(١) لماذا إخترت المنهج السلفي (ص ٣٠) .
(٢) لماذا إخترت المنهج السلفي (ص ٣٠) .
(٣) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٣٦٦) .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله - : (ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالإتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا)[١].

وقال الأوزاعي - رحمه الله - : (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وأرآء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم) .[٢]

وإني من القوم الذين عرفتهم ... إذا مات منهم سيدًا قام صاحبه
نجوم سماء كلما غـاب كوكب ... بدا كوكـبٌ تأوي إليه كواكبه
أضاءت له أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال آخر :

نجوم ظلام كلما غاب كوكب ... بدا ساطعًا في حندس الليل كوكب

أصول دعوتنا :

أخي طالب العلم- وفقك الله- ، اعلم أن دعوتنا قائمة على أصول ثلاثة ، لا بد من الإتيان بها :

١- كتاب الله تعالى .
٢- سُنَّة رسول الله - ﷺ - الصحيحة .
٣- منهج السلف الصالح .

ولا يمكن لدعوة أن تنجح بدون هذه الثلاثة الأصول مهما كان

(١) لماذا إخترت المنهج السلفي (ص ٣٣) .
(٢) شرح لمعة الإعتقاد (ص ١٠٠) .

اتساعها وكثرت أتباعها بل إن إهمال واحدة من هذه الأصول كفيل بتدمير تلك الدعوة وذهاب ريحها وجهودها أدراج الرياح .

والمتأمل لواقع كثير من الجماعات الإسلامية اليوم يجدها تَدَّعي الكتاب والسُّنَّة مهملة لمنهج السلف الصالح ، وهذا إنحراف واضح في المنهج السديد والمسلك الرشيد ، إذ أن الإعتناء بمنهج السلف يعني الإعتناء بالقرآن والسُّنَّة فضميمة فهم السلف للقرآن والسُّنَّة ضميمة لازمة لا عدول عنها دل عليها القرآن والسُّنَّة ، فمن أدلة القرآن: قول الله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥** ﴾[النساء : ١١٥].

فالمراد بالمؤمنين هنا الصحابة أصالة وغيرهم من المؤمنين تبعًا ، وتوعد من عدل عن سبيلهم بالعذاب الأليم ،كما هو واضح في الآية الآنفة الذكر.

وقال تعالى :﴿ **فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ** ﴾[البقرة : ١٣٧] .

فالهداية كامنة تحت ظلال فهم السلف ، ولزوم منهجهم والضلال والغواية كامنة ، تحت العدول عن منهجهم وفهمهم .

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وقال آخر :

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

من أدلة السُّنَّة : - يقول رسولنا الكريم - ﷺ - :« **فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** » رواه الترمذي

وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع من حديث العرباض بن سارية – رضي الله عنه – الشاهد قوله – ﷺ – **وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ** » فالأمر بلزوم سنتهم (طريقهم) يقتضي الوجوب ويقول – ﷺ – « ... **وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي** » رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٩).

يستفاد من الحديث أن علامة الفرقة الناجية من العذاب لزوم منهج الصحابة –رضي الله عنهم – ويُفهم من الحديث أن سبب الهلاك والشقاء العدول عن منهجهم – رضي الله عنهم – ، ومن هذه الأدلة استقى الإمام ابن القيم – رحمه الله – قوله :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

فجعل أصول العلم ثلاثة :

١ – الكتاب . ٢ – السُّنَّة. ٣– فهم الصحابة .

قال الأوزاعي –رحمه الله – : (العلم ما جاء عن أصحاب رسول الله – ﷺ –وما لم يجئ عن أصحاب رسول الله فليس بعلم) [١]، كيف لا ؟ وهم المخاطبون في القرآن أصالة ، وهم الممدوحون في القرآن والسُّنَّة .

وهم من عاصروا الوحيين .

وهم من فازوا بشرف صحبة رسول الله – ﷺ – ، وهم أعلم الناس بلغة القرآن والسُّنَّة .

كيف لا يقدم فَهَمْ من هذا وصفهم على فَهْمِ غيرهم ؟.

(١) فن الحوار (ص ٦٢) فيصل الحاشدي .

قال الامام الوادعي -رحمه الله- منهج أهل السُّنَّة والجماعة هو الإلتزام بالكتاب والسُّنَّة على فهم السلف -الصالح- ، وإذا خرج عن منهج السلف- الصالح- فهو إما إلى التصوف أو التشيع أو الو لاء الضيق كالحزبية التي هي ولاء ضيق ، فيوالي من أجل الحزب ويعادي من أجل الحزب ، إذا كان حزب الله فلا بأس أن توالي وتعادي من أجله» [(١)] .

فالله الله في الإعتناء بمنهج السلف ، فإنه عصمة وأمان من الإنحراف والشذوذ فبقدر البعد عن منهج السلف يكون الإنحراف والشذوذ .

واعلم أيها الطالب:أن السلفية ليست مجرد مظاهر فحسب أو إلتزام بعضها ، وترك البعض الآخر بل هي إلتزام الشريعة جميعها .

وليست حكرًا على أحدٍ فردًا كان أو جماعة أو طائفة من الناس،فمن العيب أن ضاقت السلفيةً عند البعض حتى غدت في أنظارهم عبارة عن منهج خاص لا يعرفه إلا فلان وفلان من الناس ، وهؤلاء هم من يعرفون السلفي من غيره ، فهي بهذه المعايير الضيقة أصبحت السلفية أشبه ما يكون بثوب مفصل يلبسونه من شاءوا أو ينزعوه عمن شاءوا ، ولا شك أن هذا خلل في الفهم الصحيح للسلفية ، بل لست بالمبالغ إن قلت عنه : حزبية بصورة أخرى .

قال محمد العثيمين - رحمه الله - : (وأما اتخاذ السلفية كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ، ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حق،فلا شك أن هذا خلاف السلفية ، فالسلف كلهم يدعون إلى الإسلام والإلتئام حول سُنَّة رسول الله -ﷺ- ولا يضللون من خالفهم عن تأويل ، اللهم

(١) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٢٧٩) طبعة دار الإيمان الإسكندرية .

إلا في العقائد فإنهم يرون أن من خالفهم فهو ضال »[١] .

وقال – رحمه الله – : « فالسلفية بمعنى أن تكون حزبًا خاصًا له مميزاته ويضلل أفراده من سواهم ، فهؤلاء ليسوا من السلفية في شيئ[٢] .

بناءً على ما سبق بيانه يجب أن تعلم أخي الطالب أن السلفية تعني الشريعة جميعها أصولها وفروعها ، وأنها ليست مذهبا جديدًا ومصطلحًا عصريًا محدثًا ، كما يزعم البعض وليست حزبًا من الأحزاب المحدثة ، وليست حكرًا على فرد أو طائفةٍ لها رسم واسم معين صنعه المؤسس ، وليس لأحد عليها وصاية وأنها هي العصمة والأمان وأن الإنتساب لها إنتساب محمود ، هذ ا هو الفهم الدقيق والصحيح للسلفية .

ثم اعلم أخي أن أهلها هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، وأنهم أهل العلم والحكمة ، وأنهم أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق ، فليسوا بأهل الشدة والجفاء ، وإن ظهرت الشدة عند بعضهم فليسوا بحجة على السلفية بل السلفية حجة عليهم ، وأنهم دعاة رحمة واجتماع لا دعاة عذاب ونزاع، وأنهم أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقى، فلا تستوحش فاعمل جاهدًا على نصرتهم وتكثير سوادهم ، والذَّب عن أعراضهم والرحلة إلى علمائهم ، فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

قوم إذا خوت النجوم فإنهم   للطارقين النازلين مقاري



(١) المرجع السابق (ص ٣٦٦) .
(٢) المرجع السابق (ص ٢٦٦) .

الكتاب الثاني
كتاب العلم

باب
مكانة العلم وفضله

لا شك أن العلم الشرعي من أجل القرب وأفضل الفضائل : (فهو الذي يصحح الفكر ويصقله) ، والفكر إذا صح ظهر في السلوك القديم والعلم والتعليم وهو المرقاة الصاعدة بأهلها إلى سماء المجد ، والنور الباسط أجنحته فوق آفاق الدهر،والعروة الوثقى التي لا يضل من استمسك بها، وهو الفرقان الذي يميز بين الخبيث من الطيب والحق من الباطل[1]، كيف لا وقد أثنى الله -عز وجل- في كثير من موضع على العلم وأهله : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، ونفى استواء العالم بالجاهل حيث قال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر : ٩] ، وقال أيضًا : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام : ١٢٢] ، وأشهد الله أهل العلم على ألوهيته فقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

---

(١) دعوة إلى السُّنَّة . مختصرًا .

وهو ميراث الأنبياء من ظفر به فقد ظفر بحظ وافر كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره بأسانيد حسنه قال -ﷺ- : « **إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** » .

قال الإمام محمد بن الوزير - رحمه الله - :

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه
ما ورث المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه
فلنا الحديث وراثة نبويةً ... ولكل محدث بدعةً إحداثه

واعلم أخي الطالب أن القلوب تحيا وتقوى وتصح بالتوحيد واليقظة وإعماله فيما خلق له والضد يزول بضده .

رُب ميت قد صار بالعلم حيًا ... ومبقى قد حاز جهلًا وغياً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا ... لا تعدوا الحياة في الجهل شيئًا

قال أحمد - رحمه الله - : (العلم لا يعد له شيئ) . [1]

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : (لذة الدنيا شرف العلم)[2] .

وقال بعض أهل العلم : (ذقنا اللذائذ وتمرسنا الشهوات ، فما وجدنا ألذ من العلم) . [3]

---

(١) شرح الحلية (ص ٢١) .
(٢) صيد الخاطر (ص ٣٥٩) .
(٣) الصحوة الإسلامية (ص ٣٢ـ ٣٣) .

قال الزمخشري - عفا الله عنه -:

سهري لتنقيح العلوم ألـذ لي من وصل غانية وطيب عناق
وألـذ مـن نقر الفتاة لدفها نقري لألقى الرمل عن أوراق

قال ابن القيم - رحمه الله - :

أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان ، ولهذا قرن الله سبحانه بينهما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم : ٥٦] .

وقوله : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [المجادلة :١١] . (١)

فالله الله في العلم فإنه نور العقل لا ينبغي أن يتعرض لإطفائة بداء الجهل والتقليد

قال ابن القيم - رحمه الله-:

الجـهـل داءٌ قـاتـل وشـفـاءه أمـران في التركيب متفقان
نص من الـقـرآن أو من سُنَّة وطبيـب ذاك الـعـالم الرباني

وقال آخر :

وتعرى من ثوبين من يلبسهما يلقى الـردى بمذمة وهـوان
ثوب من الجهل المركب فوقه ثوب التعصب بئس من ثوبان

(١) الفوائد ، لابن القيم (ص ١٤٦) .

باب
العلم عبادة



سبق أن بينا فضل العلم ومكانته عند الله تعالى ، وهنا نؤكد أن العلم من أجل العبادات وأعظمها ثوابًا لمن صحت نيته .

قال الإمام أحمد -رحمه الله- :(العلم لا يعد له شيئ لمن صحت نيته ، قالوا : وكيف تصح النية يا أبا عبد الله ؟ ، قال : ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره) [(١)] .

وهذا بشر الحافي -رحمه الله- يقول : (لا أعلم على ظهر الأرض عملًا أفضل من طلب العلم والحديث ، لمن اتقى الله وحسنت نيته) . [(٢)]

وقال سفيان الثوري - رحمه الله- : (ما أعلم شيئا يراد الله به أفضل من طلب العلم) . [(٣)]

وقال الشافعي- رحمه الله-:(طلب العلم أفضل من صلاة النافلة). [(٤)]

وقال مطرف بن عبد الله الشخير - رحمه الله -:(فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع) . [(٥)]

---

(١) شرح الحلية (ص ٢١) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٣٥_ ٣٩) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٣٥_ ٣٩) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٣٥_ ٣٩) .
(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٣٥_ ٣٩) .

وقال الزهري - رحمه الله - :(ما عُبد الله بمثل الفقه) . [١]

وهذا ابن عقيل الحنبلي - رحمه الله- يوصي طالب العلم بوصايا ثمينة فيقول : (... ومن وفق لهذا فليتكرر زمانه بالعلم ، وليصابر كلٍ محنة وفقرٍ ، إلى أن يحصل له ما يريد ، وليكن مخلصًا في طلب العلم ، عاملاً به، حافظًا له ، وأما أن يفوته العمل به فذاك يقوي الحجة عليه ، والعقاب له ، وأما جمعه من غير حفظ فإن العلم ما كان في الصدور لا في القمطر ، ومتى أخلص في طلبه دله على الله -عز وجل-) . [٢]

وكما أنهم - رحمهم الله - دعوا إلى الإخلاص عند الطلب ، فقد حذروا من نقيضه أيما تحذير .

فهذا حماد بن سلمة - رحمه الله - يقول :(من طلب الحديث لغير الله ، مُكر به) . [٣]

وقال سفيان بن عيينه- رحمه الله- : (لو أن أهل العلم طلبوه لما عند الله لهان بهم الناس ، ولكن طلبوا به الدنيا ، فهانوا على الناس) . [٤]

وعن ابن المبارك -رحمه الله - : (مامن شيئ أفضل إلى الله من طلب العلم لله ، وما من شيئ أبغض إلى الله من طلب العلم لغير الله) . [٥]

فلك أيها الطالب في أسلافك قدوة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[الأنعام :٩٠] .

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٣٥_ ٣٩) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٩٠) .
(٣) التقييد والإيضاح (ص ٢٠٧) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٤٨) .
(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٣٥) .

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا   إن التشبه بالكرام فلاح

ونقلت إليك أيها الطالب تلك النقولات المضيئة ، والدرر البهية ، كي تستضيئ بها في رحلتك العلمية ، فلا تتعثر فإنما يتعثر من لم يخلص .

باب
العلـم وسيلة وليس غاية

وإذا كان العلم عبادة فهو أيضًا وسيلة وليس غاية ، صح عن ربيعة : (العلم وسيلة إلى كل فضيلة) . (١)

فهذه من أهم المسائل التي ينبغي مراعاتها أثناء الطلب ، إذا العلم وسيلة لرفع الجهل عن النفس ، ثم عن الغير ، ليس إلا .

فتأسيس هذه النظرة في الفكر ، تعين طالب العلم على معرفة الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والسُّنَّة من البدعة ، وبالتالي تتحقق العبودية لله كما ينبغي ، أما طلب العلم من أجل العلم ، فهو مسلك غير سديد ، وصاحبه على شفا هلكة إن لم يصحح النية .

حُكِيَ أن أبا حامد الغزالي : رحمه الله - بَلَغَهُ أن من أخلص لله أربعين يومًا تفجرت الحكمة في قلبه ، قال : فأخلصت أربعين يومًا فلم تتفجر شيئ فذكرت ذلك لبعض العارفين ، فقال لي : إنك أخلصت للحكمة ولم تخلص لله -تعالى -. (٢)

جاء في الحديث الصحيح : «**مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِه الْعُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِه السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ**» ، وفي رواية «أَدْخَلَهُ الله جَهَنَّمَ » .

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٠).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٦٦) نقلاً من : فن الحوار (ص ٥٧) .

باب
الاجتهاد في طلبه

تحصيل العلم يحتاج إلى إجتهاد والإجتهاد يشمل الرحلة إلى مواطن العلم ومعاقله والعكوف على القراءة في كتب العلم النافع والإستماع إليه من مصادر ه المختلفة وبذل الوقت والمال في تحصيله إلى غير ذلك، وكل ذلك لا يمكن أن يكون إلا بصبرٍ ومصابرَة .

قال ابن الجوزي : - رحمه اللهً - : (ولقد تأملتُ نيل الدر، فوجدته بعد معاناة الشدائد) .[١]

وقال : (ما يتناهى في طلب العلم إلا عاشق والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره .[٢]

قال ابن عباس -رضي الله عنهما - :(ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا) .[٣]

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله - : (أخذنا هذا العلم بالذل ، فلا ندفعه إلا بالذل) .[٤]

وقال الأصمعي - رحمه الله - : (من لم يحتمل ذُل التعليم ساعة ، بقي في ذل الجهل أبدًا) .[٥]

(١) صيد الخاطر (ص ٣٦٣) .
(٢) الآداب (١/ ١٨٦) .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٢٩) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣١).
(٥) حرمة أهل العلم (٢٢٤)،جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧٧)، ولم يذكر أنه عن الأصمعي.

من لم يـذق مر التعلم ساعة تجـرع مر الجهل طـول حياته

وقال آخر :

لا تحسب العلم تمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولما كان العلم يحتاج إلى بذل الأنفاس والأوقات والجهود والطاقات جعله الله قرين الجهاد وسماه نفيرًا فقال -تعالى -: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

وفي الحديث الصحيح يقول -ﷺ- : « **مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ** » ، أخرجه الترمذي من حديث أنس بإسناد حسن .

مكانة العلم عند السلف - رحمهم الله- :

أخي طالب العلم - وفقك الله - لقد عظم العلم عند السلف فبذلوا أغلى ما يملكون أعمارهم الثمينة وأنفاسهم النفيسة من أجل تحصيله ، فظفروا به وصاروا أئمة الهدى ومصابيح الدجى .

وإليك جملة من أولئك الأعلام :

فهذا ابن المبارك - رحمه الله - قيل له : لو أن الله أوحى إليك أنك تموت العشية فما أنت فاعل؟ ، قال : أقوم أطلب العلم حتى الممات. [١]

قيل لأحمد - رحمه الله- إلى متى يكتب الرجل ؟ قال : حتى يموت . [٢]

(١) انظر جامع بيان العلم (١/ ١٧٢) نحوه.
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٤٠/ ٥٢) .

وقال : نحن إلى الساعة نتعلم .[١] ، وقال : (معي المحبرة [٢] إلى المقبرة) .[٣]

هذي الخطوب ستنتهي يا أحمد فإذا جزعت من الخطوب فمن لها

الصبر يقطع ما ترى فاصبر لها فعسى بها أن تنجلي ولعلها

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه - :(لو نُسيت آية ، ولم أجد رجلًا يذكرنيها إلا رجلًا ببرك الغماد رحلت إليه).[٤]

وهذا ابن المسيب - رحمه الله- يقول : (إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد .[٥]

وهذا ابن عقيل الحنبلي- رحمه الله -يقول : (اعلم أن الراحة لا تنال بالراحة ، ومعالي الأمور لا تنال بالراحة ، فمن زرع حصد ومن جد وجد).[٦]

قلت : والنعيم لا يدرك بالنعيم .

وفي الأثر : (لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ) .[٧] رواه مسلم عن يحي ابن أبي كثير موقوفًا .

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٤٠/ ٥٢) .
(٢) المحبرة : وعاء الحبر / المعجم الوسيط (١/ ١٥٢)
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٤٠/ ٥٢) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢٢) . جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٦٧).
(٦) الآداب الشرعية (١/ ١٩٠ - ١٩١) .
(٧) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٦٢) .

تمنيت أن تمسي فقيهًا مناظرًا بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المرء دون مشقة تلقيتها فالعلم كيف يكون ؟

الرحلة في الطلب :

لقد قطع سلفنا-الصالح-المسافات الطوال، وآلاف الفراسخ والأميال واجتازو الفيافي والقفار، متنقلين في مختلف الأمصار بحثًا عن العلم النافع، فهذا الإمام أحمد -رحمه الله- يقول عنه أحد العلماء : لو حسبت المدة التي رحلها الإمام أحمد ، وكانت بالمساحة لطوقت الدنيا). [١]

وهذا أحمد بن النضر الهلالي يقول : سمعت أبي يقول : كنت في مجلس سفيان بن عيينه ، فنظر إلى صبي فكأن أهل المسجد تهاونوا به لصغره فقال سفيان -رحمه الله-: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ ﴾ [النساء : ٩٤] ، ثم قال : يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار ، ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار وذيلي بمقدار ، ونعلي كآذان الفار ، أختلف إلى علماء الأمصار ، كالزهري وعمرو بن دينار ، أجلس بينهم كالمسمار محبرتي كالجوزة ومقلمتي كالموزة وقلمي كاللوزة ، فإذا أتيت قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير ثم ضحك). [٢]

ولقد قيل : (من لم يكن رحلة لن يكون رُحَلَة). [٣]

---

(١) الصحوة الإسلامية (ص ٣٦) .
(٢)سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٩) وضعفه الذهبي - رحمه الله - .
(٣)شرح حلية طالب العلم (ص ٥٣) .

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن مكنونها ببيان
ذكاءً وحرص واجتهاد وبلغةٌ وإرشاد أستاذ وطول زمان

العلم في الصغر:

قال قتادة -رحمه الله- : (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) . [1]

تعلم يافتى والعود رطب وطينك لين والطبع قابل

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٥) .



باب
تقييد العلم

تقييد العلم بالكتابة مستحب وفيه دلالة على صدق الطلب وهو أحفظ للعلم من النسيان ، جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – : (اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ) .

قال النووي – رحمه الله– في شرحه لمسلم : (أجمعت الأمة على استحباب كتابة العلم ، بعد أن كتب القرآن) .

وعن عمر وابن عباس وأنس– رضي الله عنهم –: (قيدوا العلم بالكتابة) .

العلم صيدٌ والكتابة قيدُه قيد صيودك بالحبال الواثقة

جاء في مقدمة كتاب الفوائد : (... وعليه فقيد العلم بالكتاب لا سيما بدائع الفوائد ، في غير مظانها وخبايا الزوايا في غير مساقها ودررًا منثورة تراها وتسمعها ، تخشى فواتها ، وهكذا فإن الحفظ والنسيان يعرضان ، قال الشعبي : (وإذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط). [١]

أخي – طالب العلم وفقك الله – إياك أن تفوتك المحبرة والقرطاس والقلم أثناء الطلب، بل كن عاشقًا لها والزمها لزوم الظل للعود ، وطيب بالحبر أوراقك ، واقتصر على النافع المفيد فإنه :

---

(١) الفوائد (ص ٤) .

ما من كاتب إلا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تخطط بكفك غير شيئ يسرك في القيامة أن تراه

واعلم أخي - رحمك الله - أن السلف كانوا يعدون الخارج للطلب بلا محبرة ولا قرطاس غير صادق في طلبه

قال أحد السلف : (إذا رأيت الرجل يخرج من منزله بلا محبرة ولا قرطاس ولا قلم يطلب الحديث فقد عزم على الكذب). [١]

إذا رأيت شباب الحي قد نشؤءا لا يحملون قلال الحبر والورقا
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق يعون من صالح الأخبار ما اتسقا
فعد عنهم ودعهم إنهم همج قد بدلوا بعلوا الهمة الحمقا [٢]

من فوائد تقييد العلم : [٢]

لتقييد العلم فوائد كثيرة وكبيرة من ذلك أنها :

١- تحفظ العلم من النسيان .

٢- من الأعمال التي يدوم أجرها بعد وفاة صاحبها :-جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٨١) .

٣- تحرس الدين من أهل الضلال والإنحراف ،قال الشافعي - رحمه الله - (لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر) وقال أحمد - رحمه الله- (هذه سرج الإسلام) يعني المحابر[1] إي - والله - بها انكشف أهل الأهواء وبان عوارهم واتضح مكرهم ، بها حفظ الله دينه وكفى .

٤- تساعد على تنمية المواهب وتقلل من الإخطاء .

٥- ترفع الهمم نحو القمم .

ولي جناحان أرقى في صعودهما نحو الثريا هما القرطاس والقلم

٦- تشبه بالصالحين وفي الحديث(**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْم فَهُوَ مِنْهُمْ**) أخرجه أبو داود وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٠٢٥)، وقال عنه ابن تيمية في الإقتضاء إسناده جيد قال ابن المبارك : (الحبر خلوق العلماء) . [2]

٧- خير جليس وأنيس . [3]

لمحبرة تجالسني نهاري أحب إلي من أنس الصديق
ورزمة كاغد[3] في البيت عندي أعز إلي من عدل الدقيق
ولطمة عالم في الخد مني ألذ إلي من شرب الرحيق

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٥١) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٩٣) .
(٣) الكاغد : القرطاس المعجم الوسيط (٢/ ٧٩١) .

باب
إحيــاء العلــم بالمذاكــرة



لئن كان تقييد العلم من أهم وسائل بقائه وحفظه فالمذاكرة من أهم وسائل إحيائه وتثبيته وترسيخه في العقول .

قال الأحنف - رحمه الله - :(مذاكرة الرجال تلقيح لعقولها) . [١]

السلف ومذاكرة العلم :

لقد كان عادة السلف-رحمهم الله -تذاكر العلم وإيثاره على كثير من أعمالهم بل وحتى على نوافلهم فهؤلاء أصحاب رسول الله-ﷺ-كانوا يجلسون في مسجد رسول الله حلقًا يتذاكرون ويتراجزون الشعر . [٢]

قال ابن مسعود - رضي الله عنه- : (تذاكرو ا الحديث فإن حياته المذاكرة). [٣]

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : (مذاكرة العلم ساعة ، أحب إلى من إحياء ليلة) . [٤]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل-رحمهم الله - : (سمعت أبي يقول يومًا: ما صليت اليوم غير الفريضة ، أستأثرت بمذاكرة أبي زرعة على

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٥٢) .
(٢) المرجع السابق (٢/ ١٠٣) .
(٣) المرجع السابق (٢/ ١٠٣) .
(٤) المرجع السابق (٢/ ٣٩).

نوافلي) . [١]

وقال سفيان – رحمه الله – : (تعجلوا بركة العلم ، ليفد بعضكم بعضًا فإنكم لعلكم لا تبلغون ما تؤملون). [٢]

واعلم أخي الطالب أن العلم يذهبه النسيان والذنب وإهمال المذاكرة، روى الأوزاعي عن الزهري – رحمهما الله – قال : (آفة العلم النسيان وقلة المذاكرة) . [٣]

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : (إني لأحسب الرجل ينس العلم كان يعلمه ، بالخطيئة يعملها) . [٤] رواه أحمد في المسند.

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب فخير لنفسك عصيانها [٥]

شكى الإمام الشافعي – رحمه الله – يومًا لشيخه سوء حفظه قائلًا :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلم نورٌ ونور الله لا يؤتاه عاص

قال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : (إذا عقدت النفوس على ترك الآثام ، جالت في الملكوت ، وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة ، من غير أن يؤدي إليه عالم علمها) . [٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٨)
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٣٩) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ١٠٤) .
(٤) الفوائد (ص ١٩٥) .
(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٥٣) .

باب
لا يتعلم مُستح ولا مُستكبر

الإستحيـــــا ء والكبر عند طلب العلم أو نشره آفتان مذمومتان تعتري كثير من طلبة العلم بل ومن فضلائهم - فانتبه - حفظك الله- أن يصير ذلك عائقًا بينك وبين العلم .

واعلم أن الجرأة في الحق والتواضع من أعظم أسباب تحصيل العلم ،

جاء في التقييد والإيضاح : (... ولا يكن ممن يمنعه الحياء أو الكبر عن كثير من الطلب وقد روينا عن مجاهد - رضي الله عنه- أن قال :(لا يتعلم مستحي ولا مستكبر) .

وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه - رضي الله عنهما - أنهما قالا : من رق وجهه رق علمه) .[١]

وجاء - أيضًا - : (ولا يأنف من أن يكتب عمن دونه ما يستفيد منه روينا عن وكيع بن الجراح - رحمه الله - أنه قال : (لا ينبل الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه ، وليس بموفق من ضيع شيئًا من وقته في الإستكثار من الشيوخ لمجرد اسم الكثرة وصيتها) .[٢]

ولقد روي أن حكيمًا بن حزام - رضي الله عنه - كان يقرأ على معاذ

(١) التقييد والإيضاح (ص ٢٠٨) .
(٢) التقييد والإيضاح (ص ٢٠٨) .

بن جبل - رضي الله عنه - فقيل له : تقرأ على هذا الغلام الخزرجي ؟ فقال : (إنما أهلنا التكبر) . [١]

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (إن العلم ليس عن حداثة السن ولا قدمه ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء) . [٢]

قال عبد الله بن المعتز -رحمه الله - المتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً . [٣]

العلم يأتي كل ذي خفض ويأبى كل آبي
كالماء ينزل في الوهاد وليس يصعد في الروابي

روى الخلال عن أيوب السختياني قال : (ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله) . [٤]

وقال ابن رجب - رحمه الله - : (وأهل العلم النافع ، كلما ازدادوا في العلم ، ازدادوا لله تواضعًا وخشية وانكسارًا وذُلًّا) . [٥]

مليئ السنابل تنحني بتلطف والفازعات رؤوسهن شوامخ

تنبيه: وكما أنه ينبغي على الطالب التواضع عند الطلب ، فكذلك بل أكثر ينبغي أن يتواضع عند التعليم إذ لا يليق بمعلم الناس أن يستكبر بعلمه ، فأجهل الناس من تكبر بعلمه .

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٩٦-٩٧) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٩٦-٩٧) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٢٦) .
(٤) المرجع السابق(٢/ ٤١) .
(٥) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ١٣٧)

باب
الفقه رأس العلم

الفقه لغـــة : الفهم ، ومنه قول الله : ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه : ٢٧-٢٨] . أي يفهموا قولي .

إصطلاحـــًا :معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية . (١)

لاشك أن الفقه من أهم العلوم التي ينبغي على طالب العلم الإهتمام به ، ولأهميته حث عليه العزيز الكريم في كتابه الحكيم وجعله للجهاد قرين فقال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة :١٢٢] . (٢)

ووصف -ﷺ- المتفقه في الدين بالخيرية فقال : « **إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ** » رواه البخاري ومسلم من حديث معاوية -رضي الله عنه - .

ولهذا أهتم سلفنا الصالح بهذا العلم أيما إهتمام بأعمالهم وأقوالهم فهذا

(١) الأصول من علم الأصول (ص ٩) .

(٢) قال الشيخ محمد المهدي -حفظه الله - : والفقه هنا في الآية يعني فهم الشريعة أصولًا وفروعًا أحكامًا وآدابًا ويدخل في ذلك الترغيب والترهيب بدليل قوله -تعالى-: ﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ فالانذار يدل على التهديد والوعيد وليس هنا مجرد دراسة المسائل المعروفة في كتب الفقه . .

الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - يقول : (الفقه عمدة العلوم) [١] .

وقال - أيضًا - : (إن الفقه عليه مدار العلوم فإن اتسع الزمان للتزيد في العلم فليكن من الفقه فإنه الأنفع) [٢] .

وقال الشافعي - رحمه الله - ليونس بن عبد الله الأعلى : (عليك بالفقه) [٣] .

وقال الأثرم -رحمه الله- سأل رجل أبا عبد الله عن حديث ، فقال أبو عبد الله : الله المستعان ، تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ، ما أقل الفقه فيهم [٤] .

قلت : هذا في زمن هذا الإمام الهمام فكيف الحال في زماننا هذا . فالله الله في الفقه وأصوله فإنهما يكشفان لك من المعارف ويفتحان عليك من العلوم ما لا تحصل عليه من غيرهما .

فاجتهد -وفقك الله- في طلبهما والمثابرة عليهما ، وعض عليهما بالنواجذ ، فمن حرمهما فقد حرم خيرا كثيرًا .

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وعلم الفقه في الدين



(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٠٥- ١٠٨) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٠٥- ١٠٨) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ١٠٥- ١٠٨) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٠٥- ١٠٨) .

باب
الخشيـة عين الفقه

معنى ذلك أن العارف الفقيه هو الخائف من الله المراقب له المداوم على عبادته قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾[فاطر : ٢٨] .

والمعنى أن أكثر الناس خشية لله هم العارفون بالله ، فمن كان بالله أعرف كان من الله أخوف وعليه ، فالعالم من يخشى الله –عز وجل –ويعمل بمقتضى علمه .

وقال سبحانه : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ١٣ ﴾ [الحشر : ١٣] .

مفهوم الآية أنهم (لو كانوا أهل الكتاب) حقًا أهل فقه، لكانوا أشد رهبة وخوفًا من الله ، لكن خوفهم الناس من دون الله أعظم دليل وأقوى برهان على إفلاسهم من الفقه .[١]

السلف والخشيـة :

أخي طالب العلم :اعلم أن الخشية من الله قد تأصلت في قلوب السلف الأطهار ،يتجلى ذلك واضحًا في سيرهم الزكية، وأخلاقهم الندية، وأقوالهم الشجية التي غرفتها ألسنتهم من بحار قلوبهم النقية ، وإليك نُتفًا من تلك الأقوال الرضية والدراري البهية :

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٥) .

يقول ابن مسعود – رحمه الله – : (ليس العلم عن كثرة الحديث ، وإنما العلم خشية الله) رواه أحمد وأبو داود والطبراني .

ويقول الحسن البصري – رحمه الله – :(... إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع الكاف عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لهم) .

روى ابن بطة عن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه – أنه كتب إلى أبي موسى: إن الفقه ليس بسعة الهذر وكثرة الرواية، إنما الفقه خشية الله) .[١]

وفي الفوائد لابن القيم : (ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكن العلم الخشية) .[٢]

وهذا مالك بن أنس – رحمه الله – يقول : (الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل) .[٣]

وقال أحمد – رحمه الله– : (أصل العلم خشية الله) [٤] ، قال عبد الله: قلت لأبي :هل كان مع معروف [٥] شيئ من العلم ؟ فقال لي :يابني كان معه رأس العلم خشية الله – تعالى –.[٦]

وقال–رحمه الله – : (كفى بالعزلة علماً وإنما الفقيه الذي يخشى الله) .[٧]

هذا هو الفقه عند سلف الأمة معرفة الله تعالى، ومعرفة صفاته المخوفة

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٤٣) .
(٢) الفوائد (ص ١٩٦) .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٧٢) . .
(٤) شرح حلية طالب العلم (ص ٣٣) .
(٥) أي : معروف الكرخي وهو عابد زاهد – رحمه الله –.
(٦) الآداب الشرعية (٢/ ١٨٩) .
(٧) الأداب الشرعية (٣/ ٣٤٠) .

والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى .[١]

فاجتهد أيها الطالب في تحصيل هذه الفضيلة ، فإنها أُس الفضائل ولجام الرذائل ، واعمل على بذرها في القلب، لتؤتي ثمارها طيبة بإذن ربها .



(١) قال الشيخ محمد المهدي –حفظه الله – : نعم هذا مفهوم الفقه عند العلماء العارفين بمقاصد القران والسُّنَّة وليس محصورًا فيما أختلف فيه أبو حنيفة ومالك رحمهما الله أو في مسائل الطهارة والبيوع والنكاح بل الخشية وحسن العبادة والمسارعة إلى الخيرات هي أصل الفقه وثمرته.

باب
تعلم الهـدىَ والدَّل

(أدب النفس ممدوح بكل لسان ، ومتزين به في كل مكان ، وباق ذكره مدى الأزمان ، وكل من أعار الوجوه نظرة البصير علم أن حاجة المرء إلى تأديب نفسه ، من أهم الحاجات ، وإذا كان الرجال بالأعمال فإن الأعمال هي آثار الأخلاق والآداب والصفات ، وبذلك يتفاضل الناس وليسوا بالعلوم والإجازات والشهادات فحسب، فإن العلم آلة تديرها الأخلاق وتسيرها الآداب ، وأدب الظاهر عنوان أدب الباطن ...) .[1]

ما وهب الله لامرئ هبة   أفضل من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا   فإن فقد الحياة أحسن به

إن الناظر لحياة السلف - الصالح - يجدها حياة مملوءة بالعلم والأدب - وأنعم بها من حياة - جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : (مَا كَانَ يَنْبَغِيْ لِابْنِ أَبِيْ قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-) يعني : في الصَلَاة .

عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ أَبِي رَزِين -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : « سُئِلَ الْعَبَّاسُ أَنْتَ أَكْبَرُ أَوِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ قَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ » . عزاه الهيثمي إلى الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(١) حرمة أهل العلم (ص ١٣١) .

أدب كمثل المـــاء لو أفرغته   يومـــا لسال كما يسيل المـاء

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ ، وَتَكُونَ أَسْفَلَ مِنِّي .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **إِنِّي أَرْفَقُ بِي أَنْ أَكُونَ فِي السُّفْلَى لِمَا يَغْشَانَا مِنَ النَّاسِ** » ، قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ جَرَّةً لَنَا انْكَسَرَتْ فَاهُرِيقَ مَاؤُهَا ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا نُنَشِّفُ بِهَا الْمَاءَ فَرَقًا أَنْ يَصِلَ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْءٌ يُؤْذِيهِ رواه مسلم

فيالله إنه أدب سكن في قلوب أولئك القوم وجرى في عروقهم جري الدم فأتى بتلك الصور المشرقة المنقطعة النظير .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

واعلم أخي - رحمني الله وإياك - أن السلف -رحمهم الله تعالى - كانوا يتعلمون الأدب والهدى والدَّل ، كما يتعلمون العلم بل أكثر .

فهذا سيدنا عمر - رضي الله عنه- يقول : تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم) .[1]

وقال أبو عبد الله البلخي-رحمه الله -: (أدب العلم أكثر من العلم).[2]

وقال مالك - رحمه الله - : كانت أمي تعممني وتقول لي : اذهب إلى

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٤٤) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٣٩٤) .

ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه). [١]

وعن خالد بن نزار قال : سمعت مالكًا يقول لفتى من قريش : (يا ابن أخي، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم) . [٢]

قال ابن وهب : ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. [٣]

وهذا الحسين بن إسماعيل يقول : سمعت أبي يقول : :كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة الآف أو يزيدون ، أقل من خمسمائة يكتبون والباقي يتعلمون منه حُسن الأدب وحُسن السمت . [٤]

وقال عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله - : كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودله) . [٥] وكانوا يذهبون إلى يحي بن سعيد القطان- رحمه الله - ما يريدون أن يسمعوا شيئًا ؛ إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته) . [٦]

إذا أعجبتك طباع امرئ   فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات   حجاب إذا جئته يحجبك

كان العلامة ابن الشجري -رحمه الله - لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا وتتضمن أدب نفس وأدب درس) . [٧]

---

(١) ترتيب المدارك (١١٩) نقلًا من : حرمة أهل العلم (ص١٤١) للمُقَدِّم .
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٣٦١) نقلًا من : حرمة أهل العلم (ص١٤٠) للمُقَدِّم .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٠) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٣) .
(٥)الآداب الشرعية (٢/ ١٤٩) .
(٦) الآداب الشرعية (٢/ ١٢٦) .
(٧) حرمة أهل العلم (ص ١٤٣) .

فيا أيها الطالب وبعد هذه الرحلة القصيرة في عالم الهدي والأدب، أرجوا أن تكون قد استفدت هذا الخلق العظيم ، فإنه -والله- جمال العلم ورونقه .

واحذر -وفقك الله - كل ما يشينك ويقدح في عرضك ويخل بمروءتك واعلم أن أنظار الناس إليك تختلف عن أنظارهم لغيرك ولطخة في الثوب الأبيض ليست كلطخة في الثوب الأسود كما قيل .

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رديت بردًا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن حمداً

وأسوق إليك أيها الطالب النبيه ، بعض الآداب التي ينبغي أن تراعيها أثناء رحلتك العلمية والدعوية :

(١) التواضع والحلم :

قال الخطيب البغدادي-رحمه الله - : (والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبًا وأشد الخلق تواضعًا ، وأعظمهم نزاهةً وتدينًا وأقلهم طيشًا وغضبًا). [١]

(٢) الوقار والسكينة:

فعن ابن وهب-رحمه الله-قال:سمعت مالكًا يقول: (إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية) . [٢]

وعن الحسن قال : قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرَى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره وبره) . [٣]

---

(١) الجامع لآداب الراوي والسامع (١ / ٧٨) .
(٢) المرجع السابق (١ / ١٥٦) .
(٣) شُعب الإيمان (٢ / ٢٩١) نقلًا من : حرمة أهل العلم (ص١٤٦) للمُقَدِّم .

(٣) طول الصمت :

قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقال -ﷺ- : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه الشيخان من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

قال أبو هريرة : « لا خَيْرَ في فُضُولِ الْكَلام » . [١] قال الحسن البصري - رحمه الله- : (إن الرجل ليَجلس مع القومَ فيرون أن به عيًّا وما به من عي وإنه لفقيه مسلم) . [٢]

قالوا انراك طويل الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عيٍ ولا خرسِ
لكنه أحمد الأشياء عاقبة ... عندي وأيسره من منطق شكس
ءأنشر البز فيمن ليس يعرفه ... أم أنثر الدر بين العمي في الغلس

وقال آخر :

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حرٌ والسكوت جماد
فإن لم تجد قولًا سديدًا تقوله ... فصمتك عن غير السداد سداد

٤-رعاية حقوق الآخرين :

قال عليه الصلاة والسلام : « **لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**» رواه أحمد والحاكم من حديث عبادة بن الصامت وحسنه الألباني .

(١) بهجة المجالس (١ / ٦١) نقلًا من فن الحوار (ص ١٦٩) .
(٢) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٨٩).

فاعرف الحقوق - بارك الله فيك - فإنها أمانة وأداء الأمانات لأهلها واجبة ومن أهم الحقوق التي تحتاج إلى رعاية حقوق العلماء فإنهم حراس الديانة الأمناء والغض من مكانة الحارس يعني استدعاء اللصوص .

العلماء عقول الأمة ، والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرة بالبقاء .

العلماء حملة الشريعة وورثة الأنبياء ، الذَّب عنهم ديانة ، والوقوع فيهم خيانة .

٥-التجمل والتطيب :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ** » رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٦٤٩٣) وجاء عند مسلم من حديث عُمَرِ بْنُ الخَطَّاب -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ:«**بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاض الثِّيَاب شَدِيدُ سَوَاد الشَّعَر لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَر وَلَا يَعْرفُهُ منَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**». الشاهد قوله : (**شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ...**) .

فالحكمة من مجيئ جبريل بهذه الهيئة الحسَنة ليعظم إتجاههم إليه وإجلالهم له وإصغاؤهم لما يقول ، [١] وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ** » ، رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢٣٦).

قال الميموني - رحمه الله - : (ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ، ولا أشد تعاهدًا لنفسه ، في شاربه وشعر رأسه ، وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوبًا ،

(١) طريقنا للقلوب (ص ٣٢) فيصل الحاشدي .

وشدة بياض من أحمد بن حنبل - رحمه الله -) .[١]

يمشون في الحلل المضاعف نسجها مشي الجمال إلى الجمال البزل

أخي طالب العلم : اعلم -وفقك الله - أن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه -ﷺ- وأدب النبي - ﷺ - أمته فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل إذ العلم بلا أدب من أعجب العجب قال البوشنجي - رحمه الله - : (من أراد العلم والفقه بغير أدب فقد أقتحم أن يكذب على الله ورسوله) [٢] ، فتجميل العلم بالأخلاق الكريمة والسمات الحميدة أمرٌ لا زم بل هو الدعوة الصامتة ومفتاح للقلوب مؤكدة النتيجة.

قال ابن الجوزي- رحمه الله- : (الدليل بالفعل ، أرشد من الدليل بالقول) .[٣]

وقال ابن المبارك - رحمه الله - : (لا ينبل الرجل بنوع من العلم ، ما لم يزين علمه بالأدب)رواه الحاكم .

وقال : (إذا وصف لي رجل له علم الأولين والآخرين ، لا أتأسف على فوات لقآئه ، وإذا سمعت رجلاً له أدب النفس ، أتمنى لقاءه ، وأتأسف على فواته).[٤] وقال : (طلبت العلم فأصبت منه شيئًا ، وطلبت الأدب فإذا أهله قد ماتوا) . [٥]

---

(١) المرجع السابق .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨٦)
(٣) صيد الخاطر (ص ٢١٨)
(٤) الآداب الشرعية (٣/ ٣٩٤) .
(٥) المرجع السابق .

مررت على المـروءة وهي تبكي فقلت على ما تنتحب الفتاةُ
فقالت : كيف لا أبكي وأهلي جميعًا دون خلق الله ماتوا

فيا لله ما أجمل الأدب في زمن حرمه الكثير من الناس ، بل حتى من الصالحين .

وفي الختام اعلم - بورك فيك - أن معيار الأدب والهدي الصالح هو رسولنا الكريم - ﷺ - ليس إلا .

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : (إن رسول الله -ﷺ - هو الميزان الأكبر، فعليه تُعرض الأشياء ، على خُلقه وسيرته وهديه ، فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل) .[١]

فـأخـلاق الـرسـول لنا كتابٌ وجـدنـا فيها أقـصى مبتغانا
تشبه بـالـرسـول تفز بدنيا وأخـرى والشقي من استهانا
وعـزتـنـا بغير الديـــن ذل وقدوتنـا شمائل مصطفـانا

(١) حرمة أهل العلم (ص١٣٨).

باب
العمل بالعلـم

المقصود من العلم العمل ، وعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ، كما قيل ، ولهذا فقد حث الله عباده على العمل في أكثر من موضع في كتابه الحكيم فقال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة :١٠٥] .

وقال : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

ورغب سبحانه بالعمل وحذر من نقيضه فقال : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فصلت :٤٦] .

وربط العمل بالإيمان فقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الكهف : ١٠٧] .

وقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر : ٣] .

أخي الطالب بورك فيك (لا يغب عن بالك أن العالم لا يُعد عالمًا إلا إذا كان عاملاً ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله) .[١]

فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : (لا تكون تقيًا حتى تكون عالمًا ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً) .[٢]

(١) شرح حلية طالب العلم (ص ٣٤) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٩٦) .

وهذا ابن الجوزي -رحمه الله- يقول : (... فأقرب الخلق من الله العلماء وليس العلم بمجرد صورته النافع بل معناه وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل به فكلما دله على فضل اجتهد في نيله وكلما نهاه عن نقص بالغ في تجنبه).[١]

قال الشافعي- رحمه الله - :(العلم ما نفع ليس العلم ما حفظ).[٢]

إي - والله - أن العلم يحتاج إلى عناية ورعاية أكثر منه إلى ضبط رواية ، وذلك لأن رواة العلم كثير ورعاته قليل ، فأوضع العلم ما وقف على اللسان ، وأرفعه ما ظهر على الجوارح والأركان، فعلى كل من نصب نفسه معلماً للناس وإمامًا ، أن يبدأ بتعليم نفسه قبل غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ، ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم .

ولا أقصد بذلك أنه لا يصلح للداعية أن يأمر، أو أن ينهى ، إلا إذا كان عاملاً بجميع ما يعلمه، ويدعوا إليه ، إذ لو صح هذا لتعطل كثير من الدعاة ، وتركت الدعوة منذ زمن ، لكن يجب على الداعية أن يحرص على أن يكون هو الداعية المثالي بأقواله وأعماله ، وإن حصل منه شيئ من التقصير فإن دعوته إلى الله واستمراره على إقامتها ستعينه كثيرًا على استقامة سلوكه وأخلاقه .

وعلى المدعويين أخذ الخير والحق ممن جاء به ،قال بلال بن أبي بردة -رحمه الله- : (لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما

(١) صيد الخاطر (ص ٢٣٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٨٩) .

تسمعون منا) .[١]

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري

من أضرار إهمال العمل بالعلم :

١- سبب لمقت الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف : ٢-٣] والمقت : أشد الغضب

٢- سبب للعذاب : قال أبو الدرداء : (ويل للذي لا يعلم مرة ، وويل للذي يعلم ولا يعمل ، سبع مرات) .[٢]

وعن سحنون قال : (من لم يعمل بعلمه لم ينفعه علمه بل يضره) .[٣]

وعـــالم بـعـلـمـه لم يعملن معذبٌ من قبل عباد الوثن

٣- سبب لتقوية الحجة عليك : فالعلم إما حجة لك أو عليك، فمن علم ولم يعمل فمصيبته أعظم ممن يجهل .

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

٤- سبب لذهاب العلم : إذ : (العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل) .[٤]

روى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا

(١) حرمة أهل العلم (ص ٢٢٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٧) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٣٣٥)
(٣) المرجع السابق (١٢/ ٦٥) .
(٤) شرح حلية طالب العلم (ص ١٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٤٦)

(مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) .

٥- سبب لذم الناس إياك : قال الزهري – رحمه الله – : (لا يرضى الناس قول عالم لا يعمل ولا عمل عامل لا يعلم) .[1]

وفي الفوائد : (إن الناس قد أحسنوا القول ، فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه،ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه).[2]

ياواعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

كلابس الصوف من عري وعورته للناس بادية ما إن يواريها

وعليه فينبغي على كل من فاق الناس في العلم أن يفوقهم في العمل فلا يكون ممن يكذب قوله فعله فيهلك ويصير رواية حديث سمع شيئًا فقاله – ليس إلا –

٦- سبب إعراض الناس عن دعوتك : اعلم –وفقك الله– أن الدعوة بالأعمال الصالحة أبلغ تأثيرًا من الدعوة بالأقوال المجردة عن الأعمال، بل إن الدعوة بالأقوال دون الأعمال من أعظم أسباب نفور الناس عنك .

قال ابن الجوزي –رحمه الله – : (الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول) .[3]

وإذا بحثت عن التقي وجدته رجلًا يصدق قوله بفعال

جاء في زاد المعاد وغيره أنه لما فرغ رسول الله – ﷺ – من الإتفاق

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤١) .
(٢) الفوائد (ص ١٩٥) .
(٣) صيد الخاطر (ص ٢١٨) .

مع المشركين في صلح الحديبية قَالَ رَسُولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– لأَصْحَابه: « **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلقُوا قَالَ : فَوَالله مَا قَامَ منْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلكَ ثَلاثَ مَرَّات** ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقيَ منَ النَّاس، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبيَّ الله أَتُحبُّ ذَلكَ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا منْهُمْ كَلمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالقَكَ فَيَحْلقَكَ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا منْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلكَ نَحَرَ ، بُدْنَهُ وَدَعَا حَالقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلكَ قَامُوا فَنَحَرُوا » .[١]



(١) زاد المعاد (٣/ ٢٩) .

باب
نشـــر العلم

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر : ١- ٣] .

وقال الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) رواه البخاري .

وَعَن ابْنِ مَسْعُود – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : سَمعْتُ رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ :« **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ** » رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

أخي –رعاك الله– اعلم أن القيام بواجب الدعوة إلى الله من أجل الأعمال وأزكاها كيف لا ؟ وفيها نشر للفضيلة ووأد للرذيلة .

وهي طريق الأنبياء والرسل وورثتهم من بعدهم ، بينما كتمان العلم آفة ورذيلة ويُعد مخالفة لمنهاج الأنبياء والرسل .

وفيه قتل للفضيلة ونشر الرذيلة وبالتالي الغضب والسخط وإنزال العقوبة . فهاهو القرآن يتحدث عن أمة من بني إسرائيل بلعنهم حين تركوا واجب النهي عن المنكر بقوله : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ

﴿... إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة : ٧٨- ٧٩] .

وعن دغفل قال : (آفة العلم أن تخزنه ولا تحدث به ولا تنشره).[١]

وقال سلمان الفارسي -رضي الله عنه - : (علم لا ينفق منه ككنز لا ينفق منه).[٢]

وفي الحلية يقول أبو زيد-رحمه الله -: (أد زكاة العلم صادعًا بالحق أمارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر ، موازنًا بين المصالح ناشرًا للعلم ، وحب النفع وبذل الجاه والشفاعة الحسَنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف، ولشرف العلم فإنه يزيد بكثرة الإنفاق منه ، وينقص مع الإشفاق ، وآفته الكتمان) .[٣]

يزيد بكثرة الإنفاق منه   وينقص إن به كفًا شددت

وروى الحاكم في تاريخه عن ابن المبارك -رحمه الله - قال : (من بخل بالعلم ابتلي بثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، وإما أن يُنسى حديثه ، وإما أن يُبْتلى بالسلطان) .[٤]

ومع ذا فينبغي على الداعية أن يراعي أمورًا في رحلته الدعوية من ذلك:

١- أن يحتسب الأجر والثواب من الله وحده :

ولا ينتظر شكرًا من أحد، فهذه عادة الأنبياء والرسل أجمعين ، قال

(١)الآداب الشرعية (٢/ ٩٥) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٢٨) .
(٣) شرح حلية طالب العلم (ص ١٨٩- ١٩٠) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٩٣) .

تعالى مخبرًا عنهم : ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] ، فلك أيها الطالب في معشر الرسل أسوة ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الممتحنة : ٦] .

٢- الصبر على مشاق الدعوة :

فما من نبي ولا رسول إلا عُودي وأُوذي من قِبل قومـه ، قال الله: ﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ [العنكبوت : ١-٣] .

وقال - أيضًا- : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وجاء عند مسلم والترمذي من حديث أَنَسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** » .

قال ابن القيم -رحمه الله- : (يامخنث[1] العزم ، أين أنت والطريق طريق تعب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورمي في النار الخليل إبراهيم - عليه السلام - ، وأضجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمنٍ بخس ، ولبث في السجن بضع سين ، وَنُشرَ بالمنشار زكريا ، ذُبحَ السيد الحصور يحي ، وقاسى الضر أيوب ، وزادَ على المقدار بكاء داود ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر ، وأنواع الأذى محمد - ﷺ -)[2] .

(١) المخنث يأتي بمعنى الضعيف أو الدنيئ .
(٢) الفوائد (ص ٧٣) .

قلت: وواجه الردة أبو بكر الصديق، وقتل عمر في المحراب، وسفك دم عثمان، وكيد بعلي فقتل، ودُس السم لابنه الحسن، ومكر بالحسين فقُتِل، ودس السم لعمر ابن عبد العزيز، تلك هي طريق الدعوة وثمن الجنة .

ياسلعة الرحمن لست رخيصةً بل أنت غاليةٌ على الكسلان
ياسلعة الرحمن أين المشتري؟ فلقد عرضت بأيسر الأثمان
ياسلعة الرحمن ليس ينالها با للألف إِلَّا وَاحُ لا اثنان

٣- عدم الإستعجال :

مما يقتل الطموحات ويذهب الطاقات ويثبط الداعية ويؤخر ثمار الدعوة ارتقاب النتائج واستعجالها وهذه من الأخطاء التي وقع فيها كثير من الدعاة والجماعات والصواب الذي ينبغي مراعاته أن يستمر الداعية إلى الله في طريق دعوته ماضيًا بخطًا ثابته وراسخة وهدوء تام فلا يستعجل النتائج وليكل أمرها إلى الله .

هنا يدرك حاجته ويصل إلى مقصوده ومحبوبه .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

٤- البصيرة في الدعوة :

الداعية الموفق عميق في نظره، قوي في بصيرته، مراع للمكان والزمان وللحال والمآل، يعمل على جلب المصالح وتكثيرها، ودرءً المفاسد وتقليلها.

الداعية الموفق : يستخدم الأسلوب الحكيم في دعوته وينزل الناس منازلهم.

الداعية الموفق : يستخدم لغة الإشاراة كما ينتقين حُسن العبارة

الداعية الموفق : يستصحب الرفق واللين في دعوته ولكنه قد يلجأ إلى الشدة أحيانًا . فتأتي الخيرات .

الداعية الموفق : أشبه ما يكون بطبيب حاذق أريب يضع دواءه حيث ينفع وجماع ذلك كله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقفة مهمة : أخي - بورك فيك - : اعلم أن لهذا العلم ثمنًا فضعه عند من يحفظه ولا يضيعه .

لا تـؤتـين الـعـلـم إلا امـرأ أعــان بـالـلـب عـلى درسـه

وصح عن مسروق أنه قال : (لا تنشر بزك إلا عند من يبيعه) [١] .

وعن مغيرة قال : (كنت أحدث الناس رغبة في الأجر ، فأنا أمنعهم اليوم رغبة في الأجر) [٢] .

وقال مالك : (ذل وإهانة للعلم ، أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه) [٣] .

فإذا حملت إلى سفيــهٍ حكمــةً فلقد حملت بضاعةً لا تنفق

وقد قالها الشافعي في مصر مدوية عند ما كلمه من لا يرى فقهه :

أأنثر درًا بين راعيةِ الغنــم وأنشرُ منظومًا لراعيةِ النعــم
فإن كنت قد ضيعت في شر بلــدة فلست مضيعًا بينهم درر الكلم

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٩٥) .
(٢) المرجع السابق .
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٧-١٠٨) .

فإن فرج الله الكريم بلطفه وأدركتُ أهلًا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدًا واستفدت ودادهم وإلا فمخزون لدي ومكتتم
ومن منح الجهال علمًا أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

قال المزني : قال لي الشافعي : يا إبراهيم العلم جهل عند أهل الجهل، كما الجهل جهل عند أهل العلم ، ثم أنشد الشافعي قائلًا : [1]

ومنزلةُ الفقيه من السفيه كمنزلة السفيه من الفقيه
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه
إذا غلب الشقاء على السفيه تنطع في مخالفة الفقيه [1]

قال أبو موسى المديني: وهذا كما قال - ﷺ -: « **إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ ذَوُوا الْفَضْلِ**» رواه الديلمي وابن عساكر .

فيا أيها الطالب ضع العلم في أهله ، على تفاوت فالذكي يحتاج إلى الزيادة ، والبليد يكتفي بالقليل ، والسفيه يُمنع ويُزجر ، وذوا الشر يُذل ويُحرم ولا يُعان ويكرم ، والجميع يذكر ويوعظ) .

أخي الطالب اعلم - هديت - أن نشر العلم لا يقتصر على صورة واحدة بل صور النشر متعددة من ذلك الخُطبة والمحاضرة والمناظرة والفتيا ومن ذلك أيضًا إهداء الكتب والأشرطة النافعة أو إعارتها ، قال وكيع - رحمه الله -: (أول بركة الحديث إعارة الكتب) [2].

ومن ذلك تأليف الكتب النافعة وطباعتها والعناية بضبطها وتسهيلها

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٨١) .
(٢) الآداب الشرعية (٢ / ١٣٩) .

للناس والتدقيق فيها والإبتعاد عن الإطناب الممل أو الإيجاز المخل إلى غير ذلك فقد كان الخطيب البغدادي - رحمه الله - يقول : (من صنف فقد جعل عقله على طبقٍ يعرضه على الناس) . [١]

وللعلوم رجال يُعرفون بها ... وللدواوين كُتابٌ وحُسابُ

قال ابن خزيمة - رحمه الله - : (كنت إذا أردت أن أصنف الشيئ أدخل في الصلاة مستخيرًا ، حتى يفتح لي ثم أبتدأ التصنيف) . [٢]

وكما أن التأليف وسيلة لنشر العلم والفضيلة فهو أيضًا وسيلة لهدم العلم وبث الرذيلة ولقطاء الكتابة اليوم كُثر ضروا وما نفعوا أفسدوا وما أصلحوا .

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو سودت وجهك بالمداد

وقال آخر : [٣]

زوامل للأخبار لاعلم عندها ... بمتقنها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ... بأوساقه أوراح ما في الغرائد[٣]

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ / ٢٨) .
(٢) المرجع السابق (١٤/ ٣٦٩) .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٥٤٨) .

باب
عدم إدعاء العلم في كل حال

يقول تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء :٨٥].

وقال مخاطبًا نبيه – ﷺ – :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه :١١٤] .

وجاء في البخاري من حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْب –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– ، يَقُولُ : « **قَامَ مُوسَى عَلَيْه السَّلَام ، خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاس أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ ، قَالَ : فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْه ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ، أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ......**» الحديث .

الشاهد من الحديث: أن (**فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ**) . [١]

فإذا حصل هذا العتاب لكليم الرحمن ، وواحد من أولي العزم من الرسل ، فكيف به في حقنا ؟ ، وعليه فلا ينبغي لعالم أو طالب علم إدعاء العلم بلسان الحال أو المقال ، فإدعاء العلم علامة على السفه أو الكبرياء، ورد العلم إلى الله زينة العلماء ، وحلية الأتقياء .

فهذا نبينا – ﷺ – سأله جبريل –عليه السلام –عن الساعة ؟، فقال : (**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**) رواه مسلم من حديث عمر – رضي الله عنه – وكان هذا المنهج هو دأب السلف – رحمهم الله تعالى.

(١) وحاشا أن يقول ذلك موسى ـ عليه السلام ـ عجبًا أو كبرياءً أو سفهًا إنما قال ذلك إخبارًا بحقيقة لا مرية فيها ولا يعلم غيرها أحق منها، ومع ذلك فقد كان العتاب . .

فهذا سحنون بن سعيد -رحمه الله - يقول : (أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علمًا) .

وقال عطاء بن أبي رباح وغيره : (لا أدري نصف العلم)

وقال محمد بن عجلان -رحمه الله - :(إذا أغفل العالم لا أدري، أصيبت مقاتله) . [١]

فالتحليل والتحريم حق لله وحده ،واقتحام ذلك بلا علم، اقتحام لجراثيم جهنم، ويُعد جناية عظمى ومصيبة كبرى ، وسوء أدب مع الله - تعالى -.

ثم احذر أيها الطالب -وفقك الله - التصدر قبل التأهل ،فإنه آفة لم يسلم منها الكثير ، قال عمر- رضي الله عنه - : (تفقهوا قبل أن تُسودوا).[٢]

وقال أبو حنيفة - رحمه الله - : (يازفر لا تحدث قبل وقتك ،فيُستخف بك) . [٣]

وقال: (من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه، لم يزل في ذل ما بقي). [٤]

وقيل للمبرد : لم صار أبو العباس - يعني: ثعلبًا- احفظ منك للغريب والشعر ؟ ،قال لأني ترأست وأنا حدث وترأس وهو شيخ) . [٥]

وقال الشافعي- رحمه الله - : (إذا تصدر الحدث فاته علم كثير) . [٦]

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٢٢).
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٤٧) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٥٥) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٤١) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٤١) .
(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٤١) .
(٦) حرمة أهل العلم (٣٤٧) .

وقال سيد نا عمر– رضي الله عنه–:(من تزين بما ليس فيه ،شانه الله).

وقال ابن عثيمين–رحمه الله– شارحًا : (هذه حقيقة ،إذا تزين الإنسان أنه طالب علم وقام يضرب الجبلين بعضهما ببعض ،وكلما جاءته مسألة شمر عن أكمامه ،وقال أنا صاحبه ،هذا حلال وهذا حرام ،وهذا واجب وهذا فرض كفاية ،وهذا فرض عين ،وهذا اشتراطه كذا وكذا ،وهذا ليس له شروط ،وقام يفصل ويجمل ،ولكن يأتيه طالب علم صغير يقول: (أخبرنا عن كذا ،فإذا بالله يفضحه ويبين أنه ليس بعالم) . [١]

من تحلى بما ليس فيه فضحته شواهد الأمتحان

فاجتنب أيها الطالب هذه الآفة ،التي تمحق العلم والعمل ،وتجلب الهوان لصاحبها ،ولقد قيل : (من تصدر قبل أوانه ، فقد تصدى لهوانه).[٢]

قال ابن الجوزي – رحمه الله – : (فينبغي للإنسان أن يبالغ في معرفة الدليل ،ولا يساكن شبهته، ولا يثق بعلم نفسه ،فنسأل الله السلامة من جميع الآفات) . [٣]



(١) شرح حلية طالب العلم (ص ٤٦).
(٢) المرجع السابق (ص٢٠٨) .
(٣) صيد الخاطر (ص ٥٨٠) .

باب
فهم المتغيرات

فهم المتغيرات، عبارة عن علم يبحث في فهم الأحوال المعاصرة ومعرفة أسبابها وعلاجها ، وأساس هذا العلم القرآن والسُّنَّة وكلام سلف الأمة . وليس هو بعلم جديد أو مجرد ثقافة حديثة ،كما يتصور البعض .

ففي القرآن قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

فسورة التوبة المسماة بالفاضحة بينت كثيرًا من الأقوال والأعمال الفاضحة لأهل النفاق ، من ذلك قول الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٧] .

وقول الله : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [التوبة:٥٦] .

وكذلك الحال في سورة الأحزاب والبقرة والمنافقين ، أما اليهود والنصارى ، فهناك آيات كثيرة فضحت مواقفهم ومكائد ومخططاتهم ، توجد في سورة البقرة والمائدة والتوبة وغيرها .

وأما أدلة السُّنَّة فمتناثرة وواضحة من ذلك :

١- اختياره -ﷺ- للحبشة مكانًا ودارًا لهجرة أصحابه إليها ، لكونه -ﷺ- قد علم أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة، ملك عادل ، لا يظلم عنده أحد . (١)

فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على معرفته - ﷺ - بما يدور حوله وأحوال الأمم المعاصرة .

٢-إختياره - ﷺ - المدينة المنورة دارًا لهجرته بعد أن ربى فيها الأنصار وبايعهم في بيعتي العقبة الأولى والثانية ، وعلم فيهم القوة والأمانة للقيام بدورهم في نصرة دعوته . (٢)

٣-مراسلاته -ﷺ- للملوك والأمراء كلٌ بلسان قومه ، ووصفه إياهم بالعظماء ، وهو إنما يعني عظماء بالنسبة لأقوامهم. (٣)

كل ذلك يشهد لرسول الله -ﷺ- بالفقه والحكمة والرفق وغير ذلك.

ثم إننا لو تأملنا كُتب السلف ،لوجدناها طافحة في ذكر صور ومشاهد من أقوال وأعمال السلف الدالةعلى فهمهم لما يدور حولهم من أحداث ومتغيرات .

فهذا عمر-رضي الله عنه-يقول: (لستُ بالخب ولا الخب يخدعني).(٤)

تنازل الحسن بن على - رضي الله عنهما - بالخلافة لمعاوية - رضي الله عنه - إطفاء للفتن .

(١) انظر الرحيق المختوم (ص ٨١) وما بعدها .
(٢) انظر الرحيق المختوم (ص ١٤٦) وما بعدها.
(٣) انظر الرحيق المختوم (ص ٣٢٠) وما بعدها .
(٤) فقه الواقع (ص ١٨)

موقف الإمام أحمد - رحمه الله - من فتنة القول بخلق القرآن .

عدم مناصحة شيخ الإسلام ابن تيمية لمن وجدهم قد شربوا خمرًا من التتار الذين قد استباحوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فرأى أن في شرابهم للخمر شغلًا لهم عن المسلمين .[١]

مواقف الإمام الشوكاني من الزيدية والتي تثبت حكمته وسعة صدره حينئذ تمكن من قضاء اليمن وشيعةَ اليمن (الزيدية) مُكْرَهِون . مدة أربعين عامًا إلى غير ذلك من الصور الدالة على اهتمام السلف بهذا العلم .

والخلاصة أن فقه الواقع أو فهم المتغيرات ينبغي مراعاته والإهتمام به تحقيقًا للمصالح الشرعية ودرءًا للمفاسد .

ولست أعني بهذا الفقه الذي يتغنى به بعض الجماعات ويتمدحون به كالإخوان المسلمين لا وألف لا ،فهؤلاء إنما أرادوا بفقههم المشؤوم إنزال الكتاب والسُّنَّة إلى واقعهم المعاش وجعلهما تابعًا لا متبوعًا ومقودًا لا قائدًا وهذا والله - هو الجهل بعينه إذ الصواب هو رفع الواقع إلى الكتاب والسُّنَّة . حينئذ تستقيم الحياة - فانتبه وفقك الله - .[٢]



(١) انظر سير أعلام النبلاء .

(٢) قال الشيخ المهدي - رحمه الله تعالي - : وهنالك قاعدة حزبية تقول حيثما كانت مصلحة الحزب فثم شرع الله فمصلحة الحزب مقدمة على مصالح الامة .

الكتاب الثالث
كتاب الأخلاق

بإمكاننا أن نجعل هذا الكتاب على تقسيمين :

التقسيم الأول - [أخلاق طالب العلم في نفسه] .

التقسيم الثاني - [أخلاق طالب العلم مع غيره] .

أولًا - أخلاق طالب العلم في نفسه .

باب
تحري الحق ولزومه

الحق : كل ما ورد في القرآن وصح في السُّنَّة ، وثبت فيه إجماع الأمة، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وقال :﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس : ٣٥] .

وقال : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس : ٣٢] .

أخي طالب العلم - رحمني الله وإياك -، إن من أجمل الصفات وأكرم

الأخلاق التي يلزم طالب العلم ، أن يتحلى بها تَحَرِّيْهِ للحق والجد في طلبه وجعله بمثابة الضالّة المنشودة ، فإنه من جَد وَجَد .

لاسيما وأن الحق واضح أبلج ، والباطل مقطوع لجلج .

قال ابن القيم - رحمه الله - : (نور الحق أوضح من نور الشمس ، فيحق لخفافيش البصائر أن تعشوا عنه) . [١]

وللحق برهان وللموت فكرة ومعتبر للعالمين قديم

وقال آخر :

والحق مثل الشمس يجمل ضوءه للمبصرين ولا يروق لأرمد

مسائل لا بد منها :

وأضع بين يديك أخي - طالب العلم - مسائل في هذا الباب يلزم معرفتها

١- تحري الحق ولزومه واجب :

قال ابن القيم - رحمه الله - : (الواجب هو طلب الحق وبذل الإجتهاد في الوصول إليه بحسب الإمكان) . [٢]

قال ابن باز - رحمه الله - : (الواجب على كل إنسان أن يلتزم بالحق قال الله قال رسول الله وألا يلتزم بمنهج أي جماعة الإخوان المسلمين ولا ...... ولا ...... ولكن يلتزم بالحق ويساعد كل جماعة فيما أصابوا من حق وعليه أن يدور مع الحق حيث دار) . [٣]

---

(١) الفوائد (ص ٨٨) .

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٢٣) .

(٣) فتاوى الشيخ ابن باز (٨/ ٢٣٧) بتصرف .

وسُئل - رحمه الله - بم تنصح الشباب داخل هذه الجماعات ؟

فأجاب : أن يترسموا الحق ويطلبوه ويسألوا أهل العلم فيما أشكل عليهم وأن يتعاونوا مع الجماعات فيما ينفع المسلمين بالأدلة الشرعية لا بالعنف ولا بالسخرية ولكن بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن) . [(١)]

وقال الفوزان - حفظه الله - : (الواجب اتباع الحق مع من كان لا اتباع الرجال المخالفين للحق ، قال الإمام أحمد - رحمه الله - : (عجبت لأقوام يعرفون الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان) . [(٢)]

وقال : (نأخذ من أقوال العلماء والفقهاء ما وافق الدليل من كتاب أو سُنَّة ونترك ما خالف الدليل ونعتذر للعلماء في خطأهم ونعرف قدرهم ولا ننتقصهم قال - صلى الله عليه وسلم - : (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) رواه البخاري رقم (٧٣٥٢) من حديث عمرو بن العاص والخطأ مغفور إذا كان ممن توفر فيهم شروط الإجتهاد) أ . هـ . [(٣)]

٢- الحق ثقيل وطلابه قليل :

قال أحد السلف - رحمه الله - : (الحق ثقيل وطلابه قليل) . [(٤)]

وقال الإمام الحسن البصري -رحمه الله -:(أهل السُّنَّة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعتهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم

---

(١) فتاوى الشيخ ابن باز (٥/ ٢٧٢) .

(٢) فتح المجيد (ص ٣٨٦).

(٣) الأجوبة المفيدة (ص ٤٧) .

(٤) الآداب الشرعية (١/ ٥٠) .

فكذلك فكونوا) . [١]

وقال أبو شامة - رحمه الله- : (حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فالمراد لزوم الحق واتِّبَاعِهِ ، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيرًا ، لأن الحق هو الذي علَيه الجماعة الأولى من عهد النبي - ﷺ- وأصحابه -رضي الله عنهم - ، ولا ننظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم) . [٢]

ياعيني مـاذا تبصرين تكلمي   قولي ولو في الحق طعم العلقم

٣-لزوم الحق نجاة :

قال مالك بن أنس -رحمه الله - : (إن لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة) . [٣]

وفي الأثر : (من صارع الحق صرعه). [٤]

وقال سلمان موصيًا سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - : (اخلص الحق يخلصك) . [٥]

وكتب عمر إلى معاوية - رضي الله عنهما -: (إلزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق ، يوم لا يُقضى إلا بالحق) . [٦]

ولما احتضر أبو بكر أرسل إلى عمر - رضي الله عنهما - : (ياعمر إن وليت على الناس فاتق الله والزم الحق ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت

---

(١) شرح الطحاوية (ص ٢٧٥- ٢٧٦) .
(٢) شرح الطحاوية (ص ٢٧٥- ٢٧٦) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٤٩ - ٥٠) .
(٤) الآداب الشرعية (١/ ٤٩ - ٥٠) .
(٥) الآداب الشرعية (١/ ٤٩ - ٥٠) .
(٦) الآداب الشرعية (١/ ٤٩ - ٥٠) .

موازينه يوم القيامة ، باتباعهم الحق ...) . [(١)]

٤- لزوم الحق عزة وهيبةً ووقارًا :

إي - والله - إن من لازم الحق هابه الخلق ، قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (تكلموا بالحق تعرفوا ، واعملوا به تكونوا من أهله). [(٢)]

وهذا إمامنا الشافعي - رحمه الله- يقول :(ماكابرني أحد على الحق ودافع إلا سقط من عيني ، ولا قبله إلا هبته ، واعتقدت مودته) . [(٣)]

وقال الشوكاني - رحمه الله -:(الرجوع إلى الحق يوجب لصاحبه من الجلالة والنبالة وحسن الثناء ، ما لا يكون في تصميمه على الباطل) . [(٤)]

٥- الجماعة ما وافق الحق :

قال الله تعالى :﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل :١٢٠] .

قال السعدي - رحمه الله - :(أي : إمامًا جامعًا لخصال الخير هاديًا مهتديًا مديما لطاعة ربه مخلصًا له الدين) . [(٥)]

وقال مجاهد - رحمه الله - :(أمة) أي :أمةً وحده . [(٦)]

وهذا ابن مسعود - رضي الله عنه - يقول : - (من كان على الحق فهو جماعة وإن كان وحده). [(٧)]

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٤٩ - ٥٠) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٥٠) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠) . .
(٤) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص٢٨١) .
(٥) تفسير السعدي .
(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٦) .
(٧) الآداب الشرعية (١/ ٤٩ - ٥٠)

٦- الجهر بالحق في موطن الجهر حكمة وفضيلة :

قال تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر :٩٤] .

فَعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ** » رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٠٩).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **أَلا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ ، فَإِنَّهُ لا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ ، وَلا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ ، أَنْ يُقَالَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ** » أخرجه أحمد .

قال أحمد - رحمه الله - :(إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق). [1]

ولقد تأملت أن الجهر بالحق المصحوب بالكلمة الطيبة والإبتسامة الصادقة الممزوج بالحكمة والموعظة الحسَنَة ، من علامات توفيق الله للعبد بل هو من أغلى وأحلى ما يجب أن يتحلى به طالب العلم ، لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، والمتلكم بالباطل شيطان ناطق، والسلامة أن يعافيك الله منهما .

يا لساني كان الكلام حـــرام   فانطقـي اليوم صار السكوت حرام

واعلم هديت ياطالب العلم ، أنه ما قام أحد بالحق لله وفي الله ما قام له أحد، ولو كادت له السماوات والأرض إلا بإذن الله ، فهل من مدكر؟.

(١) الآداب الشرعية (١/ ٥٠) .



إجهر برأيك لا يأخذك ترويع   لا ينفـع السوط إلا وهو مسموع

٧- الرجوع للحق عين التواضع :

نعم إذا كان بطر الحق هو عين الكبر فالرجوع له هو عين التواضع قال - ﷺ - : (الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ [١] وَغَمَطُ النَّاسِ» [٢] ، رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- .

وجاء عند مسلم من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« ...**وَلا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ**».

٨- معيار الحق هو سيرة رسول الله -ﷺ-:

أخي طالب العلم- إن الميزان الذي تعرض الأشياء عليه هو رسولنا الكريم - ﷺ -.

قال سفيان بن عيينه-رحمه الله -: (إن رسول الله -ﷺ- هو الميزان الأكبر فعليه تُعرض الأشياء على خلقه وسيرته وهديه ، فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل) [٣] ، (والله هو الهادي إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم) .



(١) بطر الحق : دفعه ورده .
(٢) غمط الناس : إحتقارهم وازدراءهم .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ١٣٨) .



باب
التواضع للحق وللخلق



أولًا : - التواضع للحق :

التواضع للحق متعة وروضة له طعم خاص لا يعرف لذ ته إلا من تحلى به فجمل به علمه وزين به عمله .

فخليق بطالب العلم أن يصير التواضع له طبعًا فإن لم يكن فليتطبع .

فكريم الأخلاق يأخذ الحق ممن جاء به ولو كان من أشد الناس كفرًا ويرد الباطل أيًّا كان قائله، ولو كان من أعظم الناس إيمانًا جاء في قصة أبي هريرة -رضي الله عنه- مع الشيطان الذي أراد أن يسرق من طعام الزكاة وأبو هريرة أمسكه مرتين ثم أطلقه وفي الثالثة خلى سبيله بعد أن علمه قراءة آية الكرسي عند النوم فأخبر أبو هريرة رسول الله -ﷺ- بالقصة بعد أن سأله رسول الله -ﷺ- عن أسيره ثم قال رسول الله -ﷺ- : «**أَمَا إِنَّهُ كَذُوبٌ وَقَدْ صَدَقَكَ ، تَعْلَمَ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاث ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**» . رواه البخاري رقم (٢٣١١) الشاهد : أن أبا هريرة -رضي الله عنه- أخذ النصيحة ممن رآه يسرق من الزكاة ثلاثًا وتبين له فيما بعد أنه شيطان .

وعَنْ قُتَيْلَةَ بِنْت صَيْفِيٍّ الْجُهَنِيَّة قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَار إِلَى رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، قَالَ: « **سُبْحَانَ اللهِ، وَمَا ذَاكَ؟** » . قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ

وَالْكَعْبَةِ، قَالَتْ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ: « **إِنَّهُ قَدْ قَالَ: فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ** »، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا، قَالَ: « **سُبْحَانَ اللهِ، وَمَا ذَاكَ؟** » .

قَالَ: تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَيْئًا- ثُمَّ قَالَ: « **إِنَّهُ قَدْ قَالَ، فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ** » . رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٦٢١٤) ، والصحيحة (١٣٦) .

الشاهد من الحديث أن رسول الله -ﷺ- أخذ الحق من فم حَبْر يهودي.

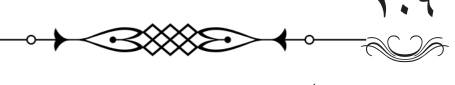
فيا أيها الطالب اعلم هديت أن التواضع للحق علامة كمال العقل وشرف المرء فهذا لقمان الحكيم يقول لابنه : يابني تواضع للحق تكن أعقل الناس) . [١]

وقال مصعب بن عمير- رضي الله عنه- : (التواضع مصائد الشرف).[٢] وفي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« ...**وَلا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ**».

وليُعْلم أن المتواضع أكثر الناس علماً قال عبد الله بن المعتز: (المتواضع في طلب العلم أكثر هم علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً) . [٣]

تواضع إذا ما طلبت العلوم تكن أكثر الناس علماً ونفعًا

(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٦٨) .
(٢) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص ١٢٩) . فيصل الحاشدي .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٢٥) .



وقال آخر :

وكـل مـكـان أشـد انخفاضًا يُرى أكثر الأرض ماءً ومرعى

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات المـاء وهو رفيع

جاء في حرمة أهل العلم : (لا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع وتواضع الطالب لشيخه رفعة ، وذُله له عز وخضوعه له فخر) . [(١)]

وكما أن المتواضع أكثر الناس علمًا فالمتكبر أكثرهم جهلًا ، قال الشافعي -رحمه الله- : (لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذِلَّةِ النفس ، وضيق العيش ، وخدمة العلم ، وتواضع النفس ، أفلح) . [(٢)]

وكان حكيم بن حزام يقرأ على معاذ بن جبل- رضي الله عنهما - فقيل له تقرأ على هذا الغلام الخزرجي ؟، فقال : أهلكنا التكبر . [(٣)]

الكبر حـرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالـي

وهكذا غدا التواضع للسلف سجية لا تفارقهم مع علمهم وفقههم، وزهدهم فهذا ابن مسعود- رضي الله عنه- يقول عن نفسه : (لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي لحثوتم على رأسي التراب) . صحيح أخرجه الحاكم.

قال الشافعي - رحمه الله - : (ينبغي للفقيه أن يضع التراب على

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٠٧)، نقلًا من: حُرمة أهل العلم (ص ٢٠٨) للمُقَدِّم .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٢٥) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧٥) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٩٧) .

رأسه ، تواضعًا وشكرًا لله) . [١]

وروى الخلال عن أيوب السختياني قال : (ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله) [٢] ، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا بلغه لحديث عن الرجل فأراد أن يَسْمَعَهُ أَتَاهُ ، حتى جلس بين يديه ويخفض جناحه ويقول : علمني رحمك الله - مما علمك الله -) . [٣]

قال ابن عباس -رضي الله عنهما - ذُللتُ طالبًا فعززت مطلوبًا) . [٤]

قال ابن القيم - رحمه الله - معلقًا (فهو فقيه مستنبط علامة) .

وهذا الإمام ابن مسعود-رضي الله عنه- من شدة تواضعه كان يكره أن يتبعه أحد ولقد تبعه ذات يوم أناس فقال لهم : (ألكم حاجة ؟، فقالوا: لا ، ولكن أردنا أن نمشي معك، قال : ارجعو ، فإنه ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع) . [٥]

وعن المروذي في وصفه لأحمد:(... وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسئل ، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر) . [٦]

وحضر كبش الزنادقة يومًا فجلس في مجلس أبي عبد الله فقيل له : أي عدو الله أنت في مجلس أبي عبد الله ما تصنع ؟، فسمع أحمد بذلك فقال: من أمركم بهذا ؟، عمن أخذتم هذا ؟ ، دعوا الناس يأخذون العلم وينصرفون

---

(١) سير أعلام النبلاء(١٠/ ٥٣) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٤١) ، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٦٢). .
(٣) الجامع لآداب الراوي والسامع (١/ ٢١٠) .
(٤) حرمة أهل العلم (ص ٢٠٨) .
(٥) الفوائد (ص ١٩٢) وذكر أنه من كلام عمر - رضي الله عنه - .
(٦) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٨) .

لعل الله ينفعهم به) .[١]

تلك هي المآثر النقية والبصمات المضيئة والدرر البهية ، التي رسمها لنا أولئك الأخيار - رضي الله عنهم ورحمهم - .

بحور بـدور غيـوث ليوث   سيوف سهـام صقـور بـزاة

وقال آخر :

لهم حلل قد زينتهم من الهدى   إذا ماتردى ذو الـردا ء بردائه

ومن يكـن الوحي المطهر علمه   فلا ريب في توفيقـه واهتـدائه

وما يستوي تالي الحديث ومن تلا   زخـــارف مـن أهــوائـه وهـذائـه

فما عليك - أيها الطالب - إلا الإقتداء بهم فإنهم الرجال الذين عُرفوا بالحق ، إذا المعلوم قطعًا أن الرجال يُعرفون بالحق ، لا الحق بالرجال .

خلافًا لأصحاب الأراء المعكوسة ، والأفهام المنكوسة الذين يبحثون عن الحق عند فلان وفلان ، فما قالوه فهو الحق ، وما سواه فباطل ، وهذا - والله - عين الباطل .

واعلم أخي - وفقك الله - أن من علامة سعادة المرء ونبله وفلاحه وتقواه ، تواضعه في غير مسكنة ، جاء عند البخاري : « **طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ** » .

جاء في الفوائد : (من علامات السعادة والفلاح ، أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته) .[٢]

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٨-٩) .
(٢) الفوائد (ص ٢٠٤) .

وقال الذهبي – رحمه الله –: (إيثار الخمول والتواضع وكثرة الوجل، من علامات التقوى والفلاح) . [١]

ثانيًا : التواضع للخلق :

قال تعالى : ﴿ **وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر : ٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ** ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان : ١٨] .

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُود –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : « ... **الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاس** » . رواه مسلم .

وعَنْهُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، ...». رواه مسلم .

وعَنْ حَارِثَةَ بْنَ وَهْب الْخُزَاعِيَّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ سَمِعْتُ النَّبيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ : « ... **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ** [٢] **جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ** » . [٣] رواه البخاري ومسلم .

أخي طالب العلم، إن التواضع للخلق علامة على كمال عقل صاحبه، ودليل على رفعته وسموه ، وكبر همته ، لا سيما التواضع للعلماء الربانيين وفقهاء الملة والدين) .

السلف وتواضعهم للعلماء :

الإمام ابن عباس – رضي الله عنهما – أخذ يومًا بركاب زيد بن ثابت

---

(١) تحفة العلماء (ص ٥٧٦) .
(٢) العتل : الشديد من كل شيئ ويقال : رجل عتل : جاف غليظ . المعجم الوسيط (٢/ ٥٨٣) .
الجواظ : المختال المتعاظم .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٢٠٣)

- رضي الله عنه - وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا). [١]

قال الإمام مسلم لشيخه البخاري -رحمهما الله - : (دعني أقبل رجليك ياأستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله) . [٢]

وقال خلف :جاء أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانه فاجتهد ت أن أرفعه فأبى ، وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه . [٣]

وسئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينه - رحمهما الله - عن مسألة فقال : إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا . [٤]

وكان يحيِ بن سعيد يحدث فيسح مثل اللؤلؤ ، إذا طلع ربيعة فقطع حديثه إجلالا لربيعة وإعظامًا له . [٥]

قال ابن معين - رحمه الله - : (إذا حدثت وفي البلد مثل أبي مسهر ينبغي للحيتي أن تُحلق) . [٦]

هذه جملة مختصرة من أخلاق سلفنا وتواضعهم لعلمائهم

واعلم-بورك فيك-أن التواضع ليس مقصورًا على أهل العلم والفضل وإن كان في حقهم آكد بل يلزم التواضع في غير مسكنة لعموم الناس .

وأحسن أخلاق المرء وأتمها تواضعه للناس وهو رفيع

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٩) ، حرمة أهل العلم (ص ٢٠٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢).
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٢٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٠) .
(٥) المرجع السابق (٥/ ٤٧٢)
(٦) التقييد والإيضاح (ص ٢٠٢)

وقال آخر :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلوا بنفسه إلى طبقات الجو هو وضيع

وكما أن التواضع واجب فالكبر حرام وصور الكبر كثيرة ، منها :

١- الكبر بالمال : مع أن المال مال الله من شاء أغناه ومن شاء أفقره ، وإذا شاء سلب ما أعطاه لعبده ، فالجميع لله فقراء ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ [فاطر :١٥] .

٢- الكبر بالجاه والملك : والله و حده مالك الملك : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦** ﴾[آل عمران ٢٦] .

٣- الكبر بالقوة والحسن : وكل ماسوى الله ضعيف ﴿ **وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨** ﴾ [النساء :٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ** ﴾[السجدة : ٨] .

٤-الكبر بالعلم: والكبر بالعلم عين الجهل إذ الأصل في العلم التواضع.

٥- الكبر بالنسب : وهذا النوع من الكبر من أخلاق الجاهلية التي محاها الإسلام﴿ **إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ** ﴾ [الحجرات :١٣] .

وفي الحديث عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ -في وَسَط أَيَّام التَّشْريق فَقَالَ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ**

عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ... » متفق علَيه

لئن فخرت بأباء ذوي نســب لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

وقال آخر :

ليس الفتى من قـال كـان أبي إن الفتى مـن قـال هـا أنـذا

وعليه فإنه لا يشترط الكفاءة في النسب لصحة الزواج على الصحيح كما أفتى بذلك العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - .[١]



(١) إسمع شريط (حقوق المرأة وواجباتها) الشريط الثاني لفضيلة الشيخ - رحمه الله - .

باب
الثبات والتثبت

أولًا: الثبات:

معناه :لزوم الشيئ والصبر عليه حتى النهاية بدون تضجر وتأفف .

وفيه قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

وقال على لسان يوسف عليه السلام -: ﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف :١٠١] .

الشاهد : ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا ﴾ ولقد كان رسولنا الكريم- ﷺ - يدعوا بالثبات فيقول : (**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**) حديث حسن رواه الترمذي من حديث أنس وأم سلمة وشهاب بن كليب الحرمي -رضي الله عنهم - .

وعَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** » رواه البخاري ومسلم ، وسُئِلَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَتْ:« **كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً**» رواه البخاري برقم (٦٤٦٦) .

أيها الطالب : تحل بالثبات واعلم أن الحياة مليئة بالمتغيرات ووسائل

الإنحراف اليوم أضعاف مضاعفة ما كانت عليه بالأمس، فالفضائيات والجوالات والدشوش ،والمذياع والجرائد والمجلات ، ودور السينما وأماكن اللهو ،واللعب بالقمار ، وآلات الطرب وغيرها ، من عوائق الثبات ووسائل الإنحراف كل هذا يحتاج إلى عقيدة صحيحة وإيمان صادق ، يحطم جميع ما سبق ذكره . ما لم فإنك ستتعثر من أول خطوة تخطوها على طريق الإستقامة . وإياك أن تغتر بعلماء ودعاة الإنفتاح والتنوير الذين يزخرفون للناس التراجع والسقوط، تحت مبررات واهية وحجج ساقطة وفتاوى هابطة .

فما يشعر الطالب إلا وقد وقع الفأس على الرأس فاحذرهم أن يفتنوك.

صور الثبات :

للثبات صور كثيرة منهـــا :

الثبات على الحق أمام المغريات .

الثبات على الحق أمام الشهوات .

الثبات على الحق أمام الشبهات .

الثبات على الحق أمام التهديدات .

الثبات عند الطلب فإن من ثبت نبت .

واعلم -بورك فيك- أن سلاح المواجهة للمغريات والشهوات والتهديدات ، هو الإيمان العميق - بالله تعالى - ، فإنه والله السلاح الذي لا يفل ولا يُهزم ، وسلاح المواجهة للشبهات هو العلم الشرعي النافع .



وسائل الثبــات

ومما يعينك أيها الطالب على الثبات الآتي :

(١) الدعاء والتوسل إلى الله تعالى أن يثبتك على دينه .

(٢) الإكثار من النوافل قال الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل :١-٥] .

فالمراد أن هذه الأعمال تعينك على تحمل هذا القول الثقيل وهو القيام بدين الله .

(٣) النظر في قصص السابقين من الأنبياء والصالحين كسحرة فرعون ومؤمن آل فرعون ،وغلام أصحاب الأخدود ،وآسية بنت مزاحم، وأما الأنبياء فكل حياتهم ثبات وعبر، وعلى رأسهم محمد -ﷺ-، وحياة الصحابة جميعها من بعد إسلامهم دروس وعبر، ومن على طريقهم سار من التابعين ومن تبعهم بإحسان من أهل السُّنَّة والأثر وأهل الفقه والنظر، قال الله :﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف :١١١] .

(٤) مجالسة أهل السُّنَّة والأثر وأهل الفقه والنظر إذ المرء على دين خليله.

(٥) انتظار الثواب من الله وحده .

(٦) معرفة عواقب الثبات الحميدة .

هذه وغيرها تعين السائر إلى الله على ثباته على طريق الإستقامة، حتى

النهاية ، والعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية ، فاثبت أخي- ثبتني الله وإياك - على التقوى والدين والمحافظة على سُنَّة سيد المرسلين ، واحذر مكائد الشيطان وغوائله وخطواته، وإجابة دعواته .

فإن فئامًا من الناس قد استجابوا لندائه فسقطوا وتراجعوا ولم يثبتوا على حال ،فتراهم يدور وا مع واقعهم ،حيث دار تحت مسمى فقه الواقع ومواكبة العصر ومماشاة الزمان . وما كان حرامًا عندهم بالأمس صار اليوم حلالًا ، وما لم يكن مباحًا صار مباحًا ،وكل ذلك ليس عن دراسة جديدة وظهور نصوص جديدة صحيحة لم تكن في علمهم من قبل ، فتغيرت الفتوى لديهم ،أو أن هناك علما ء جدد أقوى علمًا وتأصيلًا ممن سبقهم ، كل ذلك لم يكن أبدًا إنما كان تراجعهم وعدم ثباتهم نتيجة أهواء تتبع ، وتلك هي علامة أهل الأهواء والبدع ،فلم يُعرف عنهم أنهم ثبتوا على حال عبر العصور والأزمان ، بل يتقلبون كريشة في مهب الريح -عافانا الله - يصدق فيهم قول القائل :

يدور مع الزجاجة حيث دارت ويلبس للسياسة ألف لبس

فعند الإنجليز يعد منهم وفي باريس نحسبه فرنسي

ثانيًا: التثبت :

ومعناه : التبين والتبصر فيما ينقل إليك من الأخبار وفيما تصدره من الأحكام .

وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات :٦] .

وقرأ ابن مسعود : (فتثبتوا) .

قال ابن جرير - رحمه الله - (امهلوا متى تعرفوا صحته ولا تعجلوا بقبوله... لئلا تصيبوا قومًا براء مما قُذفوا به بجناية بجهالة منكم، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها) [(١)] .

ومن أدلة التثبت قول الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء : ٨٣].

قال السعدي -رحمه الله - : (هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق ، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ، ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين ، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها) [(٢)] .

وقال الفوزان -حفظه الله - : (فالواجب علينا التثبت وعدم التسرع، والله سبحانه أمرنا بالتثبت فيما يختص بالعامة من الأمة ، وجعل أمور السلم والحرب والأمور العامة جعل المرجع فيها إلى ولاة الأمور ، وإلى العلماء خاصة [(٣)] ، ومن الأدلة قول الله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٩] .

(١) تفسير ابن جرير الطبري للآية .
(٢) تفسير السعدي للآية .
(٣) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١٢٢)

قال السعدي - رحمه الله - : (لا تتبع ما ليس لك به علم ، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله) [١] .

ومن الأدلة قول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء : ٩٤] .

قال السعدي - رحمه الله - : (... وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين ، هل يقدم عليها أم لا ؟، فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة ، والكف عن شرور عظيمة ، فإن به يُعرف دين العبد وعقله ورزانته بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها ، قبل أن تتبين له حكمها ، فإن ذلك يؤدي إلى مالا ينبغي) [٢] .

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومن الأدلة ما جاء عند البخاري ومسلم من حَديْث أَبُو ظَبْيَانَ قَالَ : سَمعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْد -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -إِلَى الْحُرَقَة فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ منْ الْأَنْصَار رَجُلًا منْهُمْ فَلَمَّا غَشينَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَكَفَّ الْأَنْصَاريُّ فَطَعَنْتُهُ برُمْحي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدمْنَا بَلَغَ النَّبيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - فَقَالَ : «**يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**» .

حكم التثبت :

مما سبق من الأدلة وغيرها نستطيع القول بأن التثبت واجب .

---

(١) تفسير السعدي للآية .

(٢) تفسير السعدي للآية .

أقسام التثبت :

(١) تثبت فيما يُنقل إليك من الأخبار .

(٢) تثبت فيما تصدره من الأحكام .

السلــف وخُلـق التثبت :

لقد راعى سلفنا الصالح –رحمهم الله– هذا الخلق العظيم بقسميه وصار لهم خلقًا ومنهجًا .

روي أن الإمام الأوزاعي كان قد بلغه أخبار عن أبي حنيفة حتى أنه قال يومًا لابن المبارك : ياخرساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يُكنى أبا حنيفة ، ثم إنه لما قرأ يومًا كتابًا لأبي حنيفة قال لابن المبارك : غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفرالله تعالى ، لقد كنت في غلط ظاهر الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه) .[١]

قال عثمان بن عفان – رضي الله عنه – : (المعرفة بالناس بها يُصاب العدل) .[٢]

وقال أحد السلف :(ما رأيت رجلًا أوزن بقوم من غير محاباة وأشد تثبتًا في أمور الرجال من يحي بن سعيد) .[٣]

قال المعلمي – رحمه الله – : (والحكم في العلماء والرواة يحتاج إلى نظر وتدبر وتثبت أشد مما يحتاج إليه الحكم في كثير من الخصومات ...) .[٤]

وقال ابن باز – رحمه الله – : (الواجب التثبت فإذا أخطأ العالم الداعية أو

---

(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٣).
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٣) .
(٣) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١٣٠) .
(٤) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص١٨٩) .

الداعي إلى الله في مسألة ينبه عليها ولا يسقط حقه فيما أصاب فيه ...).[١]

وقال عبد الرحمن اللويحق - حفظه الله - :والواجب في ذلك (الأقوال المتضاربه في الشخص الواحد) ، أن يتثبت المرء إذ من الخُلق الإسلامي الذي جاء به الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة ، خُلق التثبت وذلك بتمحيص الخبر والتحقيق من صدقه ، قبل إفشائه وإذاعته).[٢]

وعليه فاجعل أيها الطالب تلك الوصايا في محل رعايتك ، وتحلى بالتأمل فإن من تأمل أدرك ، وإياك أن تأخذ الكلام من كل من هب ودرج ، ثم تلقيه على عواهنة تشهيرًا أو قدحًا ، بدون أدنى تبصر وتأمل .

فإنه والله الإفلاس بعينه ، ونعوذ بالله من الإفلاس ، في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .

فالله الله في التثبت والنظر في عواقب الأمور ، لا سيما في زمن قد كثرت فيه الفتن ، وشاعت الشائعات وقل الورع ، وأصبح الحديث في الناس هو حديث أكثر الناس حتى بعض الصالحين -فلا تغتر- ، بل احرص على تطهير سمعك من سماع الغيبة ، لا سيما غيبة العلماء والصالحين ، وطهر لسانك عن القدح في المسلمين ، فإنها البلية وأهلها من شر البرية ، وحسبنا الله ومن كان الله حسبه فقد كفاه .



(١) المرجع السابق (٢٠٢) ..
(٢)قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١٢٨).

باب
الهمـة العاليـة

من أهم أخلاق طالب العلم في نفسه علو همته إذ : (من سجايا الإسلام التحلي بكِبَر الهمة مركز السالب والموجب في شخصك الرقيب على جوارحك كِبَر الهمة يجلب لك -بإذن الله- خيرًا غير مجذوذ لترقى إلى درجات الكمال ، فيجري في عروقك دم الشهامة ، والركض في ميدان العلم والعمل ، فلا يراك الناس واقفًا إلا على أبواب الفضائل ، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور ، والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال ، ويجتث منك شجرة الذل والهوان) . (١)

وعُلو الهمة يعنى : استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور . (٢)

وفي شأن هذه الحلية ورد في كتاب الله أكثر من آية تحثنا على التخلق بها من ذلك قول الله : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ ﴾ [البقرة :١٤٨]،وقوله:﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦]، وقال في معرض وصفه لعباد الرحمن : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان :٧٤] ، فلم يكتف هذا الصنف أن يكونوا من المتقين بل كان طلبهم أغلى وغايتهم أعلى ، فهم إنما أرادوا أن يكونوا أئمة للمتقين في دنياهم وأخراهم فكانوها ، وجاء في السُّنَّة ما يثير الهمم ويقوي العزائم، من ذلك:

(١) شرح حلية طالب العلم (ص ١٢٧) .
(٢) الهمة إلى طريق القمة (ص ١٣).

قوله-ﷺ -:(**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ**) رواه أحمد والترمذي من حديث عباده بن الصامت-رضي الله عنه -وورد بلفظ : (**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ سِرُّ الْجَنَّةِ**) رواه الطبراني وصححه الألباني في الجامع (١/ ٥٩٢) من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه -.

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« **إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -**» رواه ابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٩١)

وعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا** » رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٧٨) .

السلف وعلو الهمة :

لقد وقف سلفنا -الصالح- عند نصوص القرآن والسُّنَّة الآنفة الذكر وغيرها وقفة المتأمل البصير فترجموها في حياتهم أقوالًا وأعمالًا وإليك -أيها الطالب- قطرة من بحر هِمم أولئك الأخيار .

١-يقول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - (إني لأبغض الرجل فارغًا ، لا في عمل دنيا ، ولا في عمل آخره)[1].

٢-وهذا وهيب بن الورد - رحمه الله - يقول : (إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل)[2].

فلا تشتغل إلا بما يُكسبُ العلا ولا ترضى النفس النفيسة بالردى

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٤٢٢) .
(٢) الشباب وعلو الهمة (ص ١٣) .

وقال قتادة : لما احتضر عامر بن قيس بكى فقيل : ما يبكيك ؟، قال : ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الحياة ، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام الليل [١].

ومــن تكن العلياء همة نفسه فكل الــذي يلقاه فيها محبب

روي أن أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه-اجتهد قبل موته اجتهادًا شديدًا فقيل له :لو أمسكت ورفقت بنفسك ؟، قال : إن الخيل إذا أرسلت.

فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك [٢].

قلت للصقر : وهو في الجو عالـي اهبط الأرض فالهواء جديبُ

قال لي الصقر : في جنا حي وعزمي وعنان السماء مرعي خصيب

وعن أنس بن عياض قال : رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له : غدا القيامة ما كان عنده مزيد ا على ما هو عليه من العبادة) [٣].

وكان أبو مسلم الخولاني يقول : (لو رأيت الجنة عيانًا والنار عيانا ، ما كان عندي مستزاد) [٤].

له همم لا منتهى لكبارهــا وهمته الصغرى أجل من الدهر

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩) .
(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٩٣) .
(٣) المرجع السابق (٥/ ٣٦٦) .
(٤) المرجع السابق (٤/ ٩) .

وقال آخر :

معالٍ جـازت الجـوزي جـوازا وحسن قد حوى الحسن وجازا

الإمام الطبري - رحمه الله - قال يومًا لأصحابه : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة فقالوا : هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه . فقال : إنا لله ماتت الهمم . فاختصر ذلك في نحو ثلاثة الآف ورقة ولما أراد أن يملي التفسير قال لهم :نحو من ذلك ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ . (١)

لسان حاله :

ماشاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي ولا ولائـــي ولا ديني ولا كرمـي

وإنما اعتاض شعري غير صبغته والشيب في الشعر غير الشيب في الهمم

عمر بن عبد العزيز -رحمه الله -يقول : (إن نفسي تواقة ، وإنها لم تعط من الدنيا شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه ، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا ، تاقت إلى ما هو أفضل منه (يعني الجنة) (٢)

إذا غامرت في شـرف مروم فلا تقنع بما دون النجـوم

وطعـم المـوت في أمرٍ حقير كطعم المـوت في أمـر عظيـم

أخي طالب العلـم:إن الرحلة في عالم علو الهمة بحرٌ لا ساحل له، وطالب الله والدار الآخرة يكتفي بالإشارة قبل العبارة ، وذوي البصيرة تكفيه صورة .

(١) المرجع السابق (١٤/ ٢٧٤-٢٧٥).
(٢) المرجع السابق (٥/ ١٣٤).

قال ابن القيم – رحمه الله – : (فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار،فالنفوس العلية لا ترضي بالظلم ولا بالفواحش ...) . [١]

وقال ابن الجوزي –رحمه الله – : (عالي الهمة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلا حصلها ، فإن القنوع حالة الأراذل،وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها) . [٢]

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

واعلم –هديت – أن كل شيئ بمستطاعك أن تفعله ليس بمستحيل .

(فمن علامة كمال العقل علو الهمة ، والراضي بالدون الدنيئ) . [٣]

ولم أر في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمام

(فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه،فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض). [٤]

قال –رحمه الله –: (ينبغي لمنْ له أنفةٌ أنْ يأنفَ منَ التقصيرِ الممكن دَفْعه عنَ النَّفس، فلو كانتِ النُّبُوَّةُ –مثلًا– تأتي بكسب، لم يجزْ لهَ أنْ يقنعَ بالولايةِ، أَوْ تَصَوَّر أنْ يَكونَ –مثلًا– خليفةً لم يُحْسِنْ بهِ أَنْ يقتنعَ بإمارةٍ،

(١) الفوائد (ص ٢٢٨) .
(٢) صيد الخاطر (ص ٢٣٨) مختصرًا . .
(٣) المرجع السابق (٦٠) .
(٤) المرجع السابق (٢٣٦) .

ولو صَحَّ لَهُ أنْ يكونَ ملكًا لم يَرضَ أَنْ يكونَ بَشرًا. والمقصودُ أنْ ينتهيَ بالنَّفسِ إلى كمالها الممكنِ لها في العلمِ والعملِ)[١].

قال ابن القيم –رحمه الله –: (... فعلو همة المرء عنوان فلاحه وسفول همته عنوان حرمانه) .[٢]

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمة العلياء ترقى إلى العلا فمن كان أعلى همة كان أظهرا

ولـن يتأخر مـن أراد تقدما ولـن يتقدم مـن أراد تأخرا

ثم اعلم أيها السابق بالخيرات ، أنك ستبتلى وتمتحن على قدر همتك فاثبت واصبر ولا تيأس .

قال ابن الجوزي –رحمه الله – : (من رزق همة عالية يُعذب بمقدار علوها) .

كما قال الشاعر : [٣]

وإذا كـانـت النفوس كـبـارًا تعبت في مرادها الأجسام [٢]

فالنعيم لا يدرك بالنعيم ، ومعالي الأمور لا تدرك إلا بمعاليها ، والفضائل لا تنال بالهوينا ، وأفضل الفضائل وأعلاها طلب العلم الشرعي النافع بتجرد ، وإخلاص وحسن اتباع .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (وأعلى الهمم في طلب العلم طلب

(١) المرجع السابق (٢٠٠) .
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٧١ – ٣٧٢) .
(٣) انتظار الثواب من الله وحده .

علم الكتاب والسُّنَّة ، والفهم عن الله ورسوله نفس المراد ، وعلم حدود المنزل، وأخس هموم طلاب العلم قصرُ همته على تتبع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع ، أو كانت همته معرفة الإختلاف وتتبع أقوال الناس وليس له همة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال ، وقل من ينتفع من هؤلاء بعلمه) . [١] [٢]

فكن رجلاً رجله في الثرى   وهامة [٢] همته في الثريا

وفي الختام أسوق لك أيها الطالب أسباب علو الهمة كي تأتها ، وأسباب دنوها كي تحذرها .

فمن أسباب علو الهمة :

١ – مصاحبة أصحاب الهمم العالية (أهل السُّنَّة والجماعة) .

فصحبة الأخيار للقلب دواء   يزيد للقلب نشاطًا وقوى
وصحبة الجهال داء وعمي   يزيد للقلب السقيم سقما

٢ – النظر في حياة السلف وهمهم العالية :

سلف إذ مر الزمان بذكرهم   وقف الزمان لهم مجلاً مكبرًا

٣ – استشعار المسؤولية .

٤ – رفض الإستعباد من البشر وتوحيد العبودية لله وحده .

٥ – معرفة الهدف الذي يسعى لتحقيقه .

---

(١) صيد الخاطر (ص٥٧٨) . (٢) الفوائد (ص ٩٥) .
(٢) الهامة الرأس .

٦- طلب العلم الشرعي النافع .

٧- انتظار الثواب من الله وحده .

أما أسباب دنو الهمة فمنها :

١- أضداد ما سبق ذكره من أسباب علو الهمة .

٢- عقدة المستحيل ولا أستطيع ولا أعرف .

٣- عدم الثقة بالنفس إذ لا يقتل الطموحات إلا استصغار المرء نفسه لأنه يكبلها بالعجز .

٤- التسويف فإنه من جنود إبليس .

٥- إلقاء التبعة على الغير ونسيان النفس .

٦- حب السلامة .

قال الشافعي -رحمه الله-: (ليس إلى السلامة من الناس سبيل ، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه) . [1]

حب السلامة يثني هم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فإن جنحت إليها فاتخذ نفقًا ... في الأرض أوسلمًا في الجو فاعتزل



(١) الفوائد (ص ٩٥) .

باب الحياء

الحياء خُلق يبعث على فعل الجميل، واجتناب القبيح ويمنع من التفريط والتقصير في حق ذي الحق) . [١]

والحياء علامة على حياة القلب ، فكلما كان القلب أحي كان الحياء أتم .

قال ابن القيم: (الحياء من الحياة وعلى حسب حياة القلب ، يكون فيه قوة خلق الحياء) . [٢]

فحقيق بطالب العلم أن يروض نفسه على أن يتحلى بهذا الخلق العظيم، الدال على كرم عنصر صاحبه .

ولهذا امتدح الله ابنتا صاحب مدين بهذا الخُلق فقال : ﴿ **فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ** ﴾[القصص : ٢٥] .

قال السعدي–رحمه الله –:وهذا يدل على كرم عنصرها وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة) .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : « **كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا فَإِذَا رَأَى شَيْئًا – يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ** » .

تشبه بالرسول تفز بدنيا وأخرى   والشقي من استهانا
فأخلاق الرسول لنا كتاب   وجدنا فيها أقصى مبتغانا

---

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص ٧٤) ، سوء الخلق (ص ٣٦).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (ص ٣٥٣) مختصرًا .

وفي الصحيحين -أيضًا -أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ** » .

وعَنْ أَنَسٍ وابْن عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَام الْحَيَاءُ** » . رواه ابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢١٤٩) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **الْحَيَاءُ مِنَّ الإِيمَان ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ** » رواه أحمدَ والترمذيَ وقالَ حسن صحيح .

وفي الصحيحين عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ** » ، و عَنْ أَنَسِ بْن مَالَك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ-: « **مَا كَانَ الْحَيَاء فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ** ... » رواه أحمد والترمذي وابن ماجة .

عَنْ أَبِي مَسْعُود الْبَدْرِيِّ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** » رواه البخاري ومسلم .

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقي العود ما بقي الحياء

فالحياء زينة العلم وجماله،ورونقه وبهائه،ويكسب صاحبه هيبةً ووقارًا

يُغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يُكلم إلا حين يبتسم

وهو حافظ لماء الوجه - أيضًا - .

حيائي حافظ لي مـاء وجهي ورفـقـي في مكالمتي رفيقي

وقال آخر :

إذا قل مـاء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

واحذر وفقك الله - الخلط بين الحياء الممدوح وبين الحياء المذموم .

فمن صور الحياء المذموم :

١ - الحياء عند الطلب (طلب العلم) .

٢- الحياء عند سؤال أهل العلم .

٣- الحياء من قول الحق .

٤ - الحياء من نشر العلم كالخطابة والدروس والمحاضرات -ونحوها- إلى غير ذلك من الصور التي لا يستحسن الحياء عندها .

وبالجمله يجمل بك أيها الطالب أن تفرق بين مواطن الحياء الممدوح فتأتيها ، وبين مواطن الحياء المذموم فتجنبها ، واحفظ نفسك مما يخدش مرؤتك من الأعمال الدالة على قلة حياء صاحبها ، من ذلك :

(١) المجاهرة بالمعاصي كالتدخين ، وسماع الآت اللهو والطرب ، وحلق اللحى .

(٢) المماطلة بالدين .

(٣) المعاكسات الهاتفية وغيرها .

باب التميــز

تميزك- أخي الطالب اللبيب -عن غيرك من شرائح المجتمع عمدة وضرورة خاصة في عرض طغيان الحياة المادية التي أماتت القيم وقتلت الهمم . أما مجاراة الناس والإنصهار في أباطيلهم وموافقتهم على عوائدهم ذلٌ وانهزام وخزيٌ ووبال .

ولقد ضرب لنا رسولنا الكريم -ﷺ- أروع الصور الدالة على ثباته على الدين وتميـزه عن غيره وذلك حين ساومه كفار مكـة أن يعبد آلهتهم سَنَةً ويعبدوا إلهه سنَةً ، فأمره الله سبحانه أن يقول لهم : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون : ١-٦] مفاصلة وتميـز منقطع النضير .

بل لقد تميز-ﷺ- قبل البعثة عن قومه بأخلاقه الكريمة، وصفاته الحميدة ،حتى لقبه الكفار بـ (الصادق الأمين) ، وكان -ﷺ- الحكم بينهم يوم اختلفوا في وضع الحجر الأسود ،كل هذه دلائل واضحة وبراهين صادقة ،على علو أخلاقه وعظيم تميزه -ﷺ- ، وعليه فتميزك أخي الطالب في رحلتك العلمية والدعوية معًا ، واجب محتم .

إذ بتميزك يعني أنك نقلت للآخرين صورًا حية عن شرف دينك، وجمال دعوتك فملكت القلوب واستقطبت الأرواح .

ويتمثل التميز المرجو لدى طالب العلم -الحبيب - في تمسكه وقبضه

على دينه ، عقيدةً وعبادةً وسلوكًا ، بمعنى أن لا يتميع في دينه وينصهر مع المتفلتين الساقطين ، تحت وطأة طغيان الفساد ، وتكأة ضغط الواقع، ومسايرة المجتمع كما يقال .

يتميز طالب العلم بصحة معتقده عند فساد الإعتقاد ، وبالتزام السُّنَّة عند فشو البدعة ، وبصدق الإيمان عند فشوا النفاق ، وبعبادته إذا الناس يلهون ، وبأخلاقه إذا هجرت القيم ، بصمته إذا كثر الخوض ، بمحاسبته لنفسه إذا أهملها الغير ، بزهده وورعه إذا أقبلت الدنيا على أهلها ، بدعوته وذكره إذ الناس غافلون ، بإنصافه وعدله إذ الناس يجورون ، بوسطيته واعتداله إذ الناس يغلون أو يميعون ، بعزمه وحزمه إذ الناس يتراخون ، بتيسيره إذ الناس يعسرون ، بتأليفه إذ الناس ينفرون ، ببشره وانبساطه إذ الناس عابسون ، بنصحه وبستره إذ الناس يهتكون ويفضحون .

يتميز بسمته ومظهره ، ورائحته ولباسه ، ومشيه وصوته ، وزيارته ومصافحته ، وحديثه وحواره .

لا يخجل من انتمائه لدينه وعقيدته ، لا يخجل من منهاجه منهج سلفه، لا يخجل من أن يتحدث بلغته لغة القرآن ، تميز عام بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان .

ميزوا الأنفس عن رق الهوى وإلى الإسلام سيروا تبعا



باب : الرفــق

ثانيًا : أخلاق طالب العلم مع غيره :

الرفق: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالسهل، وهو ضد العنف.[١]

هذا الخُلق من أهم أخلاق طالب العلم في نفسه ، ومع غيره ، إذ أن الحياة العلمية والدعوية كلها تحتاج أن تكون مصحوبة وممزوجة بهذا الخُلق الحميد ، في غير مسكنة أو ضعف .

فهو أنفذ إلى قلوب الناس ، وبالتالي فثمرته أعظم ونتيحته آكد لذلك كان الرفق هو الأصل في التعامل مع الآخرين بينما الشدة عارض يُلجأ إليها عند الحاجة وأدلة القرآن والسُّنَّة فيما قلناه متضافرة ومتناثرة من ذلك : قول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران ١٥٩] ، وقال : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل ١٢٥] ، وقال : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه ٤٤] .

ومن السُّنَّة : ماجاء عند مسلم من حديث عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ- قَالَ : « **يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ** » ، وعنها أَيْضًا ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « **إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ** » رواه مسلم .

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص ١١٦) فيصل الحاشدي .

وَعَنْ جَرِير – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**» ، رواه مسلم .

وَعَنْ عُبَيْد اللهِ بْنِ زِيَاد – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ** (١) **الْحُطَمَةُ** (٢) » .

وَعَنْ أَنَس بْنِ مَالِك – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**» متفق عليه .

فالناس جميعًا محتاجون إلى التعامل بالرفق واللين ، لاسيما الدعاة إلى الله قال ابن عثيمين–رحمه الله– :(ينبغي للداعية أن يكون لينًا طليق الوجه منشرح الصدر، حتى يكون ذلك أدعى لقبول صاحبه ، الذي يدعوه إلى الله) . (٣)

قال ابن جريج – رحمه الله – : (لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي) . (٤)

ولم أر مثل الرفق في لينه أخرج للعذراء من خدرها

من يستعن بالرفق في أمره يستخرج الحية من جحرها

وقال آخر :

لو سار ألف مُدَجَّجٍ في حاجة لم يقضها إلا الذي يترفق

---

(١) الرعاء : جمع راع والراعي هو من استرعاه الله على خلقه .
(٢) الحطمة : العنيف الشديد الجائر .
(٣) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٢٧١).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٤) .

قال أبو زيد –رحمه الله – : (إلزم الرفق في القول متجنبًا الكلمة الجافية فإن الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة ، وأدلة الكتاب والسُّنَّة في هذا متناثرة) . [١]

وقال ابن عثيمين–رحمه الله–: (والدعوة إلى الله لا بد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسُنَّة ، ولين الجانب وعدم التعنيف واللوم والتوبيخ ، ويبدأ بالأهم فالأهم) . [٢]

أصناف الدعاة :

١–**المفرطون في الرفق** : وهذا الصنف من الدعاة غدا الرفق منهجهم في كل موقف حرموا الحكمة التي تعني وضع الشيئ في موضعه ، ومن حُرم الحكمة فقد حُرم خيرًا كثيرًا ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة ٢٦٩] .

ومن شدة إفراطهم في الرفق أن حصل منهم تراجعًا عجيبًا وكبيرًا في كثير من الأصول والفروع ، تحت مسمى ضغط الواقع فميعوا وضيعوا وضروا ومانفعوا .

٢–**المفرطون في الشدة** : وهذا الصنف حرموا الرفق وغدت الشدة منهجًا لهم بل يعدون ذلك منقبة وميزة يتميزون بها عن غيرهم من الدعاة.

والمؤسف أن هذه الصفة ملموسة عند كثير من طلاب العلم الشرعي .

فبدلًا من أن يكون لهم السابقة الأولى واليد الطولى في الرفق والحلم، والعفو والوجه الطليق ، وعامة المكارم ، ترى ملامحهم تنبأ عن شدتهم

(١) شرح حلية طالب العلم(ص٦٢).
(٢) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٢٧٢) .

وحركاتهم تظهر قساوتهم، وكلماتهم تبرهن على جفائهم وجفاف مشاعرهم.

وهذا الخُلق على وجه الجملة محنة لا منحة ،وبلية لا عطية .

٣-أهل الوسط والإعتدال : هم أهل السُّنَّة والجماعة الجامعون بين الرحمة واللين ، والشدة والغلظة ، وكل في موضعه حسب ما تقتضيه المصلحة ، ومقتضيات الأحوال ، وهذه هي الحكمة بعينها ، إذ أنهم لم يأخذوا جانبًا من هدي السلف ويدعون الآخر .

وهذا الخُلق هو دأب الصالحين وسمت العلماء الربانيين ومنهج أهل السُّنَّة أجمعين.

قال محمد العثيمين-رحمه الله -: (لا بد أن يكون الإنسان رفيقًا من غير ضعف أما أن يكون رفيقًا يمتهن لا يؤخذ بقوله ولا يهتم به ، فهذا خلاف الحزم لكن يكون رفيقًا في موضع الرفق وعنيفا في موضع العنف). [١]

وقال ابن حبان -رحمه الله - : (العاقل يلزم الرفق في الأوقات والإعتدال في الحالات ، لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز ، ومن لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف) . [٢]

صور من الرفق من حياته - ﷺ - :

ولك أيها الطالب في رسول الله-ﷺ-أسوة في التحلي بهذا الخُلق النبيل

١- فهذا أعرابي بال في ناحية من المسجد فَهَمَّ الصحابة بضربه ، فقال - ﷺ - : (**دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاء**) رواه البخاري .

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ

(١) شرح حلية طالب العلم (ص ٦٢ــ ٦٣) مختصرًا .
(٢) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص ١١٩) فيصل الحاشدي

وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ ، قَالَ : « **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ** » رواه البخاري ومسلم

٣-عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** » رواه مسلم

رِفْقُ -ﷺ- حتى مع الحيوان .

وارفق الرفق في كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذممه إنسان

وأما الشدة فمن صورها :

١-قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لَمَّا أَطَالَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ بِالنَّاسِ : فَقَالَ «**يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ**» أَو (فَتَّانٌ) ثَلَاثَ مِرَارٍ . رواه البخاري ومسلم بلفظ « أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فَتَّانًا يَا مُعَاذُ ؟ ».

٢-قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -حِيْنَ عَيَّرَ بلالًا بِأُمِّهِ : « **إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** » رواه البخاري ومسلم .

٣- وعن عائشة - ر ضي الله عنها - أنها قالت : علقت على سهوة لها سترًا فيه تصاوير فلما رآه النبي-ﷺ - هتكه وتغير وجهه وقال : يَا عَائِشَةُ : «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ** » أخرجه مسلم .

٤- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى

النَّبيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا .

قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْه يَوْمئذ ، فَقَالَ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ** » . رواه البخاري

فقسا ليزدجروا ومن يك حازمـًا فليقس أحيانا على من يرحم



باب : الحلـم

لا شك أخي الكريم أن الحلم من أشرف الأخلاق وأنبلها وهو آية على نبل صاحبه وعلو همته ورجاحة عقله وبالحلم يَجْمل العلم .

قال الشعبي - رحمه الله - : (زين العلم حلم أهله) . (١)

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : (ما قُرن شيئ إلى شيئ أحسن من حلم إلى علم ، ومن عفوٍ إلى قدره) . (٢)

فيا رب هب لي منك حلماً فإنني أرى الحِلم لم يندم عليه حليم

إي - وربي- إن في الحلم من الثمار ما لا حد لها ولا عد، لو لم يكن من ذلك إلا أن فيه من رفعة النفس ، وراحة الجسد ، وإجتلاب الحمد، وانشراح الصدور ، وسلامة العرض ، وتأليف القلوب ، وجمال العلم ، ولذة الحياة ، وعظيم الثواب ، لكفى .

فخُلقٌ هذا حاله وثماره خليق بطالب العلم ، بل بكل مسلم أن يتحلى به، ولقد سمى به الله نفسه فقال : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة ٢٣٥] .

قال رجاء بن أبي سلمه: (الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به) . (٣) ووصف به رسوله إبراهيم وولده إسماعيل -عليهما السلام-

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٧٥) .
(٢) المرجع نفسه (٢/ ٢٧٠) .
(٣) المرجع نفسه (٢/ ١٧٥) .

فقال : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ ﴾ [هود ٧٥] .

وقال : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ ﴾ [الصافات ١٠١] ، والمراد بالغلام الحليم في الآية : إسماعيل -عليه السلام- واعلم- هديت - أن الحلم منه طبع ومنه تطبع ، فمن حُرِم الحِلم طبعًا ، فيمكنه الحصول عليه تطبعًا بالمجاهدة والمران .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: « **إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ** » رواه الطبراني وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٣٤٢) .

وقد يكون الحِلم طبعًا جُبِل عليه صاحبه كما جاء في حديث أشج بن عبد القيس - رضي الله عنه -أن النبي - ﷺ - قال له : (إن فيك لخلقين يحبهما الله الحِلم والأناة قال : (أهما خلقان تخلقت بهما أم جبلني اللهُ عليهما ؟ قال : بل جبلك الله عليهما) فقال الحمدُ لله الذي جبلني الله على خلقَين يُحبهما الله ورسوله) وفي ذلك قيل :

لعمرك إن الحِلم زينٌ لأهله ... وما الحِلمُ إلا عادة وتحلم

الإنبياء والحِلم :

لقد ضرب لنا معشر الأنبياء أروع الصور في عالم الحِلم من ذلك :

١ -نبي الله يوسف -عليه السلام- مَنَّ الله عليه بالعلم والحلم وغيرها من مكارم الأخلاق ، فقد تنقل من حالٍ إلى حال رمى به إخوانه إلى الجب، وبيع بثمن بخس دراهم، وعانى الآم الغربة والفراق، لأبويه ووطنه وعاش في السجن بضع سنين ، كل ذلك بسبب إخوانه ولما مكن

الله له قال لإخوانه : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

حلمٌ وعفوٌ وصفحٌ بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان .

٢-نبي الله يعقوب -عليه السلام - ابيضت عيناه من الحزن على فراقه ليوسف -عليه السلام- ثم من بعد يوسف أخيه بنيامين والسبب هم أبناؤه الآخرون .

ولما أن جاءه البشير يبشره بيوسف رُد عليه بصرهُ وجاءه ذاكم الأبناء يطلبون منه أن يستغفر لهم فوعدهم بذلك وأخره إلى وقت السحر كونه وقت أدعى لقبول الدعاء وهذا من عظيم حلمه قال الله عنه : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يوسف : ٩٨].

٣- محمد - ﷺ - : أما رسولنا الكريم فصور حلمه أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر من ذلك:

أ- أثناء عودته - ﷺ - من الطائف:

نزل إليه جبريل وهو في قرن المنازل فناداه قائلًا : (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» رواه البخاري ومسلم .

حِلْمٌ لا يُدْركُ غوره .

ألا يا محب المصطفى زد صبابة　　وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما　　علامة حب الله حب حبيبه

ب-عند فتح مكة :

دخل -ﷺ- وحوله أصحابه المسجد الحرام وطهره من الأصنام وصلى في الكعبة ثم أخذ يخطب أمام قريش الذين لطالما آذوه أشد الأذى وما هاجر يوم هاجر إلى المدينة إلاى بسبب أذاهم ولما أقدره الله عليهم كان مما خطب فيهم أن قال : « **يَا مَعْشَرَ قُرَيْش مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟**، قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخ كَرِيم ، قَالَ : « **فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** » .[(١)]

مـاذا أقـول إذا وصفتُ محمدًا　　عجز البيان ُ وحِلمه لا يفقد

ج-رسول الله مع أعرابي :

عَنْ أَنَس بْن مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وَعَلَيْه بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَليظُ الْحَاشيَة فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بردَائه جَبْذَةً شَديدَةً، قَالَ أَنَسٌ : فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَة عَاتق النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - وَقَدْ أَثَّرَتْ بهَا حَاشيَةُ الرِّدَاء منْ شدَّة جَبْذَته ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ لي منْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ » رواه البخاري ومسلم.

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٣٧٢).

د- رسول الله - ﷺ - مع ابن أبي :

من المعلوم أن عبد الله بن أُبي رأس النفاق ، فعل مع رسول الله -ﷺ- الأفعال النكراء .

ما فعل يوم أُحد وفي المريسيع وتولى كبر الإفك، ويقول كما قال الله عنه: ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ﴾ [المنافقين ٧] .
﴿ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ ﴾ [المنافقين ٨] ،

عَنِ ابْنِ عَبَّاس قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ دُعِيَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - للصَّلَاةِ عَلَيْه ، فَقَامَ إِلَيْه ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْه يُرِيدُ الصَّلَاةَ عَلَيْه تَحَوَّلْتُ حَتَّى قُمْتُ في صَدْرِه فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أَعَلَى عَدُوِّ الله عَبْد الله بْن أُبَيٍّ الْقَائِل يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا ؟ أُعَدِّدُ أَيَّامَهُ ، وَرَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - يَبْتَسِمُ ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْه قَالَ : « **أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ ، إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ ، قَدْ قِيلَ لِي :** ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ **لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ** » رواه البخاري .

هـ - رسول الله مع أبي سفيان بن حرب :

أبو سفيان قبل إسلامه آذى رسول الله -ﷺ- وحرض الناس في أُحد وجيش الأحزاب في الخندق وصده ، وحرضٍ في صلح الحديبية ، وفي الفتح عفا عنه وصفح قائلًا : (**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ**) .[1]

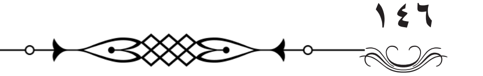
(١) زاد المعاد (٢/ ٢٢٣)

بحر محيط بالحلـوم وكم بدت   من ذاك البحر المحيط جواهر
يعفو ويصفح قادرًا عمن جنى   عملاً بقول الله فاعف واصفح

وجاء الصحابة من بعد رسول الله - ﷺ - فاشتملوا شمائله ، وتحلوا بأخلاقه ، فكانوا خير الناس بعد الأنبياء والرسل .

ثم جاء من بعدهم التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسيرة رسول الله - ﷺ - خير دليل لهم - رحمهم الله أجمعين .





باب العفو والصفح

العفو والصفح ثمرة الحِلم ونتاجه ورد ذكره في أكثر من آية

قال الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقال الله تعالى :﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران ١٥٩].

وقال : ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الحجر ٨٥].

وقال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى ٤٣].

فلن يقوى على التحلي بهذا الخلق إلا الكبار لا أعني كبار السن ولا كبار المناصب ولا ذوي الجاه العريض إنما أعني الكبار في نفوسهم الذين يحلقون في سماء الفضيلة وفي علياء المكارم ونأوا بأنفسهم أن ينزلوا إلى منازل الأقزام الصغار حكي أن المنصور أراد أن يقتص للإمام مالك من جعفر بن سليمان فقال له الإمام مالك: لا فإن الكبار لا ينتصرون لأنفسهم.

وهذا إمام أهل السُّنَّة أحمد - رحمه الله - يقول : (كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعًا وقد أحللت أبا إسحاق يعني : المعتصم - الذي لطالما سجنه وعذبه وامتحنه يقول :لأني قرأت قول الله : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور ٢٢] . [١]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦١).

أخي - حفظك الله - اعلم أن لذة العفو ألذ وأعذب من لذة الإنتقام والتشفي ، به شرف النفس وتعلوا منزلتها وتتقوى أواصر المحبة والمودة بين العباد وهو سبب للمغفرة وحصول الرفعة وما يوفق له إلا ذو حظ عظيم قال الله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت ٣٥].

فكن أيها الطالب رجلًا جوادًا ،وليس الجود مقصورًا على المال فحسب بل من أعظم الجود بالنفس، فتعفوا عمن ظلمك ،وتتنازل عن حقوقك لإخوانك ،وبمثل هذه الأخلاق رفع الله أولئك الأعلام كأحمد وشيخ الإسلام وابن عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين-رحمهم الله رحمة الأبرار.

واعلم -بورك فيك- أن الخطأ في العفو والصفح ، خير من الخطأ في العقوبة .

قال سعيد بن المسيب - رحمه الله - : (لئن يخطئ الإمام في العفو خيرٌ له من أن يخطئ في العقوبة) . [١] وقال جعفر بن محمد - رحمه الله:(لأن أندم على العفو أحب إلي من أن أندم على العقوبة). [٢]

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه إلى الجرائم

وفي الحديث يقول -ﷺ- : (**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يُغْفِرُ لَكُمْ**) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في المسند وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٤٨٢) .

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٥٨) .
(٢) المرجع نفسه (١/ ٢٥١) .

وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - مرفوعا : (صلْ من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك) رواه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٢٥) .

عَنْ أَبِي عَبْد الله الْجَدَلِيِّ يَقُولُ سَأَلْتُ عَائشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- عَنْ خُلُق رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَالَتْ : « **لَمْ يَكُنْ فَاحشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا في الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بالسَّيِّئَة السَّيِّئَةَ وَلَكنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ** » رواه الترمذي وأحمد ، وصححه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية ، (ص ١٢٨) .

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**[١]**، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**» .

أخي - طالب العلم - إن فقدان صفة العفو من شخصك الكريم طريق للتجاوز والبغي والظلم والعدوان . فانتبه - رحمك الله - وروض نفسك على العفو وقبول العذر إذ العذر عند كرام الناس مقبول .

قال عمر - رضي الله عنه - : (أعقل الناس أعذرهم لهم) .[٢]

وقال ابن المبارك - رحمه الله - : (المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب الزلات) .[٣]

وقال الحسن - رحمه الله - : (أفضل أخلاق المؤمن العفو) .[٤]

(١) الصرعة : الذي يصرع الناس ويغلبهم .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٢).
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٩٣).
(٤) الآداب الشرعية (١/ ٧٥).

وهذا الفضيل يقول : (الفتوة الصفح عن زلات الإخوان) . [١]

وكان يقال : (أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلًا من ظلم من هو دونه) . [٢]

وقال الحسن بن علي – رضي الله عنه – : (لو أن رجلًا شتمني في أذني هذه ، وأعتذر في أذني الأخرى لقبلت عذره) . [٣]

أقبل معاذير من من يأتيك معتذرًا إن بر عندك فيما قال أو فجرا
لقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترًا

ولقد كان يقال : (من وُفِّقَ لحسن الإعتذار خرج من الذنب) . [٤]

قيل لي : قد أساء إليك فلان وقعود الفتى على الضيم عار
قلت : قد جاءنا فأحدث عذرا دية الذنب عندنا الإعتذار

ويجمل بك أيها الطالب تلقي المعتذر بالبشر فلا تُذكرهُ بآلام الماضي وتكثر من اللوم والعتاب في حقه .

قال الأحنف : (إن إعتذر إليك معتذر، تلقه بالبشر) . [٥]

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٩٣).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٥٨).
(٣) المرجع السابق (١/ ٢٥١) .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .

ومن اللطائف ما ذكره أبو يعقوب المدني قال : كان بين حسن بن حسن وبين ابن عمه علي بن الحسين شيئ ، فما ترك حسنٌ شيئًا إلا أتّاه وقاله ، وعلي ساكت فذهب حسنٌ ، فلما كان الليل أتاه عليٌّ ، فخرج فقال عليٌّ: يا ابن عمي إن كنت صادقًا فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك ، والسلام عليك ، قال : فالتزمه حسن وبكى حتى رثى له) . [1]

فاحرص أيها الطالب على اتباع من سلف، فالخير كل الخير في اتباعهم، واحذر الهوى فإنه الهوان ، وإياك وما يقدحُ في علمك وأخلاقك وسلفتيك.

وما الإنتقام والإنتصار للنفس أو للشيخ أو للمذهب ، إلا صورة من صور التجاوز والظلم .

وما عدم قبول عذر المعتذر، إلا صورة من صور المخالفة لمنهج السلف.

فخليق بك أيها الأخ الحبيب ، أن تتعامل مع الناس أنهم بشر، خلقوا ضعفاء غير معصومين ، فأقل العثرة واستر العورة ، واجبر الخاطر ، وانزل الناس منازلهم، وراع اختلاف أحوالهم ، فإن ذلك يجمل علمك، ويرفع من قدرك عند الله ، وعند الناس .

وإني لأعفو عن ذنـوب كثيرة ومن دونها قطع الحبيب المواصل

وأعرض عن ذي الذنب حتى كأنني جهلتُ الذي يأتي ولست بجاهل



(١) سير أعلام النبلاء(٤/ ٣٩٧).

باب
حُسن الظن بالمسلمين

من الأخلاق الكريمة التي يلزم طالب العلم مراعاتها الظن بالمسلمين خيرًا عملًا بقول الله : ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢ ﴾ [النور ١٢] .

والتعبير﴿ بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ فيه دلالة بأن المسلمين جسد واحد ، والوقوع في آحادهم وقوع في أجمعهم .

ويقول الله –سبحانه وتعالى– : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ [الحجرات ١٢] .

فسوء الظن مدعاة للتجسس وبالتالي الوقوع في الغيبة المنهي عنها .

وجاء عند البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**»، وعند أحمد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « **حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ** » .

وعليه فإن حُسن الظن بالمسلمين ، هو الأصل ويُثاب المرء على حُسن ظنه بإخوانه ، لا سيما أهل العلم والفضل .

الظن بأهل الأهواء :

أهل الأهواء والبدع ومن ظاهرهم غير العدالة لا يُظن بهم خير .

قال أبو حازم : (العقل التجارب والحزم سوء الظن). [١]

وفي السُّنن مرفوعًا:(إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٣) .

وقال العثيمين - رحمه الله - : (...... لكن إذا عُلِم عن شخص من الناس أنه محل لإساءة الظن فهنا لا حرج أن تسيئ الظن من أجل أن تحترس منه لأنك لو أحسنت الظن به لأفضتَ إليه كل ما في صدرك ولكن ليس الأمر كذلك). [٢]

وقال رحمه الله - : (فالواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة ، أما من ظاهره غير العدالة ، فلا حرج أن يكون في نفسك سوء الظن به،لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم) . [٣]

قلت : هذا في حق من ظاهره غير العدالة من عصاة المسلمين ، أما أهل البدع والخصومات وغيرهم من الفلاسفة والمتكلمين والعقلانيين ونحوهم ، جميعهم بالجملة لا يُحْسَنُ بهم الظن ، ومُجمَلُ أقوالهم وأعمالهم تُحْمَلُ على الشر والضلال فتنبه .

هذا هو الحق ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

وليُعلم أن إحسان الظن بأعداء الإسلام على اختلاف مشاربهم ونحلهم لا سيما من ظاهره الصلاح ، وباطنه الكفر البواح كالرافضة ، يُعد جهلاً فاضحًا وغباءً قادحًا وتمييعًا لعقيدة الولاء والبراء واضحًا .

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٥٥)

(٢) شرح حلية طالب العلم (ص ١٨٩)

(٣) شرح حلية طالب العلم (ص ٢٣٤) ، كتاب العلم (ص ٧٥ــ ٧٦) نحوه .

قال ابن هبيرة - رحمه الله - : (لا يحل - والله - أن يُحسن الظن بمن ترفض ولا بمن يُخالف الشرع في حال) .

وللأسف لقد خدع بالرافضة كثير من أهل الإسلام [١] ،وعلى رأسهم الإخوان المسلمين ، ذبل ومن قاداته ممن ليس عندهم تضلع بالكتاب والسُّنَّة وفهم سلف الأمة ، فعمل هؤلاء المساكين جاهدين في التقريب بين الشيعة والسُّنَّة ، بحجة وجود القواسم المشتركة -زعموا-وقالوا عنهم إخواننا الشيعة-أبعدوا عن الحق وجانبوا- ووصفوهم بالوسطية -وهموا- فإنا لله وإنا إليه راجعون . إذ كيف يُجمع بين حق وباطل، وكفر وإيمان ، وهوى وهدى . والله المستعان.

وعليه فحُسن الظن بأهل الأهواء والبدع وأهل الكفر والضلال ، آية الجهل والغباء أو التغابي المذموم .

حمل المجمل على المفصل :

أهل السُّنَّة يُحمل مجملهم على مفصلهم فالرجل السني إذا صدر منه قول أو فعل مجمل فإنه يُحمل على الخير ، ولا يجوز أن يُحمل على الشر ويُساء به الظن .

وأعنى بالرجل السُّنِّي :كل من لزم منهج السلف-الصالح- وعقيدتهم.

قال ابن عبد البر -رحمه الله- قال عمر -رضي الله عنه -: (لا يحل لأمرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظن بها سوءً وهو يجد لها في شيئ من الخير مخرجًا) . [٢]

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٥٣).

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٥٤).

وقال أيضًا : (لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه) .[١]

قال إسحاق بن إبراهيم : إنه سأل أبا عبد الله عن الحديث الذي جاء : (إذا بلغك شيئ عن أخيك فاحمله على أحسنه حتى لا تجد له محملًا) ما يعني به ؟ قال أبو عبد الله : تعذره تقول : لعله كذا لعله كذا) .[٢]

قال أبو قلابة –رحمه الله – :(إذا بلغك عن أخيك شيئًا تكرهه فالتمس له العذر جهدك فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك لعل لأخي عذرًا لا أعلمه) [٣] .

وقال ابن القيم –رحمه الله– كلامًا قيِّمًا في حمل المجمل على المفصل وحسن الظن: (والكلمة الواحدة يقولها أثنان يريد بها أحدهما أعظم الباطل ويريد بها الآخر محض الحق والإعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه وما يدعوا إليه ويُناظر عنه) [٤].

وقال السعدي – رحمه الله –: (حتى أن النية تجعل اللفظ العام خاصًا والخاص عامًا فينبغي أن يراعى في ألفاظ الناس عرفهم وعوائدهم فإن لها دخلًا كبيرًا في معرفة مرادهم ومقاصدهم) [٥] .

وقال ابن عثيمين – رحمه الله – : (إذا وردت كلمة من إنسان تحتمل الخير والشر فاحملها على الخير ما وجدت لها محملًا لأن ذلك يزيل ما في قلبك من الحقد والعداوة والبغضاء ويريحك فإذا كان الله عزوجل لم يكلفك أن تبحث وتنقب فاحمد الله على العافية وأحسن الظن بإخوانك

(١) الآداب الشرعية (١/ ٥٤).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٠).
(٣) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١١٥)
(٤) من مدارج السالكين (٣/ ٥٢١) .
(٥) تيسير الكريم الرحمن .

المسلمين وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ......) .[١]

وقال الشيخ مقبل – رحمه الله – : (... وعلى كل حال فينبغي أن يُحمل الكلام إذا كان من سني على السُّنَّة وإذا كان من بدعي على البدعة) .[٢]

حمل مجمل العلماء على مفصلهم : إذا كان حمل المجمل على المفصل في حق السني لازم فلا ريب أن ذلك في حق العلماء الأتقياء آكد وأولى.

قال ابن عثيمين–رحمه الله–:(إذا صدر من عالم معروف بالنصح للأمة إذا صدر ما يوهم الحق وما يوهم الباطل فاحمله على أحسن المحملين).[٣]

وهذا الإمام تاج الدين السبكي– رحمه الله – يقول: (ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين وأن تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك ، وإلا فاضرب صفحًا عما جرى بينهم فإنك لم تخلق لهذا فاشتغل بما يعنيك ، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلًا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضيين ويقضي لبعضهم على بعض) .[٤]

ويقول –أيضًا – : (...... فكثيرًا ما رأيت من يسمع لفظة فيفهمها على غير وجهها ، فيغير على الكتاب والمؤلف ومن عاشره واستن بسنته مع أن المؤلف لم يرد ذلك الوجه الذي وصل إليه هذا الرجل ، فإذا كان الرجل ثقة مشهودًا له با لإيمان والإستقامة ، فلا ينبغي أن يُحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تُعُود منه ، ومن أمثاله بل ينبغي التأويل الصالح

(١) الشرح الممتع (٥/ ٣٨٠ـــ ٣٨١) .
(٢) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٢٩٠) .
(٣) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٢٦٥) .
(٤) حرمة أهل العلم (ص ٣٥١).

وحسن الظن الواجب به وبأمثاله) . [١]

وهذا إمامنا الذهبي -رحمه الله- يقول : (وإنما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل فلا تُدفن المحاسن لورطة ولعله رجع عنها قد يُغفر له في استفراغه الوسع في طلب الحق - ولا حول ولا قوة إلا بالله -). [٢]

وخلاصة ما سبق يجب أن يُعلم أن العلماء هم خير أمة محمد -ﷺ- ورثة الأنبياء في حمل الشريعة وتبليغها، فالواجب التماس العذر لهم وإحسان الظن بهم ومناصحتهم والذب عن أعراضهم فهذا هو واجب كل طالب علم وعامة المسلمين .

ولك أيها الطالب في رسول الله أسوة حسُنَّة جاء في البخاري في قصة الحديبية وسار النبي - ﷺ - حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس:(حَل ْ - حَلْ) [٣] فألحت ْ [٤] فقالوا : خلأت القصواء [٥] ، فقال - ﷺ - : (**مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**) .

قال بكر أبو زيد -حفظه الله - :(فقد أعذر النبي - ﷺ - غير المكلف من الدواب باستصحاب الأصل وفي قياس الأولى إذا رأينا عالمًا عاملًا ثم وقعت منه هِنة أو هفوة فهو أولى بالإعذار وعدم نسبته إليها والتشييع عليه بها إستصحابًا للأصل وغمر ما بدر منه في بحر علمه وفضله) إلى أن

---

(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٥١).
(٢) المرجع السابق (ص ٣٧٧) .
(٣) حلِ - حل / كلمة تُقال للناقة إذا تركت السير.
(٤) فألحت / تمادت على عدم القيام وهو من الإلحاح .
(٥) القصواء / إسم ناقة رسول الله -ﷺ-.

قال : نُهينا أن يكون أحدنا عونًا للشيطان على أخيه) . [١]

ومما أرى التنبيه له هنا :

أنه كما يجب أن يُحسن الظن بالعلماء والتماس الأعذار في حقهم فإنه وفي المقابل يلزم العلماء وطلاب العلم البعد عن مواطنٍ الشبه والتهم والأقوال والأعمال التي تقدح في الدينِ والعرض عملاً بقول رسول الله –ﷺ– :(**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**) رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير– رضي الله عنه – وفي الأثر: (من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن) فانتبه يارعاك الله .



(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٧٥).

باب
تقدير العلماء لا تقديسهم



تقدير العلماء واحد من أهم الأخلاق التي يجب على طالب العلم أن يتمتع بها .

من هُمُ العلماء ؟

العلماء : جمع عالم ، والعالم هو من أتصف بالعلم ، ولو كان مبتدئًا في الطلب .[١]

وبالتالي فالعلماء : هم أئمة الأنام وزوامل الإسلام الذين حفظوا على الأمة معاقد الدين ومعاقله وحموا من التغيير موارده ومناهله الذين قال فيهم الإمام أحمد يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمي ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه .[٢]

وهم العارفون بشرع الله المتفقهون في دينه العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة الذين وهبهم الله الحكمة: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة ٢٦٩] ، وهم عصمة للأمة من الضلال وهم سفينة نوح من تخلف عنها لا سيما في زمن الفتن كان من المغرقين) .[٣]

(١) شرح الرحبية (ص ٥) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ١٦٩) .
(٣) المرجع السابق (ص ١٧٤ــ ١٧٥) .

(وهم ولاة أمورنا أوجب الله طاعتهم وهم أمن الناس عند الفتن يعلمون بالفتن عند إقبالها وقبل وقوعها .

قال الله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [النساء ٨٣] ، (وهم حراس الدين وحماته من الإبتداع والتحريف). [١] (وهم حياة الناس قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول :(إنما يحيا الناس بالمشايخ فإذا ذهب المشايخ فماذا بقي) . [٢]

وقال عنهم ميمون بن مهران :-(هم ضالتي في كل بلد وهم بغيتي إذا لم أجد هم وجدت صلاح قلبي في مجالستهم) . [٣]

أصناف الناس من العلماء : [٤]

الناس من العلماء طرائق قددَ وأصناف شتى :

١ - قوم غالوا في العلماء ورفعوهم فوق منزلتهم الشرعية ، فقدسوهم تقديسًا وقلدوهم تقليدًا ، فلم يرفعوا بالدليل رأسًا وفي هؤلاء شبه بالروافض مع مراجعهم الشيعية وباليهود مع أحبارهم ورهبانهم . عافانا الله -.

٢- قوم أهدروا مكانة العلماء فلم يقدروهم وجعلوهم كعامة الناس فضلوا وأضلوا .

٣- قوم رأو للعلماء منزلتهم لكنهم لم يعاملوهم باعتبارهم بشرًا

(١) المرجع السابق (ص ١٧٤ـ ١٧٥) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٢٣) .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ١٦٩) ..
(٤) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٨٠ - ٩٠) باختصار وتصرف يسير .

بل تعاملوا معهم بغير المقاييس البشرية فما إن يصدر من أحدهم خطأ أو هفوة أو زلة إلا وطاروا بها كل مطار تشنيعًا وتشهيرًا ، فجمعوا بين التعظيم والإهدار.

٤- قوم أنزلوا أهل العلم منازلهم الشرعية فهم يتقربون إلى الله بحبهم وتقديرهم وفي المقابل لا يُعصِّمُونَ ولا يُؤَثِّمُون فيرون جواز وقوع الخطأ من آحادهم باعتبارهم بشرًا، والخطأ الصادر منهم لا يهدر مكانتهم العلمية ولا ينقص من أقدارهم ويرون أن نصحهم واجب باعتبارهم من أئمة المسلمين ولا يرون متابعتهم في أخطائهم إذ حق الشريعة آكد حقًا منهم وهذا الصنف هم أهل الحق والإعتدال - جعلنا الله منهم - .

مكانة العلماء وفضلهم في القرآن الكريم والسُّنَّة :

أولًا : العلماء في القرآن : لا ريب أن الله عز وجل - أثنى على العلماء في كثير من آياته من ذلك قول الله - تعالى - :﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة ١١] .

وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته على أعظم مشهود توحيده في أولوهيته فقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران ١٨] .

وأثبت لهم الخشية منه ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر ٢٨] .

وميزهُم عن غيرهم، فقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر ٩] .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على قدرهم وعلوهم على من سِواهم.

ثانيًا : العلماء في السُّنَّة :

نصوص السُّنَّة متناثرة في تبيين منازل أهل العلم من ذلك حديث أَبِي أُمَامَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**» . رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٣٤] .

وَعَنْ أَنَس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْ صَاحِبُ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ**» . عزاه الألباني إلى أبي يعلى في مسنده وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٤٧).

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « **فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِب ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاء ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَلَكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** » .رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة وصحح البخاري بعض طرقه .

العلم ميراث النبي كذا أتى   في النص والعلماء هم وراثه

ما ورث المختار غير حديثه   فينا فذاك متاعه وأثاثه

فلنا الحديث وراثة نبوية   ولكل محدث بدعة إحداثه

مكانة العلماء عند السلف لا سيما أكابرهم :

المتتبع لأقوال السلف ومواقفهم يجدها صورًا مشرقةً ، تثبت مكانة

العلماء في نفوسهم وقلوبهم .

فهذا الإمام ابن عباس -رضي الله عنهما- يأخذ بركاب زيد بن ثابت -رضي الله عنه- وقال :(هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

وقال سمرة بن جندب : لقد كنتُ على عهد رسول الله -ﷺ- غلامًا فكنتُ أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالًا هم أسن مني) متفق عليه .

وعن يحي بن سعيد قال : ذكر عمر فضل أبي بكر فجعل يصف مناقبه ثم قال : (وهذا سيدنا بلال حسنه من حسناته) [١] - رضي الله عنه- .

قال المروذي : كان أبو عبد الله من أشد الناس إعظامًا لإخوانه ومن هم أسن منه لقد جاءه أبو همام راكبًا على حمار فأخذ له أبو عبد الله بالركاب ورأيته فعل هذ بمن هو أسن منه من الشيوخ) . [٢]

وقال أحمد لخلف الأحمر : (لا أقعد إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه) . [٣]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبي أي رجل كان الشافعي فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ؟ قال : (يابني كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فهل لهذين من خلف أومنهما من عوض) . [٤]

(١) حرمة أهل العلم (ص ١٨٩) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٣٤٣).
(٣) جامع بيان العلم (١/ ١١٢) .
(٤) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٦٢).

وفي المقابل يقول الشافعي في أحمد - رحمها الله - :

قــالـوا يــزورك أحمــدٌ وتــزوره   قلت : الفضائل لا تغادر منزله
إن زارني فبفضله أو زرتــه   فلفضله والفضل في الحالين له [١]

أي - والله - إنه إمام أهل السُّنَّة وكفى . [١]

إذا مُيز الأشياخ يومًا وحصلوا   فأحمد من بين المشايخ جوهر
إذا افتخر الأقــوام يومًا بسيد   ففيه لنا والحــمــد لله مفخر
فيا أيها الساعي لتدرك شأوه   رويــدك عن إدراكــه ستقصر
حمى نفسه الدنيا وقد سنحت له   فمنزله إلا من القوت مقفر
فــإن يك في الدنيا مقلًا فإنه   من الأدب المحمود والعلم مكثر

قال الطحاوي -رحمه الله- في عقيدته المشهورة : (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل) . [٢]

قال شارحه ابن أبي العز-رحمه الله-:(كل أمة قبل مبعث محمد -ﷺ- علماؤها شرارها إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم فإنهم خلفاء الرسول من أمته والمحيون لما مات من سنته فبهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا). [٣]

---

(١) حرمة أهل العلم (ص ١٩٠) .
(٢) مختصر شرح الطحاوية (ص ٢٣٢).
(٣) مختصر شرح الطحاوية (ص ٢٣٢).

وذكر بعض الشافعية أن حق العالم آكد من حق الوالد لأنه سبب لتحصيل الحياة الأبدية والوالد سبب لحصول الحياة الفانية وعلى هذا تجب طاعته وتحرم مخالفته) . [١]

أفضل أستاذي على فضل والدي وإن نالني من والدي المجد والشرف

فهذا مربي الروح والروح جوهر وذاك مربي الجسم والجسم كالصدف

واجبنا نحو العلماء :

١ - تقديرهم لا تقديسهم بالإتفاق :

قال ابن حزم -رحمه الله - : (اتفقوا على إيجاب تقدير أهل القرآن والإسلام والنبي -ﷺ- وكذلك الخليفة والفاضل والعالم) . [٢]

قال طاووس بن كيسان-رحمه الله -:(إن من السُّنَّة أن توقر العالم) . [٣]

وقر مشايخ أهل العلم قاطبة حتى توقر إن أفضى بك الكبر

وأخـدم أكابرهم حتى تنال به مِثلًا بمثل إذا ما شارف العمر

قال أبو حاتم الرازي -رحمه الله- : (ما رأيتُ أحدًا أعظم من أبي مسهر ، كنتُ أراه إذا خرج إلى المسجد اصطف الناس يسلمون عليه ويقبلون يده) . [٤]

وكان الإمام مالك -رحمه الله-يقول : (توقروا فإنه عونٌ لكم وليعرف

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٣٦١).
(٢) المرجع نفسه (١/ ٣٣٦).
(٣) جامع بيان العلم (١/ ٢٠٦).
(٤) حرمة أهل العلم (ص ١٨٩).

صغيركم حق كبيركم) .[١]

٢- الأخذ عن الأكابر :

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (لا يزال الناس بخير ماأخذ وا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا) .[٢]

ويُروى عن عائشة - رضي الله عنها - : (أمرنا رسول الله أن ننزل الناس منازلهم) رواه مسلم في مقدمة صحيحة تعليقًا بصيغة التمريض .

وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :(واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعًا بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل) .[٣]

قال ابن سيرين -رحمه الله - :(إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) .[٤]

وللأسف أننا نلمس أن منابر الدعوة قد تقحمها وتصدرها أقزامٌ صغار وفوق ذلك أهل أهواء فخلطوا الغث والسمين وجاءت الفتاوى الهابطة التي تنبأ عن إفلاسهم العلمي والأراء الشاذه وأتو بالعجب العجاب والأعجب والأغرب أن هؤلاء ذاع صيتهم ورفع قدرهم وأخذ عنهم .

متى يصل العطاش إلى ارتواء ... إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثني الأصاغر عن مراد ... إذا جلس الأكابر في الزوايا
وإن ترفع الوضعاء يومًا ... على الرفعاء من إحدى الرزايا

---

(١) ترتيب المدارك (١/ ١٥٤) ، نقلاً من حرمة أهل العلم (ص ١٩٤) للمُقَدِّم .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٩٣) ، نحوه .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٤) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٢٣).

٣- مجالستهم : وسأفرده قريبًا هنا في موضوع مستقل -بإذن الله- .

٤-هيبتهم والتأدب معهم .

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن حديث ما منعني منه إلا هيبته) . [١]

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : (من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس ولا تشر بيديك ولا تغمز بعينيك ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه ولاتلح عليه في السؤال فإنه بمنزلةالنخلة المرطبة لايزال يسقط عليك منها في شيئ) . [٢]

وعن الربيع بن سلمان قال : (والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له). [٣]

وقال الشافعي - رحمه الله - في شأن مالك : (كنت أكون في مجلسة فاصفح الورقة تصفحًا رفيقًا هيبةً له لئلا يسمع وقعها) . [٤]

وقال فيه ابن الخياط :

يدع الجـواب فلا يُراجع هيبة   والسائلون نواكس الأذقـان

نور الوقار وعز سلطان التقي   فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال أحمد : لزمت هُشيْمًا أربع سنين ، ما سألته عن شيئ إلا مرتين

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٠٥)
(٢) المرجع نفسه (١/ ٢٧١).
(٣) حرمة أهل العلم (ص٢٠٥) .
(٤) حرمة أهل العلم (ص٢٠٥) .

هيبة له) . [١]

وكان وكيع بن الجراح يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر منهم شيئًا انتعل ودخل) . [٢]

وقال مغيرة : كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبة الأمير). [٣]

وقال محمد بن مسلم : كنا نهاب أن نراد أحمد بن حنبل في الشيئ ، أو نحاجه في شيئ من الأشياء ، يعني لجلالته ولهيبة الإسلام الذي رزقه). [٤]

يُغضي حياءً ويُغضي من مهابته فـما يكلم إلا حـين يبتسم

٥- التواضع لهم :

عن عبادة مرفوعًا : (ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعر ف لعالمنا حقه) رواه أحمد

وهذا سيدنا عمر - رضي الله عنه - يقول: - (تواضعوا لمن علمكم وتواضعوا لمن تعلمون) . [٥]

وقبَّل الإمام مسلم بين عيني شيخه البخاري ، وقال : (دعني حتى أقبل رجليك ، يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله ...). [٦]

---

(١) حرمة أهل العلم (ص٢٠٥) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص٢٠٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٨) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٤) .
(٥) المرجع نفسه (١/ ١٩٢) .
(٦) المرجع نفسه (٣/ ٤٣٣) .

وقال أحمد : (أُمرنا أن نتواضع ، لمن نتعلم منه). [١]

وقال ابن معين :(الذي يحدث بالبلدة وبها من هو أولى منه بالحديث ، فهو أحمق) . [٢]

ولقد ذكر عند الإمام إبراهيم بن طهمان وكان متكئًا من علةٍ فاستوى جالسًا ، وقال : لا ينبغي أن نذكر الصالحين فنتكئ) . [٣]

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وإن أخس النقص أن يتقي الفتى قذى النقص عنه بانتقاص الأفاضل

٦- غض الطرف عن مساويهم وعدم اتباعهم فيها :

قال العلامة طاهر الجزائري : (عدوا رجالكم واغفروا لهم بعض زلاتهم ، وعضوا عليها بالنواجذ ، لتستفيد الأمة منهم ، ولا تنفروهم لئلا يُزهدوا في خدمتكم) . [٤]

وقال أبو عبد الله : ليس في الدين محاباة) . [٥]

وقيل ليحي بن سعيد : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله ؟ ، قال : ذاك أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله -ﷺ- يقول : لِمَ حدثت عني حديثًا ترى أنه كذب) . [٦]

(١) تذكرة السامع والمتكلم (ص٨٨)، نقلاً من قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٨٢).
(٢) التقييد والإيضاح (ص ٢٠٢) .
(٣) الآداب الشرعية (٢ / ٢٥).
(٤) حرمة أهل العلم (ص ٣٢٦).
(٥) الآداب الشرعية (٢ / ١٢١).
(٦) حرمة أهل العلم (ص ١٧٥).

وقال مهنا لأحمد : كان غندر يغلط ؟ ،قال : أليس هو من الناس ؟ .

مـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قط ومـــن لـــه الحـســنى فقط

وقال آخر :

أتــرجــوا مــبراءً لاعـيــب فيه وهــل نــار تـفــوح بــلا دخــان

٧ – حفظ الجميل وعدم التنكر لفضلهم :

وسأفرده عقب هذا الموضوع – بإذن الله تعالى –.

فكأني بأخي الطالب بعد هذا العرض السريع لأقوال السلف ومواقفهم من معلميهم ،قد عزم على الإقتداء بسلفه ،وعدم التعرض لقادة الأمة وأئمتها بسوء ،حتى تكون سلفيًا قولًا ومضمونًا ،فإنه من لا ماضي له، فلا حاضر له .



باب
حفظ الجميل



من أكرم الصفات وأنبل الأخلاق حفظ الجميل ، وشكر المحسن، ومن أقبحها الجحود والتنكر ، لا سيما تنكر الطالب لشيخه ، الذي لطالما أفاد ه وعلمه ، وغذاه وأدبه ، واعتنى بتربية روحه وتزكية نفسه ، وتحسين أخلاقه .

ولزلة أو هفوة أخذ يجحد كل ما مضى من إحسانه إليه ، ويقول بقول كافرة العشير : (**مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا**) رواه البخاري رقم (٥١٩٧) من حديث ابن عباس ثم مضى يهجر ويُبدع ويسخر ويشنع .

يصدق فيه وفي أمثاله قول الشاعر :

فيا عجبًا لمن ربيت طفلًا   ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني
أعلمه الفتوة كل حين   فلما طر شاربه جفاني
وكم علمته نظم القوافي   فلما قال قافية هجاني

أخي الكريم أزرع جميلًا تجد غبة [١] واحفظ جميل غيرك يُحفظ جميلك إذا الجزاء من جنس العمل والكريم من الناس من راعى إحسان غيره له

---

(١) غبة / عاقبتة .

ولو يومًا أو لحظة) .

قال الشافعي - رحمه الله -: (الحر من راعى وداد لحظة وانتمى لمن أفاده لفظة) . [١] وكان محمد بن واسع - رحمه الله يقول -:(لا يبلغ العبد مقام الإحسان ، حتى يحسن إلى كل من صحبه ولو ساعة) . [٢]

ولك أيها الطالب في رسول الله أسوة فقد كان -ﷺ- إذا ذبح شاة قال: (**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**) رواه البخاري ومسلم ، وعرف يومًا صوت هالةَ بنتَ خويلد - رضي الله عنها - وهي تستأذن الدخول عليه ، ففرح وقال :(**اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**) رواه البخاري ومسلم .

بل إن من علو أخلاقه وغاية إحسانه وأقصى وداده أن حفظ الجميل حتى لبعض الكفار ، روى البخاري أنه لما عاد رسول الله من الطائف وأراد دخول مكة نزل في جوار المطعم بن عدي وهو مشرك فأجاره ، فلما جاء يوم بدر وأسر من المشركين سبعين ، قال -ﷺ- : «**لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ**» .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللهَ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ** » رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٢١)

عَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**» . رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب .

---

(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٦٢).

(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٦٢).

باب
المجالسة للعلماء



إن مجالسة الصالحين لا سيما أئمتهم روضة والنظر إلى وجوههم متعة. من تعلق بهم جنى طيب الثمار وعاد محملًا بكنوز العلم والأزهار وتحلى بأخلاق الكبار .

يفوحون لجلاسهم بالمسك والعنبر ومختلف الفوائد والدرر . من عاش في ظلهم فقد بَعُد عن الشقوة، وقرُب من الحبور والنعمة ، بل هم لطلاب العلم الضالة المنشودة والبغية المطلوبة لا يزال الناس يرحلون إليهم في كل عصر وإلى كل مصر، فعادوا بالعلم والأدب وصلاح القلب والجسد .

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : (من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم) . (١)

وقال أبو جحيفة - رحمه الله - : (جالس الكبراء وخالل العلماء وخالط الحكماء) . (٢)

عليك بأهل العلم فارغب إليهم   يفيدوك علمًا كي تكون عليمًا
ويحسب كل الناس أنك منهم   إذا كنت في أهل الرشاد مقيمًا

وعن الأوزاعي - رحمه الله - : (الناس عندنا أهل العلم ومن سواهم

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٢٣٠) .
(٢) المرجع نفسه (١ / ٢٢٩) .

فليس بشيئ). [١]

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يُحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال عبد الرحمن بن مهدي : (كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم ، فهو يوم غنيمته ، ساله وتعلم منه ، وإذا لقي من هو دونه في العلم علَّمه وتواضع له ، وإذا لقي من مثله في العلم ذاكره ودارسه) . [٢]

قال الحسن البصري - رحمه الله - :(الدنيا كلها ظلمة ، إلا مجالس العلماء) . [٣]

قال أبو عبد الله :(إنما يحيا الناس بالمشايخ ، فإذا ذهب المشايخ فماذا بقي ؟!) . [٤]

أخي - حفظك الله - إعلم أن تلقي العلم من أفواه الرجال أكثر ثمرًا وأغزر علماً وأخصر وقتًا من تلقيه من بطون الكتب -وفي كل خير -.

قال أبو زيد-رحمه الله - : (الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأسانيد والمثافنة للأشياخ ، والأخذ من أفواه الرجال ، لامن الصحف وبطون الكتب). [٥]

(١) حرمة أهل العلم (ص ١٧٣) .
(٢) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٨٦) .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٩٧) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٢٣) .
(٥) شرح حلية طالب العلم (ص ٨٨) .

قال الوليد : كان الأوزاعي يقول : (كان هذا العلم كريماً يتلاقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب دخل فيه غير أهله) . [١]

وقال الشافعي - رحمه الله - : (من تفقه من بطون الكتب ، ضيع الأحكام). [٢]

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة يكن من الزيغ والتحريف في حرم

ومن كان أخذه للعلم عن كتب فعلمه عند أهل العلم كالعدم

وقال آخر :

من لم يشافه عالمًا بأصوله فيقينه في المشكلات ظنونه

وتخير أيها الطالب ممن له على العلم الشرعي سعة اطلاع ، وعظيم باع ، وهدى وورع ، فتحصل على أدب درس وأدب نفس معًا .

قال ابن جماعة -رحمه الله -: (... وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الإطلاع ، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره ، كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق) . [٣]

ويقول الشيخ محمد عوامة : (وبالتلقي عن الأستاذ يحصل الطالب على خيرين ، يحصل على العلم الصافي المحقق ، ويحصل على الأدب مع

(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٤٤) .
(٢) المرجع نفسه (ص ٣٣٥ -٣٣٦) .
(٣) المرجع نفسه (ص ٣٣٥ -٣٣٦) .

العلماء والشيوخ ... فمنهم يرث العلم والأدب) . [١]

وصاحب إذا صاحبت حرًا فإنما يزين ويـزري بالفتى قرناؤه

وكن أيها الطالب عند الطلب على أن تسمع ، احرص منك على أن تقول .

قال الحسن ابن علي - رضي الله عنهما - : (يابني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وتعلم حُسن الإستماع، كما تتعلم حُسن الصمت) . [٢]

إن أنت جالست الرجال أولي النهى فاجلس إليهم بالكمال مؤدبا

واسمع حديثهم إذا هم حدثوا واجعل حديثك إن نطقت مهذبًا

وخلاصة ما سبق اعلم : وفقك الله لرشدك - أن العلم كنز ثمين ، لن يظفر به إلا من جد في طلبه ، وسعى في حصوله ، وأن من دخل فيه وحده ، خرج وحده ، فمعالي الأمور لا تُنال إلا بمعاليها ، والنعيم لا يدرك بالنعيم .

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وتلقين أستـاذ وطـول زمان

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

(١) المرجع نفسه (ص ٣٣٥ -٣٣٦) .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣٥) .

باب
حفظ الأسرار



ومن أجل أخلاق طالب العلم مع غيره حفظ أسراره ، فأسرار الغير أمانة استودعها صاحبها عندك ، فلا تفرط في السر في حال الرضا والغضب ، والصداقة والعداوة ، إذ :

ليس الكريم الذي إذ زل صاحبه بث الذي كان من أسرار ه علما
بل الكريم الـذي تبقى مودته ويحفظ السر إن صافى وإن حرما

وقال آخر :

وترى الكريم إذ ا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الإحسانا
وتـرى اللئيم إذا تقضي وصله يخفى الجميل ويظهر البهتانا

نعم - والله- إن حفظ السر علامة على نبل صاحبه ، ورزانة عقله ، وعلو أخلاقه ، وعظيم أصله .

لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**». رواه أبو داود والترمذي وأحمد ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٨٦) .

ثم إنه ينبغي على من له سر من الأسرار أن لا يفشيه ؛ إلا لمن يعرف أمانته وورعه، فإن استودعه عند غيره فأفشاه،فلا يلومن إلا نفسه ، قال عمرو ابن العاص -رضي الله عنه - : (ما وضعت سري عند أحد فلمته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به). [1]

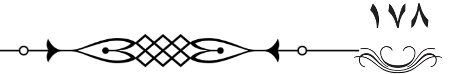
وفي ذلك أنشأ الشافعي -رحمه الله- يقول :

إذا المرء أفشى سره بلسانه   ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذي يستودع السر أضيق



(١) روضة العقلاء (ص ٣١١) .



باب
صنع المعروف



خليق بطالب العلم أن يزرع المعروف مع غيره فمذاق المعروف حلو وصنعه صدقة، قال-ﷺ- :(كل معروف صدقة) رواه البخاري ومسلم.

وتعقل - أيها الطالب- في صنع المعروف الآتي :

١-تعود فعل المعروف حتى يصير لك عادة :

قال ابن عقيل -رحمه الله- : «الخير بالتعود» . [١]

تعود فعل الخير فكل ما تعوده الإنسان صار له خُلقا

قال زيد بن على بن الحسين - رحمه الله -:(ماشيئ أفضل من المعروف إلا ثوابه وليس كل من يرغب فيه يقدر عليه) . [٢]

٢- أكثر من المعروف فليس فيه إسراف :

قال عمروا بن العاص -رحمه الله - : (في كل شيئ إسراف إلا في إتيان مكرمة ، أو اصطناع معروف ، أو إظهار مرؤة) . [٣]

٣ - اصنع المعروف إلى كل أحد إلا اللئيم :

ولقد كان يُقال : (اصنع المعروف إلى كل أحد فإن كان من أهله فقد

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٨٨) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٧) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٧) .

وضعه في موضعه وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله) . [١]

لا تمنعن يد المعروف من أحد ما دمت مقتدرا فالسعد تارات

قلتُ : مالم يكن لئيماً تعرفه فإكرام اللئيم مضر بصاحبيه

قال المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقال آخر :

ومن يجعل المعروف في غير أهله يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

وصدق من قال :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

٤- لا تنتظر شكرًا من أحد :

كتب أحد الفضلا ء لبعض إخوانه : (... أما بعد : فإن من قضى الحاجات لإخوانه واستوجب الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم لأن المعروف إذا وضع عند من شكر ه فهو زرع لا بد لزارعه من حصاده أو لعقبه من بعده) . [٢]

وقال بعضهم : (لا يزهدنك في المعروف كفر من كفر فإنه يشكرك عليه من لا تصنعه إليه) . [٣]

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٧) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٩٨) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٧) .

قال الشيخ محمد المهدي -حفظه الله -: الحق أن صنائع المعروف له ثمراتها وفوائدها في تأليف القلوب ولو بعد حين حتى مع من شكر لفاعلها فعله أو من ينكر الجميل فقد يعود إلى رشده .

٥-شكر المعروف فضيلة :

ففي القرآن: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان ١٤] .

وفي السُّنَّة : (لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ) رواه أحمد وأبو داود والترمذي مرفوعًا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- مَرْفُوعًا « **مَنْ أَتَى إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيُكَافِئْ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ فَمَنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ** » . رواه أحمد .

عَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- : « **مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ** » . رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب .

فلو كان يستغنين عن الشكر ماجد لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال : أشكروني أيها الثقلان

واعلم : أن أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف كما قيل . [١]

٦- تعجيل المعروف وتصغيره وستره وعدم احتقاره :

قال ابن عباس -رضي الله عنه -: (المعروف أميز زرع ، وأفضل كنز ، ولا يتم إلا بثلاث خصال: بتعجيله ،وتصغيره ، وستره ، فإذا عجل فقد

(١) المرجع نفسه (١/ ٢٥٧- ٢٥٨) .

هنأ ،وإذا صغر فقد عظم ، وإذا ستر فقد تم) .[١]

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ** » رواه البخاري ومسلم.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» رواه مسلم .

٧- صنائع المعروف تقي مصارع السوء :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقَةِ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** » صححه الألباني في الصحيحة رقم (١٩٠٨)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : (**خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**) صححه الألباني في الصحيحة رقم (٤٢٦) .



(١) المرجع نفسه (١/ ٢٥٧) .

باب
البشر والبشاشة

البشر والبشاشة ، والتبسم والدعابة ، من أيسر الأخلاق والطرق لإكتساب قلوب الآخرين وأسرها ، وذاك هو السحر الحلال بعينه .

فجدير بطالب العلم أن يتحلى بهذا الخلق الرفيع فيكون أنسا للناس ومتعة لهم يتمتعون برياض أخلاقه وينعمون تحت وارف ظلال شمائله ويقطفون ثمار محامده ويمتصون رحيق صفاته فتجري أخلاقه فيهم جريان الدم في عروقهم ولك أيها الطالب النبيل في رسول الله -ﷺ- والسلف الصالح أسوة حسَنَة في صفة لقائهم بالناس .

أولاً : - هديه -ﷺ- في لقاء الناس :

عَنْ ابْنِ عَبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالَ : « **مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى** » رواه البخاري ومسلم .

وفِي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : « **جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبًا ، الإِيمَانُ يَمَانٌ ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ ...** » .

وعتب الله على نبيه -ﷺ- حين عبس وجهه في الرجل الأعمى ابن أُم مكتوم وذلك في أول سورة عبس قال الله : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ

ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾
[عبس ١ - ٤] .

يُفهم من هذه الآيات لزوم البشر والبشاشة حين لقاء الناس ، وكراهة الفظاظة والجفاف والتعبيس .

عَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْحَارِثِ بْن جَزْءٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -يَقُولُ : « **مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** » . رواه الترمذي وصححه الألباني .

كيف لا ؟ وهو القائل - ﷺ- :«**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**» رواه الترمذي وصححه الألباني

والقائل -ﷺ-: (**لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**) رواه مسلم من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - .

وعند أحمد بلفظ : (... **وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ**) .

ثانيًا : هدي السلف في لقاء الناس :

لا شك أن الصحابة -رضوان الله عليهم- ،كانوا خير من اقتدى واقتفى آثار رسول الله - ﷺ -، في جميع الأقوال والأعمال والإعتقادات، ثم جاء من بعدهم التابعون فكانوا خير خلف لخير سلف .

وفي هذا الباب يقول عليٌّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-(مِنَ الدَّهَاءِ حُسْنُ اللِّقَاء).[1]

أزور خليلي ما بـدا لي هسَّهُ وقابلني منه البشاشة والبِشر

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٩٧) .

وقال عمر - رضي الله عنه - : (التبسم دعابة). [١]

أخو البشر محبوب على حسن بشره ولن يعدم البغضاء من كان عابسًا
ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للمرء حارساً

وهذا الإمام الحسن البصري -رحمه الله-يقول : (حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه) رواه الترمذي عن ابن المبارك.

قال ابن مفلح -رحمه الله - : (وإذا جلست مجلس علم او غيره فاجلس بسكينة ووقار وتلق الناس بالبشر والإستبشار) . [٢]

وحق الذي ينتاب داري زائرًا طعام وبرٌ قد تقدمه بشر

قيل للعتابي : إنك تلق الناس كلهم بالبشر : قال دفع ضغينة بأيسر مؤنة واكتساب إخوان بأيسر مبذول) . [٣]

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق

ومما يحسن ذكره في هذا الباب (المِزاح) :

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : (المزاح بما يحسن مباح وقد مزح النبي - ﷺ- فلم يقل إلا حقًا) . [٤]

قال الخليل بن أحمد -رحمه الله -:(الناس في سجن مالم يتمازحوا) . [٥]

---

(١) طريقنا للقلوب ، للحاشدي (ص : ٢٤) .
(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٣٩٧) .
(٣) الآداب الشرعية (٣ / ٣٤٢) .
(٤) الآداب الشرعية (٢ / ١٧٩ - ١٨١) .
(٥) الآداب الشرعية (٢ / ١٧٩ - ١٨١) .

ومزح الشعبي يومًا فقيل له يا أبا عمرو أتمزح ؟، قال : إن لم يكن هذا مِتْنَا من الغم) .[١]

وكان محمد بن سيرين -رحمه الله - يُداعب ويضحك حتى يسيل لعابه، فإذا أردته على شيئ من دينه ، كانت الثريا أقرب إليك من ذلك).[٢]

واعلم أيها الطالب - وفقك الله - أن المزاح على قسمين :

١-المزاح المحمود : وهو ماكان حقًا وعلى وجه النادر واحتيج لذلك.

٢-المزاح المذموم:وهو ما زاد عن حده أو تجاوز صدقه-فانتبه يارعاك الله-.

ومن صور المزاح المذموم :

أ- ممازحة الشريف والدنيئ :

قال سعيد بن العاص-رضي الله عنه - : (لا تمازح الشريف فيقدر عليك ، ولا الدنيئ فيجترئ عليك) .[٣]

ب-مجاوزة الحد في ممازحة الأطفال :

فإياك إياك المزاح فإنه ... يجري عليك الطفل والدنس والنذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورثه بعد عزته ذُلَّا

جـ-الإكثار من المِزاح :

قال جعفر بن محمد-رحمه الله-:(إياكم والمزاح،فإنه يذهب بهاء الوجه).[٤]

---

(١) الآداب الشرعية (٢ / ١٧٩- ١٨١) .
(٢) الآداب الشرعية (٢ / ١٧٩- ١٨١) .
(٣) الآداب الشرعية (٢ / ١٧٩- ١٨١) .
(٤) الآداب الشرعية (٢ / ١٧٩- ١٨١) .

الكبر ذل والتواضع رفعــة والمدح والضحك الكثير سقــوط
والحــرص فقر والقناعة عــزة واليأس من صنع الإله قنــوط

د- مزاح من لا يحب المزاح :

مازح صديقك ما أحب مزاحًا وتــوق فيــه في المــزاح جماحا
فلربما مــزح الصديق بمزحة كانت لِباب عــداوة مفتاحًا

فكأني بأخي الحبيب بعد هذا المشوار القصير، قد عزم وصمم على تجميل علمه ، بجمال أخلاقه ، وبشارة وجهه، وأنس ابتسامه ، ورقة فؤاده.



باب
المشاورة

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران ١٥٩] .

ويقول : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى ٣٨] .

وبإسم الشورى سميت سورة من القرآن الكريم ، وفي ذلك إشعار بأهميتها ومكانتها في الإسلام.

ولقد كان من هديه -ﷺ- مشاورة أصحابه في كثير من الأمور من ذلك:

١ - قوله -ﷺ- في بدر : (**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**) وهو إنما يريد بذلك الأنصار ، لأنه قد سمع موقف المهاجرين وعَزْمِهِم على القتال .[١]

٢-وفي أُحد عقد -ﷺ- مجلسًا استشاريًا لأخذ خطة الدفاع وكان قد رأى -ﷺ- أن لا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها ، إلا أنه تراجع عن رأيه أمام رأي الأغلبية ، الذين رأوا الخروج من المدينة واللقاء في الميدان .[٢]

٣-وفي الأحزاب عقد- ﷺ- مجلسًا استشاريًا كما هو هديه-ﷺ- في الغزوات المناقشة بعد المشورة ، استقر الرأي على قرار قدَّمَهُ سلمان الفارسي

(١) انظر الرحيق المختوم ، وزاد المعاد ، المجلد الثاني .
(٢) انظر الرحيق المختوم ، وزاد المعاد ، المجلد الثاني .

-رضي الله عنه-وهو حفر الخندق حول المدينة لحمايتها من أعدائها .[١]

٤-وفي الحديبية أخذ بمشورة أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - وذلك حين أشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحدًا حتى ينحر بدنه ويدعوا حالقه فيحلقه ، ففعل بما أشارت .[٢]

إلى غير ذلك من الصور المشرقة الدالة على حرصه-ﷺ-على الشورى ولم يكن فعله ذلك لحاجته فيمن يسدده أو يقومه منهم ، إنما كان ذلك تشريعًا للناس في الأخذ بمنهج الشورى لما فيه من الخير والبركة.

قال الحسن -رحمه الله - :(إن الله تعالى لم يأمر نبيه -ﷺ- بمشاورة أصحابه حاجة منهم إلى رأيهم ، ولكن أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة) .[٣]

فيا لله ما أجملٍ مشاورة الإخوان ، ففيها الهداية كيف لا وقد أضفت إلى عقلك عقولا ، وفي الأثر : (من استبد برأيه هلك ومن شارك الرجال شاركها في عقولها)

ولهذا درج السلف الصالح -رحمهم الله- ، على التقيد بهذا المنهج الرباني، ووجهوه لمن بعدهم بالتزامه .

فهذا سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان يستشير في الأمر حتى إنه كان ربما استشار المرأة فأبصر في رأيها فضلًا) .[٤]

قال علي - رضي الله عنه -:(الإستشارة عين الهداية وقد خاطر من

---

(١) انظر الرحيق المختوم ، وزاد المعاد ، المجلد الثاني .
(٢) انظر الرحيق المختوم ، وزاد المعاد ، المجلد الثاني .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٧١) .
(٤) المرجع نفسه (١/ ٢٧٢) .

استغنى برأيه والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم) .[١]

وقال سليمان بن داود - عليهما السلام - لابنه:(يابني لا تقطع أمرًا حتى تشاور مرشدًا فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم) .[٢]

وقال عبد الملك بن مروان - رحمه الله - : (لأن أخطئ وقد استشرت أحب إلي من أن أصيب من غير مشورة) .[٣]

إن اللبيب إذا توفر أمره فتق الأمور مناظرًا ومشاورًا

وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يعتسف الأمور مخاطرًا

وقال بعض الحكماء :(ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسب البغضاء بمثل الكبر) .[٤]

عرفت أخي - طالب العلم - مكانة الشورى في الإسلام وعند رسول الأنام -ﷺ-، والتزم بها منهجاً سلف الأمة الأطهار ، ومع هذا فينبغي أن تراعي وتعلم في الشورى أمورًا هي من الأهمية بمكان .

١- مصدرها هو الله تعالى وحده .

٢-مجالها فيما لا نص فيه،أما ماورد فيه النص أو ظهر فيه الحكم فلا شورى.

٣-أهلها هم أهل الحل والعقد في الإسلام من علماء وأمراء وأعيان قال عمر-رضي الله عنه - :(لا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله) .[٥]

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٧١-٢٧٢) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٧١-٢٧٢) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٧١-٢٧٢) .
(٤) الآداب الشرعية (١/ ٢٧١-٢٧٢) .
(٥) الآداب الشرعية (٣/ ٤٠٤) .

وقيل لرجل من عبس: (ما أكثر صوابكم ؟، قال : نحن ألف وفينا حازم واحد ونحن نشاوره ، ونطيعه فصرنا ألف حازم) .[1]

٤-طريق اختيار أهل الشورى الخبرة والممارسة الطويلة في كافة المجالات النافعة للمسلمين .

ومن خلال هذه الأمور تستطيع أن تفرق أيها الطالب الأريب بين المنهج الشوروي الرباني الحكيم ، وبين المنهج الديمقراطي الطاغوتي المشين، ولو حاول بعض السقطاء أن يكسوه لباس الإسلام ، فسعيهم في تباب إذ أن الفرق بين المنهجين واضح جلي ، لا يخفى إلا على خفافيش الظلام ، والمتطفلين على العلم ، وحقيقتهم أنهم فيه صغار – فلا تغتر – .

ومما تفارق فيه الديمقراطية الشورى :

١-أن مصدرها اليهود ، وأساس كلمتها هم اليونان بلاد الإغريق .

٢-مجالها واسع ، ففيها مناقشة حتى لأحكام الله وبالتالي مصادرتها .

٣-أهلها كل من حاز على الأغلبية ،ولو كان من أكفر وأفسد الناس.

٤-طريق اختيار أهلها الإنتخابات .

فكيف يُسَوَّى بين المنهجين ؟ !! .

وفي الختام ، احذر أيها العاقل اللبيب الإستبداد بالرأي والإنتصار له ، وتجاهل الآخرين ، فإن ذلك آفة الكثير – عافانا الله أجمعين –.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٧٢) .

باب
العدل والإنصاف

العدل عام يعني : التوسط وهو إعطاء كل ذي حق حقه .

والإنصاف يعني: استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة ، والسياسة الفاضلة) .[١]

فالعدل والإنصاف خُلقان كريمان عزيزان ، وتوئمان نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة ، باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .[٢]

ورد ذكرهما في الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة ، فمن القرآن يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل ٩٠] .

وقال –أيضاً–: ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ﴾ [الأنعام ١٥٢].

وقال : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ [النساء ١٣٥] .

وقال : ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ [المائده ٨] .

وفي السُّنَّة : عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو –رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « **إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ**

---

(١) الآخلاق بين الطبع والتطبع(ص ٢٢٨) .
(٢) المرجع السابق (ص ٢٢٨) .

عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » أخرجه مسلم .

وتحـل بالإنصاف أفخر حلة زينت بها الأعطاف والكتفان

مجالات العدل :

للعدل مجالات كثيرة ، اقتصر على ما أرى شدة الحاجة إليه :

١- العدل مع العدو والصديق :

وهذا من تمام العدل ، أن يحرص المسلم أن يتخلق بخلق العدل مع العدو والصديق ، والقريب والبعيد ، والمؤالف والمخالف ، ولن يقوى على ذلك إلا الكبار من الناس ، أما الصغار فخُلُقهم مدح المؤالف وذم المخالف .

٢-العدل في تقويم الناس لا سيما العلماء :

وهذا من الأهمية بمكان ويكتسب تلك الأهمية من الواقع المزري، الذي وصل إليه كثير من شباب الصحوة الإسلامية وطلبة العلم الشرعي، في انتهاك أعراض العلماء ، حتى بلغ الأمر ببعضهم إلى حد التشهي والإدمان .

فإنك لا تكاد ترى مجلسًا إلا وطرق سمعك رُكامًا من الكلمات المؤذية والقادحة في أهل العلم والفضل ، وإلى الله المشتكى .

واغتنمها فرصة في تبيين الموقف الشرعي من زلات العلماء، ووجوب العدل والإنصاف في حقهم، خاصة لا سيما في زمن عز فيه العدل والإنصاف.

قال ابن عبد البر عن مالك - رحمه الله :(ما في زماننا شيئ أقل من الإنصاف) .[١]

وقال مالك ابن دينار - رحمه الله - : (ما أقل الإنصاف ، وما أكثر الخلاف) .[٢]

هذا في زمنهم فكيف به في زماننا ؟ .

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة   بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

قال عثمان بن عفان - رحمه الله - : (واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعًا بقسطهم من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يُصاب العدل) .[٣]

وقال ابن المسيب - رحمه الله -: (ليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان ، إلا وفيه عيب لا بد ، ولكن من الناس من لا تذكر عيوبه ، ومن كان فضله أكثر من نقصه ، وُهِبَ نقصه لفضله) .[٤]

وفي مختصر منها ج القاصدين : (واعلم أنك متى طلبت منزها عن كل عيب لم تجد ، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية) .[٥]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - :(ومن سلك طريق الإعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه فيعظم الحق ويذم ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ويبغض من وجه وهذا هو مذهب

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٤٠).
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٩٤) .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٤) .
(٤) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٤٩٤) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٤) .
(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص ٩٣) .

أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم) .[١]

وقال : (وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور ،وطاعة ومعصية ، وسُنَّة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع ، في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانه ، فيجتمع له هذا وهذا) .[٢]

وهذا تلميذ ه ابن القيم -رحمه الله- يقول : (ومن قواعد الشرع والحكمة - أيضًا- أن من كثرت حسناته وعظمت ، وكان له في الإسلام تأثيرًا ظاهرًا ، فإنه يُحتمل منه ما لا يُحتمل لغيره ، ويُعفى عن غيره فإن المعصية خبث ، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث بخلاف الماء القليل ، فإن لا يحتمل أدنى خبث) .[٣]

وقال - رحمه الله - : (ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسَنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لإجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين) .[٤]

وقال الذهبي - رحمه الله - : (ثم إن الكبير من أئمة العلم ، إذا كثر صوابه وعُلم تحريه للحق ، واتسع علمه وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه وأتباعه، يُغفر زللـه ، ولا نضلله ولا نطرحه ، وننسى محاسنه

(١) منهاج السُّنَّة (٤/ ٥٤٣- ٥٤٤) .
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٩) .
(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٧٦) .
(٤) إعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣) .

نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجوا له التوبة من ذلك) .[١]

وقال - رحمه الله - :(وإنما يُمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل ، فلا تُدفَن المحاسن لورطة ولعله رجع عنها ، وقد يُغفر له في استفراغه الوسع في طلب الحق، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .[٢]

وقال ابن رجب - رحمه الله - : (والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه).[٣]

وقال السعدي-رحمه الله -: (... وأما من غظ عن المحاسن ولحظ المساوئ ، ولو كانت قليلة فهذا من عدم الإنصاف ، ولا يكاد يصفوا مع زوجته).[٤]

وقال -أيضًا - : (... ثم لو فُرض أن ما أخطأوا أو عثروا ليس لهم فيه تأويل ولا عذر، لم يكن من الحقَ والإنصاف أن تُهدر المحاسن وتمحى حقوقهم الواجبة ، بهذا الشيئ اليسير كما هو دأب أهل البغي والعدوان، فإن هذا ضرره كبير وفساده مستطير أي عالم لم يخطئ ؟ ، وأي حكيم لم يعثر؟.[٥]

فيا لله ما أجمل ما تفوه به أولئك الأعلام وما سطرته يُمناهم ، وفاحت به شذى أقلامهم ومحابرهم ، فخليق بنا أن نسطر تلك العبارات بماء العيون ، فتبقى عرائس من شمع تدب فيها الحياة .

ولقد رأيت سوق تلك العبارات المشرقة رسالة إلى من كاد يخلق فيه

(١) سيرأعلام النبلاء (٥/ ٢٧٩)، نقلاً من:منهج الأئمة في التعامل مع المخالف(ص١٣١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٥).
(٣) منهج الأئمة في التعامل مع المخالف(١٣٨).
(٤) المرجع نفسه (ص ١٩٢) نقلاً من بهجة قلوب الأبرار (ص ١٠١).
(٥) المرجع السابق .

خلق العدل والإنصاف وارتدى ثوب الشطط والحيف .

قائلا له : أمهل - بارك الله فيك - هذا هديُ السلف ما تجاوزه إلا محسر وما قصر فيه إلا مقصر .

فترسم - هديت - خطاهم واسلك سبيلهم فإنه المأمن والمغنم ولا تغتر بسواهم فإنه المأثم والمغرم .

تنبيه هام :

إحذر أن تفهم من تلك النقولات صحة قاعدة الموازنات بين الحسنات والسيئات ، إذ أن قاعدة الموازنات إنما أراد بها الكثير التلميع لأهل البدع ، وأوجبوا ذكر محاسن المبتدع والضآل ، كما تذكر مساوئه إنصافاً -زعموا- وهذه القاعدة على إطلاقها لا تمت إلى الدين بصلة . فانتبه - حفظك الله - .

٣-العدل في تقويم الجماعات الإسلامية :

قال ابن القيم -رحمه الله -:(فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق ورد ما قالوه من الباطل ، ومن فتح الله له بهذه الطريق، فقد فتح له من العلم والدين كل باب ، ويسر عليه فيهما الأسباب) .(١)

وقال : (والله يحب الإنصاف بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجل خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب ، وقد قال تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى ١٥] .(٢)

---

(١) طريق الهجرتين (ص ٣٧٨)، نقلاً من: منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ١٥١) .
(٢) إعلام الموقعين (٣/ ٩٤) .

تنبيه : إحذر هديت –أن تفهم من هذا ذكر محاسن الجماعات والأحزاب في معرض التحذير منها فإن ذلك خلط بين الإنصاف الواجب وبين التلميع لأهل البدع والتضييع للحق الذي يلزم سلوكه .

٤-العدل في تقويم المؤلفات :

جاء في حرمة أهل العلم : (... وهجر العالم ومصنفاته لمثل هذا [١] ، لا يكاد يبقى معنا أحد ، ولصرنا كدودة القز تطوي على نفسها بنفسها حتى تموت) .[٢]

٥- العدل مع أهل الأهواء والبدع :

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في معرض كلامه عن أهل الأهواء :

(...... فأهل السُّنَّة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم ، فإن الظلم حرام مطلقًا ، بل أهل السُّنَّة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض) ، إلى أن قال : (وأهل السُّنَّة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول – ﷺ – ولا يكفِّرون من خالفهم فيه ، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق) .[٣]

وقال : (فكل مسلم لم يُعلم أنه منافق جاز الإستغفار له والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسوق) .[٤]

من فضائل الإنصاف :

١ –أنه امتثال لأمر الله: ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [النساء ١٣٥] .

---

(١) أي : التأويل والإجمال ونحوذلك .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣١٣) .
(٣) منهاج السُّنَّة (٣/ ٣٩).
(٤) المرجع السابق (٥/ ٢٣٥) .

٢-أنه أصل كل خير : قال ابن القيم - رحمه الله -:(فالعلم والعدل أصل كل خير والظلم والجهل أصل كل شر) .(١)

٣-أنه سبب لنماء العلم والبركة : قال ابن عبد البر - رحمه الله - : (من بركة العلم الإنصاف فيه ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم) .(٢)

وقال سيدنا عمر - رضي الله عنه - : (من ينصف الناس من نفسه يُعط الظفر من أمره) .(٣)

وقال ابن القيم - رحمه الله - : (ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب ويسر عليه فيها الأسباب) .(٤)

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : (ومع العدل والإنصاف يتأتى كل مُراد ، ومن انحرف عن الجادة طالت طريقه ......) .(٥)

٤-أنه علامة ومنهج السلف - الصالح : قال وكيع بن الجراح - رحمه الله - : (أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم) .(٦)

٥-أنه علامة على الإيمان :فقد قيل : (ثلاثة من حقائق الإيمان : الإقتصاد في الإنفاق ، والإبتداء بالسلام ، والإنصاف من نفسك) .(٧)

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٢٢) .
(٢) جامع بيان العلم (١/ ٢٣٩) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ١٢) .
(٤) طريق الهجرتين (ص ٣٧٨)، نقلاً من: منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ١٥١) .
(٥) صيد الخاطر (ص ٢٩١) .
(٦) فن الحوار (ص ٢٠٧).
(٧) الآداب الشرعية (٢/ ٩٤) .

أسباب العدل والإنصاف :

١-جعل النفس محل الخصم : قال ابن حزم - رحمه الله - : (من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه ، فإنه يلوح له وجه تعسفه) .[1]

وإني لأستحي أخي أن أرى له   علي من الحق الذي لا يرى ليا

واحذر أن يصدق فيك قول القائل :

لي صديق يرى حقوقي عليه   نافلات وحقه كان فرضا
لو قطعتُ الجبال طولًا إليه   ثم من بعد طولها سرتُ عرضا
لرأى ما صنعتُ غير كبير   وأشتهي أن أزيد في الأرض أرضا

٢-صحبة المنصفين :فالمرء بخليله ، وقل لي من تصاحب ، أقول لك من أنت .

آخ الكريم المنصفين وصلهم   واقطع مودة كل من لا ينصف

وقال آخر :

وإذا ظفرت بذي العدالة والتقى   فبه اليدين قرير عين فاشدد

٣- إستشعار الظلم الناجم عن عدم الإنصاف : إذ ليس الظلم مقصورًا على أكل السحت واختلاس الأموال أو تعذيب الأبدان ، بل إن من أعظم وأربا الربا استطالة الرجل في عرض أخيه ، وعدم إنصافه حقه .

---

(١)مداواة النفوس ، ابن حزم (١١٨).

٤-الإدراك بأن الجزاء من جنس العمل : فعدم إنصافك لأخيك يُنتج عدم إنصاف الآخرين إياك ، وكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت ٤٦] .

وإذا أردت منازل الأشراف فعليك بالإسعاف والإنصاف
وإذا بغي باغٍ عليك فخله والدهر فهو مكافٍ كاف



باب
تصحيح الخطأ لا تهويله



إقامة النصيحة ،وإقالة العثرة ، وتصحيح الخطأ ،من أهم الأخلاق التي ينبغي أن يتمتع بها طالب العلم مع غيره .

والخطأ : هو كل شيئ يقع على غير الصواب .

ورد ذكره في كثير من الآيات من ذلك :

قول الله -تعالى -:﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء ٣١] ، وقوله :﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا ﴾[النساء٩٢] ،وقوله : ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة ٢٨٦] ، قال الله :(قد فعلت) رواه مسلم .

وفي السُّنَّة : عَن ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ اللهَ تجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» . رواه ابن ماجه والبيهقي وقال النووي حديث حسن .

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه .

وَقَولُهُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- : « **أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**» رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

هذه الأدلة وغيرها تثبتُ جواز وقوع الخطأ من الإنسان ولا يُعصَمُ منه

أحد، وهذا أمرٌ واضح، يُقر به الجميع لكن الكثير أخطئوا التعامل مع الخطأ.

الضوابط المهمة في معرفة الخطأ والموقف الصحيح منه:

أولًا : الناس ليسوا ملائكة لا يخطؤون بما فيهم العلماء :

يجب أن تعلم أخي - طالب العلم بارك الله فيك - أن الخطأ جزء من الحياة البشرية ، فلا يمكن تصور الحياة بمعزل عن حصول الخطأ البتة ، حتى مع استفراغ الوسع في الإجتهاد .

قال سعيد بن المسيب-رحمه الله - : (ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله ، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله) .[(١)]

وقال ابن عبد البر عن بعض السلف : (لا يسلم العالم من الخطأ ، فمن أخطأ قليلًا وأصاب كثيرًا فهو عالم ، ومن أصاب قليلًا وأخطأ كثيرًا فهو جاهل) .[(٢)]

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: (لا يكاد يسلم من الغلط أحد).[(٣)]

وقال ابن القيم -رحمه الله- : (الكامل من عُدَّ خَطؤه) .[(٤)]

وقال ابن الأثير- رحمه الله - :(السيد من عدت سقطاته وأُخِذتْ غلطاته ، فهي الدنيا لا يكمل بها شيئ) .[(٥)]

قال أبو هلال العسكري: (ولا يضع من العالم الذي برع في علمه زلة ،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤١١) .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤١١).
(٣) منهج الأئمة (ص١٥٨).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤١١) .
(٥) حرمة أهل العلم (ص ٣٧١) .

إن كان على سبيل السهو والإغفال ، فإنه لا يعرو من الخطأ إلا من عصم الله -جل ذِكره-) .[١]

فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تُعد معايبه

وعليه فاللازم أن نتعامل مع الناس وعلى رأسهم العلماء ، بالمقاييس البشرية التي تُجيز صدور الخطأ منهم ، وتمنع من الفرح بالخطأ أو تهويله وإشاعته .

ثانيًا : لا يجوز متابعة أحد على الخطأ :

إذ أن الخطأ يبقي خطأ ولا يتحول بذاته إلى صواب ، وعليه فلا يجوز متابعة الخطأ أيًّا كان مصدرها ،فالعالم يُؤخذ منه ويُرد، ولا تُلتزم أقواله.[٢]

قال سلمان - رضي الله عنه - : (...... فأما زلة العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، تقولون نصنع مثل ما يصنع فلان ، وتنتهي عما ينتهي عنه فلان وإن أخطأ ، فلا تقطعوا إياسكم منه فتعينوا عليه الشيطان) رواه الدارمي في سننه .

وكان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - : (إياكم وزيفة الحكيم) رواه أبو داود والدارمي.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله -: (وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان ، إلا بما هم له أهل).

---

(١) قواعد في التعامل مع العلماء (ص١٤١) .

(٢) فائدة : الأخذ غير الإلتزام ، لأن الأخذ هو القول ببعض أقوال الإمام ، بينما الإلتزام هو القول بكل أقواله ، فالأخذ إذا هو تتبع الأدلة بغض النظر عن ناقلها ، المهم أن يكون الناقل ثقة والدليل صحيحًا ، بينما الإلتزام بيت القصيد ، فيه هو الإمام نفسه لا قول الإمام) .

وقال العباد –حفظه الله –: (ليست العصمة لأحد بعد رسول الله فلا يسلم عالم من خطأ ، ومن أخطأ فلا يُتابع على خطئه ، ولا يُتخذ ذلك الخطأ ذريعة إلى عَيْبِه والتحذير منه ، بل يغتفر خطؤه القليل في صوابه الكثير ، ومن كان من هؤلاء العلماء قد مضى فيُستفاد من علمه ، مع الحذر من متابعته على الخطأ ، ويُدعى له ويترحم عليه ، ومن كان حيًا سواءً كان عالمًا أو طالب علم ينبه على خطئه برفق ولين ومحبة ، لسلامته من الخطأ ورجوعه إلى الصواب) .[1]

ثالثًا : تصحيح الخطأ لا تهويله :

قال ابن عثيمين –رحمه الله – : (إذا ظفرت بوهم لِعالم فلا تفرح به للحط منه ، ولكن التمس العذر له وصحح الخطأ) .[2]

وقال –رحمه الله –:(يجب على كل من عثر على وهم إنسان ولو كان من أكبر العلماء في عصره ، أو في عصر من سبقه يجب عليه أن ينبه على هذا الوهم ، وعلى هذا الخطأ لا بد من بيان الحق ، ولا يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل ، لأن احترام الحق أولى بالمراعاة ، واضح لكن هل يصرح بذكر قائل الخطأ أو الوهم أو يقول توهم بعض الناس فقال كذا أو كذا ، هذا ينظر للمصلحة ...) .[3]

وقال أبو زيد – رحمه الله – : (فإن المنصف يكاد يجزم بأنه من ما إمام إلا وله أغلاط وأوهام لاسيما المكثرين منهم وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص إلا متعالم يُريد أن يُطب زُكامًا فيُحدث جذامًا ، نعم ينبه على خطأ

---

(١) رفقًا أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة (ص ٣٣).
(٢) شرح حلية طالب العلم (ص ٣٥٤).
(٣) منهج الأئمة (ص٢٥٤) .

أو وهم وقع لإمام غُمر في بحر علمه وفضله لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقيص منه والحط عليه فيغتر به من هو مثله) .[١]

رابعًا : لا تلازم بين الخطأ والإثم :

لا يلزم من كل من وقع في خطأأن يكون آثماً فالله عز وجل قد رفع الإثم عمن أخطأ فقال: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة ٢٨٦] ، قال الله : (قد فعلت) رواه مسلم .

وفي الحديث:عَن ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» . رواه ابن ماجه والبيهقي وقال النووي حديث حسن .

فالعَالِم إذا أخطأ نُخطِّؤهُ ، ولا نُؤْثِمه ولا نُهْدر حَسناته .

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-:(وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين فتارة يغلون فيهم-الصديقون والشهداء والصالحون-، ويقولون: إنهم معصومون ، وتارة يجفون عنهم ، ويقولون : إنهم باغون بالخطأ وأهل العلم والإيمان ، لا يعصمون ولا يؤثمون) .[٢]

وقال : (ليس لأحد أن يتبع زلات العلماء ، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل ، فإن الله عفا للمؤمنين عما أخطأوا، كما قال تعالى :﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة ٢٨٦] .

إلى أن قال : ويرعى حقوق المسلمين ، لا سيما أهل العلم منهم ، كما أمر الله ورسوله ﷺ ، ومن عدل عن هذه الطريق فقد عدل عن

(١) شرح حلية طالب العلم (ص ٢١١) .
(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦٩).

اتباع الحجة إلى اتباع الهوى في التقليد ، وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فهو من الظالمين ، ومن عظم حرمات الله وأحسن إلى عباد الله، كان من أولياء الله المتقين والله سبحانه أعلم) .[١]

وقال الذهبي -رحمه الله -: (ولو أنه كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفورًا له ، قمنا عليه وبدعناه وهجرناه ، لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن منده ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هو هادي الخلق إلى الحق ، وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة) .[٢]

وإذا الحبيب أتى بذنبٍ واحدٍ جـاءت محاسنه بألف شفيع

خامسًا : **العالم يُستر** [٣] **ويُنصح لا يُهتك ولا يُفضح** :

من حق العالم أن يُنصح إذا زل أو أخطأ ، فقد قال -ﷺ- : (**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**)، قُلْنَا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : **لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**) رواه مسلم من حديث تميم الداري-رضي الله عنه- .

بل النصيحة حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : (**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**) - وذكر منها : (**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ**) .

(١) الإقتضاء (٢/ ٥٨٠) ، نقلاً من : حرمة أهل العلم (ص ٣٧٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠) .
(٣) ولذلك ما إذا وقعت منه الهنة مع وجوب النصح له ، فإن تراجع أعلن تراجعه كما أعلن خطأه ، وإن تمادى فإنه يلزم تعرية الخطأ وتبيينه للناس صونًا للشريعة .

قال ابن مفلح -رحمه الله -: (ومما للمسلم على المسلم ؛ أن يستر عورته، ويغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ...) .[١]

لكن هذه المناصحة يجب أن تكون وفق الأساليب الشرعية ، فقد اتخذ بعض الناس النصيحة تكأة للتشهير بِبَعْض العلماء ، وانتقل الأمر من النصح إلى التجريح والفضح ، نعم قد يكون مع هؤلاء شيئ من الحق ، لكن أسلوب النصح ينفر المنصوح ، ويؤدي إلى التمادي على الخطأ .

عن سفيان الثوري-رحمه الله - قال : قلت لمسعر : أتحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟، قال : أما أن يجيء إنسان فيوبخني بها فلا ، وأما أن يجيء ناصح فنعم .[٢]

وإليك أخي طالب العلم بعض الآداب التي ينبغي مراعاتها أثناء المناصحة:

١-الإخلاص لوجه الله :

(فالمؤمن الصادق ينصح لوجه الله ، لإحقاق الحق وهداية الناس ، لا للتجريح والتشهير والعدوان ، وإذكاء نار الفتن التي تأكل الأوقات وتستنفد الطاقات) .[٣]

قال ابن عثيمين-رحمه الله - : من كان قصده الحق وفق للقبول ومن كان قصده أن يُظهر عيوب الناس (**فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ فِي بَيْتِهِ**) رواه أبو داود وأحمد عن

(١) كتاب الآداب الشرعية .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٢٣٣) .
(٣) المرجع نفسه (ص ٣٦٨) .

أبي برزة الأسلمي .

٢-الإسرار بالنصيحة :

يقول-ﷺ- : (**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**) .[١]

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - : (من وعظ أخاه في العلانية فقد شانه ومن وعظه سرًا فقد زانه) .[٢]

وذكر ابن عبد البر عن مسعر قال : (رحم الله من أهدى إلي عيوبي في سر بيني وبينه ، فإن النصيحة في الملأ تقريع) .[٣]

وحكى الأصمعي أن الخليفة - هارون الرشيد قال له : (وقرنا في الملأ وعلمنا في الخلأ) .[٤]

وقال يحي : (ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته وأحببتُ أن أزين أمره وما استقبلت رجلًا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين خطأه فيما بيني وبينه ، فإن قبل ذلك وإلا تركته) .[٥]

وهذا الإمام الشافعي - رحمه الله - يقول :

تعهدني النصيحة بانفراد وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين القوم شيئ من التوبيخ لا أرضى استماعه

(١) رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (٢٥٦٤) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٣٨).
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٤٠) .
(٤) حرمة أهل العلم (ص ٢٣٣) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٣) .

فإن خالفتني وعصيت أمري فـلا تجـزع إذا لم تعط طاعه

٣-مراعاة المصالح والمفاسد .

٤-مراعاة الأسلوب الحكيم .

سادسًا : **المعيار الصحيح لمعرفة الخطأ من الصواب معياران**:

أ- المعيار الشرعي: (الكتاب والسُّنَّة بفهم السلف والإجماع والقياس الصحيح) .

بمعنى أنه لا يجوز ملاحظة الخطأ والصواب بالهوى إنما ينبغي ملاحظته بالشرع فرائد المرء الدليل واعرف الحق تعرف أهله .

ب-المعيار المصلحي: بمعنى تحقيق المصلحة ودرء المفسدة والعبرة بالغالب ، ولا يدرك ذلك إلا أهل القدوة والإستنباط وأهل الخبرة والتجربة.

سابعًا: **إنزال الخطأ منزلته الشرعية حتى يكون الحكم صحيحًا** :

بمعنى أن الخطأ ليس مرتبة واحدة ولا بمقدار واحد ، فهناك الكبائر وهناك الصغائر ، وهناك اللمم وهناك المكروه ، وهناك خلاف الأولى ونحو ذلك ، فلا يجوز الإطاحة بالشخص لمجرد أنه أخطأ واختصاره في ذلك الخطأ ، إذ لا بد من النظر إلى مقدار الخطأ ، ومن ثم التعامل معه بعدل وإنصاف ، أما اختصار الشخص بالخطأ ونسيان محاسنه ظلم وحيف ، وربما قد يزيده عداوة وبُعدًا عن الحق .

ثامنًا : الإعتراف بالخطأ مع الإجتهاد في تصحيحه فضيلة :

لابد أن يكون لدى طالب العلم جرأة في لوم النفس وتوبيخها وتقريعها ونقد الذات ، وهذه درجة من الشجاعة يعز وجودها حتى عند الصالحين، فالإنسان إذا لم يعترف بخطئه ، لا يمكن أن يصحح خطأه، ولا يعني ذلك الإفراط المؤدي للقعود .

تاسعًا :الخطأ في بعض الأحيان يكون خيرًا للإنسان :

من ذلك أنه يحمل صاحبه على التوبة والإستغفار ، كما وقع لآدم وداود -عليهما السلام - ، قال الله -سبحانه وتعالى - عن آدم وحواء: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف ٢٣] .

قال ابن القيم -رحمه الله-: (تالله ما نفع آدم عند المعصية عز ﴿ ٱسْجُدُواْ ﴾ ولا شرف ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾، ولا خصية ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ، ولا فخر ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ ، وإنما انتفع بذلك ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ .[1]

وقال عن داود -عليه السلام -: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص ٢٤] .

قال العلماء : كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل المعصية .

ومن ذلك أنه يُذهب داء العُجب والكبر ، ويحمل صاحبه على التواضع، إذ قد يوجد الكِبر عند العالم بعلمه ، والزاهد بزهده وهكذا .

---

(١) الفوائد ، لابن القيم (ص٦٩) .

ومن ذلك أنه يحمل صاحبه على أن يُعوض بأعمال صالحة .

ومن ذلك أنه يمنح الآخرين فرصة للتصحيح .

إلى غير ذلك من الفوائد التي قد تأتي نتيجة الوقوع في الخطأ . والله الموفق والمعين .



باب
المُـداراة لا المُـداهنـة



قال ابن حجر - رحمه الله - : المداراة هي الدفع برفق .(١)

وقال بعضهم المداراة : هي بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما جميعًا . بينما المداهنة : هي بذل الدين لصلاح الدنيا .(٢)

قال ابن عثيمين - رحمه الله - : (فالفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة يراد بها الإصلاح ، لكن على وجه الحكمة والتدرج في الأمور ، وأما المداهنة فإنها الموافقة ، ولهذا جاء بلفظ الدهن ، لأن الدهن يسهل الأمور) .(٣)

قال العتابي -رحمه الله - : (المداراة سياسة لطيفه لا يستغني عنها ملكٌ ولا سوقه يجتلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار فمن كثرت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة .(٤)

وعليه فإن المداراة جائزة وربما استحبت ، أما المداهنة فحرام .

أخي طالب العلم -رحمك الله - : تحلى بخُلق المداراة فإنما أنت في دار المداراة .

(١) فتح الباري (١٢/ ١٦٠).
(٢) شرح حلية طالب العلم (ص ٣٩٩) .
(٣) شرح حلية طالب العلم (ص ٣٩٩) .
(٤) عين الأدب والسياسة (ص ١٥٤) ، نقلاً من : طريقنا للقلوب ، للحاشدي(ص ٨٤) .

مادمت حيًا فدارِ الناس كلهم فإنما أنت في دار المداراة
من يدردار ومن لم يدرسوف يُرى عما قليلًا نديماً للندامات

وهي دليل على كمال العقل وحُسن الخلق ومتانة الدين وقوة النفس بها تدفع الضغينة وتكسب القلوب بأيسر مؤنة وأقل مبذول . وكم من رجل فاحش متفحش لا تقد ر على دفع شره إلا بخلق المداراة .

جاء في الصحيحين وغيرهما عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ فَقَالَ : «**ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ** » ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ فَقَالَ : « **أَيْ عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ** » .

قال في شرح مسلم وغيره : فيه مداراة من يتقي فحشه ولم يمدحه النبي -ﷺ- ولا أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه ، إنما تألفه بشيئ من الدنيا من لين الكلام .(١)

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: (إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم ، ومتى قدر ألا يظهر موافقتهم لم يجز له ذلك) .(٢)

قال الشافعي -رحمه الله-:

إني أُحي عدوي عند رؤيته لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنه قد حشا قلبي محبات

(١) الآداب الشرعية (١/ ٥٧) .
(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٣٤٢).

من فوائد المداراة :

١ـ تأليف القلوب :

قال أكثم بن صيفي : (من شدد نفر، ومن تراخى تألف ، والسرور في التغافل) .[١]

٢ـ دفع العداوات :

ومن لم يصانع في أمورٍ كثيرة يُضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

وفي الزبور : (من كثر عدوه فليتوقع الصُّرَعة) .[٢]

٣ـ رآحة للبدن :

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسي من هم العداوات

وقال آخر :

الناس داء وداء الناس قربهم وفي الجفاء بهم قطع الأخوات

فجامل الناس وأجمل ما استطعت وكن أصم أبكم أعمى ذا تقيات

٤ـ صدقة تُثاب عليها :

جاء في الحديث المرفوع : (مداراة الناس صدقة) .[٣]

وقال - ﷺ - : (ثلاث من حرمهن فقد حرم خيري الدنيا والآخرة عقل يُداري به الناس وحلم يرد به السفيه وورع يحجزه عن المحارم) .

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٤٢).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٦٢) .
(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٣٤١).

٥ـ تصقل العقل وتُهذبه :

عن الحسن -رحمه الله- قال : (كانوا يقولون المداراة نصف العقل ، وأنا أقول العقل كله) .[١]

وقال ابن الحنفية : (ليس بحكيم من لم يُعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدًا ، حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج) .[٢]

أُصَبرُ نفسي باجتهادي وطاقتي   وإني بـأخـلاق الجميع خبير



(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٤١) .
(٢) روضة العقلاء (ص١١٤) .

باب التغافل

التغافل عن الهنة مع النصح بأدب وإشفاق عنوان الأخلاق وعلامة صفاء النفس ورزانة العقل وفقه التعامل مع البشر بالمقاييس البشرية فلا يكاد يخلو صاحب من نقص فأي أخ لا يهفوا ؟ وأي جواد لا يكبوا؟

قال أبو الدرداء – رحمه الله – : (من لك بأخيك كله) .[١]

هم الناس والدنيا ولا بد من قذى ... يلم بعين أو يكدر مشربا

قال ابن عبد البر – رحمه الله – : (أجمعوا على القول بأن الله تعالى تفرد بالكمال ، ولم يبرأ أحد من النقصان) .[٢]

لاترج شيئًا خالصًا نفعه ... فالغيث لا يخلو من العيب

جاء في المختصر لمنهاج القاصدين : (واعلم أنك إن طلبت منزهًا عن كل عيب لم تجده ،ومن غلبت محاسنه على مساويه ،فهو الغاية).[٣]

فإذا كان حال البشر النقص فمن توفيق الله لك – أيها الطالب – أن تتغافل عمن جبلوا على النقص ،مع إقامة النصح بحكمة وأدب .

قال ابن عقيل – رحمه الله – (... كيف يُطلب من الشخصين المتغايرين

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٢).
(٢) المرجع نفسه (٣/ ٤٠٧).
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٩٣)

بالخلقة والأخلاق الإتفاق والإئتلاف؟، فإذا ثبتت هذه القاعدة أفادت شيئين ، إقامة الأعذار ، وحسن التأويل الحافظ للمودات) ، إلى أن قال: (فأما طلب الدوام والسلامة من الإخلال في ذلك والإنخرام ، فهو الذي أوجب القول لمن قال إن الصديق اسم لمن لم يخرج إلى الوجود ، وإن تُتُبِع ذلك في الأسماء كلها وجب إفلاس المسميات) ، إلى أن قال : (فاقنع من الصداقة بما قنع الله -سبحانه- منك في العبودية مع أنك ما صفوت في الإسم) أ.هـ .[1]

وقال : (... وتغافل عن هفوات الناس ، فذلك داعية الدوام العشرة، وسلامة الود) .[2]

قال الشافعي -رحمه الله - : (الكيس العاقل هو الفطن المتغافل) .[3]

وقال أحمد - رحمه الله - : (التغافل تسعة أعشار العقل).[4]

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ... ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل

فإني رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعَدُ بالعقل

وقال آخر :

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٤١٧) .
(٢) المرجع نفسه (٣/ ٤٢١) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٤٤) .
(٤) المرجع السابق (٢/ ١٩) .

وقال آخر :

وإني لأعفو عن ذنوبٍ كثيرةٍ ... ومن دونها قطع الحبيب المواصل

وأعرض عن ذي الذنب حتى كأنني ... جهلت الذي يأتي ولستُ بجاهل

أخي الكريم اعلم : أن التركيز على الأخطاء والبحث عنها ومن ثم نشرها وتكبيرها ينجم عنه تكدير الحياة وضياعها وذلك علامة واضحة على نقص صاحبها بينما التغابي والتغافل فيه صفاء الحياة وراحة النفوس وطريق إلى السيادة إذ أنه :

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابي

وقال آخر :

من كان يأمل أن يسود عشيرة ... فَعَلَيْهِ بِالتقوى ولين الجانب

ويغض طرفًا عن مساوي من أساء ... منهم ويحلم عند جهل الجاهل

من علامات التغافل المحمود :

١- قبول عذر المعتذر :

هذه علامة واضحة على سيادة النفس ورفعتها، وعُلو منزلتها .

قال الأحنف بن قيس-رحمه الله -: (إن اعتذر إليك معتذر، تلقه بالبشر).[١]

وكان يقال : (من وُفق لحسن الإعتذار ، خرج من الذنب) .[٢]

(١)الآداب الشرعية (١/ ٢٥١- ٢٥٢) .
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٥١- ٢٥٢).

إقبل معاذير من يأتيك معتذرًا   إن بر عندك فيما قال أو فجرًا

وقال آخر :

قيل لي : قد أساء إليك فلان   وقعود الفتى على الضيم عار

قلت : قد جاءنا فأحدث غدرًا   دية الذنب عندنا الإعتذار

٢-الإقلال من العتاب :

إذ العتاب له طرفان ووسط فالإكثار منه يورث الضغائن ويؤدي إلى الملل قال أسماء بن خارجة : (الإكثار من العتاب داعية إلى الملال) .[١]

والإقلال منه ينبئ عن تجاهل الآخرين وازدرائهم أو عن حقد مكنون في صدر صاحبه .

قال بعض الحكماء:-(من كثر حقده قل عتابه) .[٢]

وقال العتابي -رحمه الله -:(ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد) .[٣]

وخير العتاب وسطه .

وخير الأمور الوسط الوسيط   وشره الإفراط والتفريط

وقال آخر :

ولاتغل في شيئ من الأمر واقتصد   كلا طرفيْ قصد الأمور ذميم

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٥١- ٢٥٢) .
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٥١- ٢٥٢) .
(٣) المرجع السابق (١/ ٢٥١- ٢٥٢) .

وافقه -أخي الطالب- في العتاب من تُعاتب فليس كل الناس يصلح لهم العتاب قال الأصمعي -رحمه الله- : (عاتب من ترجوا رجوعه).[١]

أعاتبُ من يحلو بقلبي عتابه وأتـرك من لا أشتهي لا أعاتبه

وقال آخر:

أعاتب ذا المـودة من الصديق إذا مـا رابـنـي منه إغـتراب
إذا ذهـب العتاب فليس ودٌ ويبقى الـود ما بقي العتاب

وقال آخر :

ولـسـتُ مـعـاتـبًا خـلا لأني رأيت العتب يغـرو بالعـقوق
ولـو أني أوقـف لي صديقًا عـلى ذنـب بقيت بـلا صديق

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٥١- ٢٥٢).

باب
التــودد

يالله ما أجمل الحياة حين تملأها الحب والوداد والعطف والرحمة بين الناس فالناس بالوداد جسد واحد وقلب واحد وروح واحد .

روحــه روحــي وروحــي روحه　　　　قـلـبـه قـلـبـي وقـلـبـي قلبه

فلنا　قلب ٌوروح ٌ واحــد　　　　حــســهُ حــسي وحــسي حسه

وبالوداد والحب تجتمع الكلمة،ويرأب الصدع،ويذهب الشقاق والنزاع، فخلقٌ هذا حاله كيف لا يكون من أفضل الأعمال وأحسن الخلال.

فخليق بطالب العلم أن يتحلى به قربة إلى الله وقربة من الناس جاء عند البخاري ومسلم من حديث النُّعْمَان بْن بَشِير- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **مَثَلُ الْمُؤْمنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى شَيْئًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ ، بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** » .

وفي الطبراني وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَفْضَلُ الأَعْمَالِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ** » .

وروى عن علي - رضي الله عنه - مرفوعًا:(وَالتَّوَدُّدُ نِصْفُ الدِّيْن).

وروى ابن أبي شيبة والبيهقي عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ، قَالَ : قَالَ

رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « **رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاس** » .

أسبابَ الوداد :

اعلم –هُديت– أن مما يجلب الوداد ويزرع الرحمة والعطف بين العباد الآتي :

رد السلام والإبتسامة الصادقة ، والكلمة الطيبة والهدية الجميلة ، والنظرات الحانية والتغافل عن الأخطاء ، وقلة العتاب ، وتفقد الحاجات ، والتوسيع في المجلس ، والبشاشة والبشر والمناداة بأحب الأسماء ، وزيارة المرضى والمواساة ، والعطف على المحتاج ، والسمت الحسن والسكينة والوقار ، إلى غيرها من مكارم الأخلاق .

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –:(إن مما يصفي لك مودة أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحب الأسماء ، وأن توسع له في المجلس) .[١]

وقال سفيان الثوري –رحمه الله–: (إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سُنَّة ، وبالمغرب صاحب سُنَّة ، فابعث إليهما بالسلام ، وادع الله لهما فما أقل أهل السُّنَّة والجماعة) .[٢]



(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٤٢).
(٢) المرجع نفسه (٢/ ١٩٣).

الكتاب الرابع
كتاب الرقائق



باب الإخلاص



الإخلاص لغة : النقاء

اصطلاحًا : افراد الله بالقصد في الطاعات .[١]

والقصد إنما يكون بالقلب .

والقلب يجب تنقيته : (من الشوائب كلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب ، فلا يكون فيه باعث سواه ، وهذا لا يتصور إلا من محب لله ومستغرق الهمم بالآخرة ، بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار ، فمثل هذا لو أكل أو شرب أوقضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية ، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص مسدود عليه إلا على الندور) .[٢]

وعليه فتعلم – أيها الطالب– تصحيح النية إذ مدار الأعمال عليها صحة وفسادًا قبولًا وردًا .

الإخلاص في الوحيين :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١

(١) تزكية النفوس (ص ١٣).
(٢) المرجع السابق (ص ١٥).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر ٢-٣] .

ويقول أيضًا : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة ٥] .

ويقول : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف ١١٠] .

فالمراد بالعمل الصالح هنا : الموافق للسُنَّة . والمراد بعدم الشرك : الخالص لله .

ويقول سبحانه : - ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء ١٢٥] .

فالمراد بإسلام الوجه لله : إخلاصًا له .

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ : إتباعًا لرسوله .

مما سبق من الآيات تبين لنا أن للعبادة شرطين هما :

١ - الإخلاص لله .

٢- المتابعة لرسول الله .

وهذان الشرطان قد اقتضتهما الشهادتان :

أ - شهادة أن لا إله إلا الله التي تعني : إخلاص العبودية لله .

ب-شهادة أن محمدًا رسول الله والتي تعني : توحيد المتابعة لرسول الله -ﷺ-.

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل إلا إذا كانت له صفتان

لا بـد مـن إخـلاصـه ونقائه وخلـوه مـن سائـر الأدران
وكذا متابعة الرسول فحكمها نـص بحكم نبينا العدنان

ومن السُّنَّة :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُوله ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** » . رواه البخاري ومسلم .

قال ابن رجب – رحمه الله –: (الأعمال صالحة ، أو فاسدة ، أو مقبولة أو مردودة ، أو مثاب عليها ، أو غير مثاب عليها بالنيات ، فيكون جزء عن حكم شرعي ، وهو صلاح الأعمال وفسادها ، بحسب صلاح النيات وفسادها) .[١]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ وَأَبْغَضَ فِي اللهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ** » . رواه أبو داود بإسناد حسن .

الإخلاص عند السلف - الصالح - :

لقد بلغ السلف مبلغًا عظيمًا في الإخلاص لله ، وحرصوا الحرص الكامل في تصحيح النيات وذلك لأنهم يعلمون أن مناط الفوز والفلاح في الدارين ، متعلق بالإخلاص .

(١) الإخلاص (٨) .

وأن صلاح الظاهر لايتأتى إلا بصلاح الباطن .

جاء عند البخاري ومسلم من حديث النُّعْمَان بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « **أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** » .

قال الشيخ تقي الدين : فأخبر أن صلاح القلب مستلزم لصلاح سائر الجسد وفساده مستلزم لفساد سائر الجسد فإذا رأى ظاهر الجسد فاسدًا غير صالح عُلم أن القلب ليس بصالح بل فاسد ويمتنع فساد الظاهر مع صلاح الباطن كما يمتنع صلاح الظاهر مع فساد الباطن إذ كان صلاح الظاهر وفساده ملازما لصلاح الباطن وفساده) .[١]

قال عثمان - رضي الله عنه : (ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله عز وجل - على صفحات وجهه وفلتات لسانه) .[٢]

ترك الأمور التي أخشى عواقبها   في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

قال يحي بن كثير : (تعلموا النية ، فإنها أبلغ من العمل) .[٣]

وقال أحمد يومًا لابنه عبد الله : (يابني أنو الخير فإنك لا تزال بخير ، ما نويت الخير) .[٤]

ولقد كان لهم - رحمهم الله - في كل عمل نية صالحة .

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٢٤) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٢٤) .
(٣) تزكية النفوس (ص٢٠) .
(٤) الآداب الشرعية (١/ ١٠٢) .

قال بعض السلف : (إني لأستحب أن يكون لي في كل شيئ نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء) .[١]

وقال معاذ : (إني لاحتسب نومتى كما أحتسب قومتي).[٢]

وقال ابن المبارك - رحمه الله - :(ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة) .[٣]

قال ابن الجوزي -رحمه الله - : (والله لقد رأيتُ من يكثر الصلاة والصوم والصمت ويتخشع في نفسه ولباسه والقلوب تنبو عنه وقدره في النفس ليس بذاك) وقال : (ورأيت من يلبس فاخر الثياب وليس له كبير نفل ولا تخشع والقلوب تتهافت على محبته فتدبرتُ السبب فوجدته السريرة فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله وعبقت القلوب بنشر طيبة .

فالله ... الله في السرائر ، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر) .[٤]

وهذا ابن القيم -رحمه الله - يقول : (العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه) .[٥]

وقال الربيع بن خثيم : (كل مالا يُراد به وجه الله يضمحل) .[٦]

هذه نتف مختصرة وعبارات موجزة فاحت بها أَلْسِنَة أولئك الأعلام وأودعتها هذا المقام لتكون لطالب العلم ضياء مشكاة ومصباحًا كلما جاءت به الأيام تقدم إلى الأمام وصار للأمة إمام ما فلايتأخر ولا يتعثر

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٣٤٦) .
(٢) تزكية النفوس (ص ١٩)
(٣) سير أعلام النبلاء(٨/ ٩٧) .
(٤) صيد الخاطر (ص ٢٩٢) مختصًرا .
(٥) الفوائد (ص ٨٠) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٩).

لأنه في بحر الإخلاص أبحر فاستقى من نبعه الصافي شرابًا خالصًا سائغًا للمخلصين .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : (والصدق في الطلب منار أين وجد ، يدل على الجادة ، وإنما يتعثر من لم يخلص ، وإنما يمتنع الإخلاص ممن لا يراد ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ...).[١]

وقال حماد بن سلمة:(من طلب الحديث لغير الله مكر به).[٢]

فالله الله أخي الطالب في إخلاص النية في رحلتك العلمية والدعوية ، فإن العمر قصير ، فلا تقصره أكثر بسوء المقصد .

واحذر المباهاة والمماراة،وحب الظهور،والإنتصار للمذهب،أو للحزب أو للشيخ، فإن هذا-والله-آفة كثير من الطلاب علامات المخلصين.

اعلم -علمني الله وإياك - أن للإخلاص علامات منهـا :

١- المخلص يكتم حسناته كما يكتم سيئاته .

٢-المخلص يستوي عنده القدح والمدح

٣-المخلص يوضع له القبول في الأرض

٤-المخلص ينسى رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق .



(١) صيد الخاطر (ص ٤٦٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٨) .

باب
العناية بالقلب

القلب محل نظر الرحمن فعلاجه وتطهيره من الران واجب على الأعيان.

بصلاحه يصلح الحال المآل ، وتُسدد الأقوال والأعمال .

واستقامة الجوارح عنوان استقامة الجوانح ،و فسادها عنوان فسادها . فهل من مدكر ؟ .

وهذه رسالة إلى أولئك القوم الذين أخذوا يفرقون بين صلاح الظاهر والباطن فيحاربون السُّنن النبوية كإطلاق اللحى ورفع الإزار والمحافظة على السواك وغيرها من السُّنن ، بحجة أن الإيمان بالقلب ، وفوق ذلك ينعقون بما يدل على خبث الطوية بأن تلك السُّنن ما هي إلا قشور [1] ، والأصل التزام الأصول .

فإلى أولئك القوم أقول : إن الذي أمر بالمحافظة على الفرائض هو الذي أمر بالمحافظة على النوافل .

وفي القرآن الكريم قرن الله بين عمل الظاهر والباطن فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت ٣٠] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة (قُلْ رَبِّيَ اللهُ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ) وعند مسلم بلفظ (آمَنْتُ بِاللهِ) وهذا

(١) انظر التعليق ، باب التنازل (ص ٣٣٠) .

الحسن البصري - رحمه الله - يقول : (الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل) .[١]

أفبعد هذا يُعقل أن إنسانًا منحرف في أقواله ضآل في أعماله يكون مستقيماً في قلبه واعتقاداته ؟! ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص-٥] ، لم ولن يقع - والله - أبدًا . فاحذر الشبه وأهلها - عافاك الله - .

أنواع القلوب :

اعلم أيها الطالب أن القلوب أنواع ثلاثة :

الأول - القلب السليم :

وهو القلب الذي سلم من الآفات التي تمرضه أو تهلكه شبهة كانت أو شهوة وصاحبه ناج يوم القيامة . كما قال الله : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾ [الشعراء ٨٨-٨٩] .

علامات صاحبه :

صاحب القلب السليم مقبل ، على الله زاهد في الدنيا ، متورع عن أعراض إخوانه ، مشتغل بعيب نفسه ، محافظ على أوجه البر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يشوبه غلٌ ولا حقد ولا بغضاء لإخوانه المسلمين ، لسانه رطب بذكر الله والإستغفار ، يعفو ويصفح ويدفع السيئة بالحسنَة ، إلى غيرها من مكارم الأخلاق وجميل الصفات .

الثاني : القلب الميت :

وهو ضد القلب السليم ، وهذا النوع هو المعني بقول الله: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف ١٧٩] ، وقوله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا

(١) فتح المجيد (ص ٦٤) .

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ [المطففين ١٤]، وقوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة ٧] .

واعلم - حفظك الله - أن سموم القلب هي عامة الذنوب والأصل في سلامتها أن نتوب .

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وأشد السموم تأثيرًا على القلب أربعة :

١- فضول الكلام .

٢- فضول النظر .

٣- فضول الطعام .

٤- فضول المخالطة .

علامات صاحبه:

صاحبه لا يعرف ربه بأمره ونهيه هلوع جزوع للمال جموع وللبر منوع مقبل على الدنيا مدبر عن الآخرة عازف عن الدين قصارى همه إشباع شهواته وتحقيق رغباته لا يعرف معروفًا ولاينكر منكرًا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم من حديث حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : « **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا. فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَدَ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلا يُنْكِرُ مُنْكَراً، إِلا مَا**

أُشْربَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْب أَبْيَض لا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّماوات وَالأرْضُ».

الثالث : القلب المريض :

وهو قلب له حياة وبه علة تمده هذه مرة وهذه أخرى ففيه من الخير مادة حياته وفيه من الشر مادة هلاكه .[1]

وهذا القلب هو المعني بقول الله : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة ١٠] .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة ١٢٥] ، وذلك لأنهم لم يُسارعوا لعلاج قلوبهم بل تمادوا في كفرهم وضلالهم فهلكوا .

أسباب مرض القلب وفساده :

ترجع جميع الأسباب إلى سببين رئيسين هما :

١-فتن الشهوات : التي توجب فساد القصد والإرادة وعلاجها الإيمان الصادق بالله تعالى .

٢-فتن الشبهات : التي توجب فساد العلم والإعتقاد وعلاجها العلم الشرعي النابع من الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة .

وليعلم أن القلوب المتعلقة بالشهوات والشبهات ، محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها .

الوسائل المعينة على صحة القلب واستقامته :

١-تجنب سموم القلب الأربعة الآنفة الذكر .

٢-المداومة على ذكر الله : ونعقد لذلك بابًا مستقلًا -بإذن الله- .

(١) تزكية النفوس (ص ٢٦—٢٧) . مختصرًا .

٣-مذاكرة العلم الشرعي ففيه حياة للقلب .

٤-المواعظ: فالمواعظ للقلوب كالسياط للأبدان والموت أعظم واعظ وكفى بالقرآن موعظة ففيه قصص وأخبار وإنذار وعبر وتخويف وأمر ونهي وتشريع وأحكام وإجمال وتفصيل .

كتاب حوى العلوم وكلما حواه من العلم الشريف صواب

ففيه الدواء لكل داء فاظفر به فوالله ما ينوب عنه كتاب

وصدق الله القائل : ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾[هود ١] .

والقائل : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ ﴾ [فصلت ٣-٤] ، ومن لم يتعظ بالقرآن وآياته وأخباره فلا واعظ له .

فمن لم يُقَوَّمْ بهدي الكتاب فبالسيف ياصاحبي قَومِ

٥-الدعاء : ونعقد لذلك بابًا مستقلًا - بإذن الله - .

٦- ترويح القلوب : جاء في الأثر : (إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم) جامع بيان العلم (١/ ١٩٠) .

٧-مجالسة الصالحين : فيالله ما أجمل السير في ركاب الصالحين ومزاحمتهم في حلقهم ، فإن ذلك يملأ القلب إيمانًا وتقوى ويغمره سعادة وسرورًا .

واصحب من الأخيار كل مرشد إن القرين بالمقارن يقتدي

فصحبة الأخيار للقلب دوا تزيد للقلب نشاطًا وقوى
وصحبة الجهال داء وعمى تزيد للقلب السقيم سقما

٨-قراءة سير الأنبياء والرسل وسلف الأمة الأطهار .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١] .

٩-مسح رأس اليتيم والعطف على الفقراء والمساكين .

١٠-زيارة المرضى ومقابر الموتى [١] فإنها تذكر بالآخرة .

١١-التفكر بالموت وما بعده من أهوال وشدائد .

١٢-التفكر في مخلوقات الله ففيها الأدلة القاطعة والبراهين الناصعة على توحيد الله في ألوهيته وبالتالي يستقيم القلب في الإيمان بخالقه .

١٣-العزلة عن الشر : وسنعقد لذلك بابًا مستقلاً وأهميته ، بإذن الله تعالى .



(١) وزيارة القبور مستحبه للرجال دون النساء .

باب الذكر

الذكر : هو ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح لله وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والكمال [١] .

ولقد ورد الثناء على الذكر والذاكرين في أكثر من آية من كتابه الحكيم من ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة :١٥٢].

وقال:﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٥] ، سئل سلمان - رضي الله عنه - أي الأعمال أفضل ؟ قال : (أما تقرأون القرآن : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ ؟.

جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عَبَّاس- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-** » .

وعَنْ جَابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم وَبِحَمْده ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ** » رواه البخاري وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤٢٩) والصحيحة رقم (٦٤).

(١) ففروا إلى الله (ص ١٤٤) .

وأخرج البخاري تعليقًا عَن ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : « **الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ** » .

الله أكـبر كـل هـم ينجلي عـن قلب كـل مكبر ومهلل

فوائد الذكر:

اعلم أخي الطالب : أن للذكر فوائد لا تحصى من ذلك :

أنه يرضي الله ، ويسخط الشيطان ، ويُذهب الهموم والأحزان ، ويغمر القلب بالسعادة والإطمئنان ، ويشرح الصدور ، ويجلب الرزق ، ويزيد الذاكر مهابة ، ويرفع الدرجات ويمحو السيئات ، ويقوي القلب ، ويرقق المشاعر ، ويوقظ القلوب والضمائر ، ويُرهف الإحساس ويسمو بالنفس ويزكيها ، ويسترفع بها عن شهواتها ، ويملك جماحها ، ومع هذا فهو خفيف على اللسان ، ثقيل في الميزان ، حبيب إلى الرحمن .

فالله الله ياطالب العلم في الذكر ، واحذر احذر الغفلة ، فإنها البلية والرزية ، واعلم – حفظك الله – أن أعداء الإسلام على اختلاف مشاربهم قد بذلوا قصارى جهدهم وسعو سعيًا حثيثًا وبشتى الوسائل المسموعة والمرئية ، لإغفال المسلمين عن ربهم ودينهم ، مكرٌ بالليل والنهار .

وما الجريدة والمجلة والمذياع والتلفاز والقنوات الفضائية ، وشبكات الأنترنت العالمية ، إلا وسائل حرب عدائية لإماتة الهوية الإسلامية ، ووأد الأخلاق الدينية ، وإغفال المسلمين عن رب البرية .

ولقد نجحوا نجاحًا كبيرًا في تحقيق أهدافهم والوصول إلى مآربهم إلا من عصم الله .

باب الدعاء

الدعاء : هو التضرع والإبتهال إلى الله سبحانه وتعالى، باسم من أسمائه أو صفة من صفاته ، في نيل محبوب أو دفع مرهوب .

ومن هنا نستطيع القول بأن الدعاء المشروع لا يكون إلا بإسم من أسمائه أو صفة من صفاته أو بصالح الأعمال أو بدعاء رجل صالح حي حاضر .

قال الله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف ١٨٠] .

وقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء ١١٠] .

أخي الكريم : إعلم أن الدعاء هو العبادة ، لقول الله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر ٦٠] .

وفي الحديث الذي رواه أصحاب السُّنن وابن حبان في صحيحه ، وصححه الألباني أن النبي - ﷺ - قال : «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**» .

فأنعم بعبد مملوك لله عرف خالقه بأنه المالك ، الغني العزيز القوي ، الذي يملك حوائج السائلين ، ويجيب دعوة المضطرين ، ويعلم ضمائر الصامتين ، يفرح بدعوة الصالحين .

وعرف قدر نفسه بأنه الفقير المحتاج الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً ولاموتًا ولا حياةًولانشورًا .

ففزع إلى خالقه وقرع بابه ، وأسكب عبراته ، وأظهر فقره ، وأعلن حاجته ، وألح بسؤاله وتوسل إليه بأسمائه وصفاته ، وتملق إليه بالدعاء ، وأثنى عليه بجميل الثناء .

فدعاء وداع ومدعو هذا حاله حري به أن يستجاب فلا يرد ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة ١٨٦] .

شروط الدعاء :

١ -الإخلاص في الدعاء : قال الله : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر ١٤] .

٢ -حضور القلب:جاء في مستدرك الحاكم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -: « **ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ لاهٍ**» فغفلة القلب تبطل قوة الدعاء .

٣ -تحري الحلال والحرام :لما جاء عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْه -قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - : « **أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ...... ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْه إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ** » ، دل هذا على أن الوقوع في الحرام مانعٌ من موانعَ إجابة الدعاء

٤ -عدم إستعجال الإجابة : لما في الصحيحين منْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْه -قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **يُسْتَجَابُ**

لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ ، يَقُولُ : دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» .

٥-إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :لحديث حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْه -قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ عَزَّ وَجَل أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ** » أخرجه الترمذي .

٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْه - عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « **لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ** »رواه مسلم.

٧-أن لا يُعتدى [1] في الدعاء : لقول الله : ﴿ **ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥** ﴾ [الأعراف ٥٥] .

آداب الدعاء :

وللدعاء آداب يجملُ بك أيها الطالب أن تتأدب بها أثناء السؤال من ذلك :

١-رفع اليدين مضمومتين : عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ، قَالَ :« **إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ** » . رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني .

وحديث: (**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ يا رَبُّ يا رَبُّ**) رواه مسلم.

---

(١) الإعتداء في الدعاء يكون برفع الصوت فوق الحاجة أوالدعاء بمستحيل شرعًا وقدرًا ، كالدعاء لإبليس بالهداية مثلاً أو لفرعون بالجنة أولأبي لهب بالمغفرة أو نحو ذلك ، مما قد قدره الله شرعًا وكونًا وعلم عدم نفع الدعاء فيه .

٢-استقبال القبلة : لفعله - ﷺ - ذلك في غير موطن كيوم بدر . رواه مسلم

٣-خفض الصوت : لما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ».

٤-إختيار الأدعية الجامعة والمأثورة .

٥-الإلحاح في الدعاء : عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ**».رواه البيهقي وابن عدي.

٦-البدء في الثناء والحمد : لحديث فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ - رَأَى رَجُلًا صَلَّى لَمْ يَحْمَدِ اللهَ وَلَمْ يُمَجِّدْ ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ - وَانْصَرَفَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ - : « **عَجِلَ هَذَا، فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِه** :« **إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ** [١] **فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ يَدْعُو بِمَا يَشَاءُ** ». أخرجه أحمد وصححه الألباني .

أوقات فاضلة للدعاء :

١-وقت السحر : لحديث جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: « **إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ**

(١) دعاء أحدكم .

يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ » رواه مسلم .

٢-عند السجود : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** » . رواه مسلم .

٣-عند نزول المطر : عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا** » ، أخرجه مالك وأبو داود وزاد أبو داود : « **وَقْتُ الْمَطَرِ** » والحديث صحيح

٤-عند السفر : لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ ، دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**» أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني .

٥-عند الإفطار : لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :(إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ) ضعيف وجاء عند الترمذي وصححه الألباني أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : (ثلاثة لا تُرَدّ دعوتهم - وذكر منهم - الصائم حِينَ يُفْطِر) .

٦-بين الأذان والإقامة : لحديث عَبْد الله بْن عَمْرو ،...... فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« **قُلْ كَمَا يَقُولُونَ**[١]، **فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ**». حديث حسن رواه أبو داود وقال الألباني حسن صحيح .

---

(١) أي : المؤذنون .

٧-يوم عرفة : لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : (**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ)** أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الألبانيَ في صحيح الجامع رقم (٣٢٧٤) .

٨-ليلة القدر : لحديث عَائشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا ؟ قَالَ : قُولِي: « **اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي** » . رواه الترمذي .

٩-ساعة يوم الجمعة : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «...... **فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ** » . أخرجه أبو داود وصححه الألباني .

من لا يرد دعاءهم :

١-دعوة المظلوم : لحديث ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : « **اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**» . متفق عليه

٢-دعوة المسافر : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ** » أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني .

٣-دعوة المضطر : لقول الله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل ٦٢] .

٤-دعوة الوالد على ولده : للحديث الآنف الذكر ولقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «... **وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ** » رواه مسلم .

٥-دعوة أخ لأخيه بظهر الغيب : عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِرَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ...** » رواه مسلم .

٦-الدعاء بجوامع الأدعية : عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنْ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ** » رواه أبو داود بإسناد جيد .



باب العزلة

لاشك أن العزلة المحمودة هي عزلة الشر وأهله ومواطنه وما لا خير فيه فذلك أنفع للقلب وأصفى للذهن وأزكى للنفس .

قال الخطابي -رحمه الله - : (....... إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها) . (١)

ولقد حُبب إلى رسول الله -ﷺ- الخلوة بنفسه فكان يتعبد الليالي ذوات العدد في غار حراء معتزلاً قومه وعاداتهم ومعبوداتهم الباطلة .

السلف والعزلة :

لقد عشق السلف -رحمهم الله- العزلة فكانوا لها دعاة ورعاة فهذا عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يقول : (العزلة راحة من جليس السوء، وقرين الصدق خير من الوحدة) . (٢)

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

قيل لابن المبارك - رحمه الله-:كيف لا تستوحش في مقامك وحدك ؟ فقال : كيف يستوحش من يجالس النبي -ﷺ- والصحابة والتابعين - رضي الله عنهم- ، يعني الكتب التي فيها الأخبار والسير) . (٣)

(١) العُزلة للخطابي (ص ٦) ، نقلاً من:حرمة أهل العلم (ص ٨٠) لِلمُقَدِّم .
(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٣٤٣).
(٣) المرجع نفسه (٣/ ٤٣٢) .

لنا جلساء ما نمل حديثهم ألباء مأمونون غيبًا ومشهدًا
يفيدوننا منهم طرائف حكمة ولا نتقي منهم لسانًا ولا يدًا

وهذا الحافظ أبو نصر السجزي قيل له : أنت جالس وحدك ؟، فقال : لستُ وحدي أنا بين عشرين ألفًا من الصحابة والتابعين ،وأئمة المسلمين، أتحدث معهم وأحكي عنهم) .[١]

نِعم الصحاب إذا الجليس كتاب تلهوا به إن خانك الأصحاب
لا مفشيًا عند القطيعة سره وينال منه حكمة وصواب

وقال آخر :

ما تطعمتُ لـذة العيش حتى صرت في البيت للكتاب جليسًا
إنـما الـذل في مخالطة الناس فدعهم تعش عـزيـزًا رئيسًا

وقيل لابن المبارك – رحمه الله –: (إذا أنت صليت لمَ لَمْ تجلس معنا؟، قال : أجلس مع الصحابة والتابعين أنظر في كتبهم وآثارهم فما أصنع معكم ؟ إنكم تغتابون الناس) .[٢]

كان في الإجتماع من قبل نور فمضى الـنـور وأدهـم الظلام
فسد الناس والـزمـان جميعًا فعلى الناس والزمان السلام

وهذا الإمام أحمد –رحمه الله –يقول : (كفى بالعزلة علماً ، والفقيهُ

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٤٣٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٨) .

الذي يخاف الله) . [١]

وقال : (رأيت الخلوة أروح لقلبي) . [٢]

وقال عبد الله : كان أبي أصبر الناس على الوحدة . . [٣]

وقال المروذي : قال لي أبو عبد الله : قل لعبد الله : أخمل ذكرك فإني قد بليت بالشهرة) . [٤]

وقال سفيان الثوري -رحمه الله- :

(أقل من معرفة الناس تقل غيبتك). [٥]

وهذا ابن الجوزي - رحمه الله - يقول:

(... فيا للعزلة ما ألذها سلمت من كدر غيبة، وآفات تصنع ، وأحوال المدجاة وتضيع الوقت ، ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه ، عند الله وعند الخلق) [٦]، وقال: (لأن أنفع نفسي وحدي خير لي من أن أنفع غيري وأتضرر فإنك إن أنفردت بمولاك فتح لك باب معرفته فهان كل صعب وطاب كل مر وتيسر كل عسر وحصلت كل مطلوب) . [٧]

وقال : (من أراد إجتماع همه وصلاح قلبه ، فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان ، فإنه قد كان يقع الإجتماع على ما ينفع ذكره ، فصار الإجتماع على ما يضره) أهـ [٨].

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٢٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٦) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٢٦- ٢٧).
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٢٦- ٢٧).
(٥) حرمة أهل العلم (ص ٧٧) .
(٦) المرجع السابق .
(٧) المرجع السابق.
(٨) المرجع السابق.

وقال: « ما أعرف للعالم لذةً ولا عزًا ، ولا شرفًا ولا راحة ، ولا سلامة، أفضل من العزلة ، فإنه ينال بها سلامة بدنه ، ودينه ، وجاهه عند الله وعند الخلق» . [١]

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا   سوى الإكثار من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا   لأخذ العلم أو إصلاح حال

قال إبراهيم ابن أدهم - رحمه الله -:

(من أراد التوبة فليخرج من المظالم ، وليدع مخالطة الناس ، وإلا لم ينل ما يريد) [٢] .

هكذا كان حال سلفنا الصالح مع العزلة ، ومع هذا فكل ما أوردته وما لم أورده ، مما نقل عنهم في حب الخلوة والعزلة ، فهو محمول على عزلة الشر وفضول المخالطة - ليس إلا - .

أخي طالب العلم -حفظك الله- ، لا يخفى عليك أن من تأمل مجالس الناس اليوم -حتى مجالس بعض الصالحين- ، وجدها مملوءه بهتك الأعراض، غيبةٌ ونميمةٌ ، وكذبٌ وبهتان ، فمجالس هذه حالها الصواب إعتزالها ، وإن عابك الناس وذموك ، فأنت على السبيل القويم والسلام.[٣]



(١) المرجع السابق.
(٢) صيد الخاطر.
(٣) المرجع السابق .

باب
الزهد و الورع



التحلي بالزهد والورع من أهم خصال طالب العلم وفيها دلالة على رقة النفس وسمو العقل وسلامة التفكير .

(والزهد أعلى مقامًا من الورع ، لأن الورع ترك ما يضر في الآخرة ، والزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة ، وبينهما فرق) .

والفرق الذي بينهما: المرتبة التي ليس فيها ضرر وليس فيها نفع، فالورع لا يتحاشاها والزاهد يتحاشاها ويتركها لأنه لايريد إلاماينفعه في الآخرة. (١)

وبإمكاننا أن نجعل هذا الباب على قسمين :

القسم الأول : الزهد .   القسم الثاني : الورع .

يقول الشيخ محمد المهدي : « والجلوس مع عوام المسلمين في أعراسهم وفي تجمعاتهم بنية إصلاحهم، أمر مهم لطلبة العلم ، حتى لا يصبحوا صيدًا سمينًا لدعاة البدع والفساد ،مع التقليل من الجلوس والتوسط هنا، أفضل من الهروب أو الإدمان ، والله أعلم .

أولًا : **الزهد** : **الزهد في الوحيين** :

أخي الطالب : لقد ورد في القرآن والسُّنَّة النصوص الكثيرة التي تحثنا على القناعة والزهادة والتقلل في الدنيا فمن القرآن : -قول الله تعالى:

(١) شرح حلية طالب العلم (ص ٤٢) .

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت ٦٤].

وقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٤]، وقوله تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد:٦٢].

ومن السُّنَّة: (عَنْ قَيْس بْن أَبي حَازم -رَضيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: **«مَا الدُّنْيَا في الآخرَة إلا مثْلُ مَا يَجْعَل أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ في الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يَرْجِعُ»** متفق عليه .

وجاء عند البخاري من حديث عَن ابْن عُمَرَ-رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : **«كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابرُ سَبيل»** .

وعَنْ سَهْل بْنِ سَعْد السَّاعديِّ -رَضيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله دُلَّني عَلَى عَمَل إِذَا عَملْتُهُ أَحَبَّني اللهُ ، وَأَحَبَّني النَّاسُ ، فَقَالَ : **«ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحبَّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فيمَا عنْدَ النَّاس يُحبَّكَ النَّاسُ»** . رواه ابن ماجة وغيره وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٤) .

عَنْ سمَاك بْن حَرْب، قَالَ: سَمعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشير-رَضيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُولُ: ... لَقَدْ رَأَيْتُ نَبيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ [١] مَا

(١) الدقل : رديء التمر .

يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» .

عَنْ عَائشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : « **مَا تَرَكَ رَسُولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَ مَوْته درْهَمًا ، وَلَا دينَارًا ، وَلَا عَبْدًا ، وَلَا أَمَةً ، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً** » .

وجاء عند البخاري ومسلم عَنْ عَائشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ : « **مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ** ».

وعَنْ عَبْد الله بن مَسْعُود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : نَامَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبه ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله لَو اتَّخَذْنَا لَكَ وطَاءً ، فَقَالَ : « **مَالِي وَللدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا** » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وَكَانَ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : «**اللهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الآخِرَهْ**» متفق عليه من حديث أنس .

السلف الصالح والزهد :

لقد استقى السلف -رحمهم الله- أخلاقهم من بحر أخلاقه -ﷺ- فكان شرابًا حلوًا صافيًا نقيًا سائغًا للشاربين ، وفي هذا الباب ترسموا خطى رسولهم الكريم -ﷺ- فأعرضوا عن الدنيا وبهرجها ، وأقبلوا على الآخرة ونعيمها .

فعَنْ سَعيد بْن أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبيه ، قَالَ : قَالَ لِي أَبِي يَعْنِي أَبَا مُوسَى : «يَا بُنَيَّ ، لَوْ رَأَيْتَنَا وَنَحْنُ مَعَ نَبِيِّنَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَصَابَتْنَا السَّمَاءُ ، وَجَدْتَ مِنَّا رِيحَ الضَّأْنِ مِنْ لِبَاسِنَا الصُّوفِ » . [1]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٠٠).

وكان مالك بن دينار - رحمه الله - يقول :(الناس يقولون عني زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها) . [١]

وعليه فينبغي للمنتسب للعلم أن يكون متقللًا من الدنيا ، زاهدًا فيها مكتفٍ باليسير منها ....) .

أَمَـتُّ مطامعي فأرحت نفسي فـإن النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكـان ميتًا ففي إحيائه عـرضًـا مصون

قيل لابن المبارك - رحمه الله - : كيف تعرف العالم الصادق ؟، قال : الذي يزهد في الدنيا ويقبل على آخرته . [٢]

ومع ذا فلستُ أعني بالزهد الممدوح أكل الرديء من الطعام ، ولبس الخشن من الثياب ، والإنقطاع عن الزواج والترهبن ، وإضاعة الأهل والأولاد فكل هذا ليس من الإسلام في شيئ .

قال سفيان الثوري - رحمه الله - :(ليس الزهد بأكل الغليظ ،ولبس الخشن ،ولكنه قصر الأمل ، وارتقاب الموت) . [٣]

وسُئل ابن عيينه -رحمه الله- ما الزهد ؟، قال :(إذا أُنعم عليه شكر ، وإذا ابتلي ببلية صبر ، فذلك الزهد) . [٤]

وقال : (الزهد فيما حرم الله ، فأما ما أحله الله فقد أباحه الله ، فإن النبيين قد نكحوا ، وركبوا ، ولبسوا ، وأكلوا ، لكن الله نهاهم عن شيئ

(١) المرجع نفسه (٥/ ١٣٤) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٤١) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٤٣) .
(٤) المرجع نفسه (٨/ ٤٦٨) .

فانتهوا عنه ، وكانوا به زهاد) . [١]

واعلم - وفقك الله - أنه كان للنبي -ﷺ- زوجات وسراري ، وكان لعلي أربع حرائر ، وسبع عشرة أمه ، وتزوج ولده الحسن نحوًا من أربعمائة ، وأنفق موسى -عليه السلام-عشر سنين في مهر ابنة شعيب [٢] .

(ولقد خلف ابن مسعود تسعين ألفًا ، وكان الليث بن سعد يستغل كل سَنة عشرين ألفًا ، وكان سفيان يتجر بمال ، وكان ابن مهدي يستغل كل سَنة ألفي دينار) . [٣]

(وكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من أغنى أصحاب رسول الله -ﷺ- ، فجهز بمفرده ثُلث جيش العسرة ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف كان من أثرياء الأصحاب ، وكانت السيدة خديجة تستأجر الرجال للمتاجرة بأموالها ، فلا يهولنك ما تسمعه من الأحاديث التي تحث على الجوع، فإن المراد بها إما الحث على الصوم، وإما النهي عن مقاومة الشبع، فأما تنقيص المطعم على الدوام فمؤثر في القوى فلا يجوز) . [٤]

(ولا تحتجن بأسماء الرجال فتقول قال بشر، وقال ابن أدهم، فإن من احتج بالرسول -ﷺ- وأصحابه أقوى حجة على أن لأفعال أولئك وجوهًا نحملها عليهم بحُسن الظن) . [٥]

ويكفيك أن النبي - ﷺ - أوصى فقال : (**إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**) رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو .

(١) المرجع نفسه (٨/ ٤٦٩) .
(٢) صيد الخاطر (ص٧٤-٧٥)مختصراً .
(٣) صيد الخاطر (ص ٧٤) .
(٤) صيد الخاطر (ص ٨٠- ٨١).
(٥) صيد الخاطر (ص ٨٠- ٨١).

ثانيًا : الورع :

لله ما أجمل الورع ، وما أطيب شذاه من تجمل به ، علته السكينة والوقار وهابه الناس هيبة تعظيم وإكرام .

فعن مطرف بن عبد الله قال : (خير دينكم الورع) . [١]

وعن يوسف بن أسباط قال :(يجزئ قليل الورع والتواضع، من كثير من الإجتهاد في العمل) . [٢]

واعلم - هديت - أن الورع خُلق جامع ، وباب واسع، من ذلك :

ورع الكسب ،وورع اللسان ،وورع القلب، وورع البطن ،وورع السمع ، وورع البصر إلى غير ذلك .

وأقتصر في هذا المختصر على ورع الكسب وورع اللسان :

الأول : ورع الكسب :

حقيق بطالب العلم أن يتجنب الحرام في مطعمه ومشربه وملبسه ، بل يحذر مواطن الشبهات والفتن ، حماية للدين والعرض والعلم ، وإن من مواطن الفتن ، إتيان أبواب الأمراء والسلاطين .

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السَّلَاطِينِ افْتُتِنَ** » رواه أحمد وأبو داود .

وقال حذيفة - رضي الله عنه - :(إياكم ومواقف الفتن : فقيل : وما مواقف الفتن ؟ ، قال : أبواب الأمراء) . [٣]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٩) .
(٢) المرجع نفسه (٩/ ١٧١).
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٨٦) .

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال :(ولو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عن أهله لسادوا أهل زمانهم ، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا ، لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم) . [١] رواه الخلال .

وقال سفيان :(مازال العلم عزيزًا حتى حمل إلى أبواب الملوك ، وأخذوا عليه أجرًا فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ، ومنعهم العمل به) . [٢]

وقال سعيد بن المسيب - رحمه الله - :(إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء ، فاحذروا منه فإنه لص) . [٣]

وقال داود الطائي - رحمه الله - فيمن يدخل على السلطان: (أخاف عليه الداء الدفين العجب). [٤]

وهي وصية لقمان لابنه : (إذا جلست إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل ، فلعله يأتيه من آثر عنده منك فينحيك ، فيكون نقصًا عليك) . [٥]

إذا أدنـــاك سـلـطـان فـزده من التعظيم واحـذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظمًا وقرب البحر محذور العواقب

وقال آخر :

قالوا تقرب من السلطان قلت لهم يعيذني الله من قرب السلاطينِ

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٤٨) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٤٨) .
(٣) المرجع نفسه (٣/ ٣٥٠) .
(٤) المرجع نفسه (٣/ ٣٥٠) .
(٥) المرجع نفسه (٣/ ٤١١) .

إن قلت دنيا فلا دينا لممتحـن أو قلت ديـنًا فلا ديـــن لمفتون

فالداخل على السلطان معرض لأن يعصي الله عزوجل إما بفعله أو قوله أو سكوته .

فإن كان لا بد : فاحذ ر الذنوب والغيبة وصن سره واحذر المداعبة عنده وإياك والطمع لما في يده .

الثاني : ورع اللسان :

أخي طالب العلم - اعلم :أن اللسان من أخطر جوارح الإنسان ففيه غث وغثيث وغثيان فكم من أناس زلت أقدامهم وحارت أفهامهم وأظلمت قلوبهم وتفرقت جموعهم بسبب حروف لفظتها ألسنتهم

يستحسن البعض ألفاظًا إذا امتحنت يومًا فأحسن منها العي والخرس

وفي اللسان أرشدك أخي الطالب لهذه الأمور :

١ - اطلاق اللسان سبب للهلاك والعذاب :

قال الله تعالى : ﴿ **إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ** ﴿١٥﴾ ﴾ [النور ١٥] .

وقال أيضاً: ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [ق ١٨] .

وجاء عند الترمذي وأحمد وابن ماجة من حديث مُعاذ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نتكَلَّمُ به ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ** ».

وجاء عند البخاري ومسلم وأحمد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** » .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ » رواه أحمد وأبو داود وعن حذيفة - رضي الله عنه - موقوفاً .

قال: (إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله يصير بها منافقًا ، وإني لأسمعها من أحدكم في المجلس عشر مرارٍ) رواه أحمد .

وجاء في الأثر :(اخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورِقك، فرُب كلمة سلبت نعمة ، وجلبت نقمة) .

وفي الأثر أيضاً: (اللسان سبع إن خلي عنه عقر) .

وقال طاووس : (لساني سبع ، إن أرسلته أكلني) . [١]

وقال مالك - رحمه الله - :(ما أكثر أحد قط فأفلح) . [٢]

فاحذر أخي الكريم -عافاك الله- من عثرات اللسان التي تهلك صاحبها وتفتك به من حيث لا يعلم .

٢-الصمت نجاة :

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟، قَالَ : « **أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** ». رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٩٢) ،

(١) حرمة أهل العلم (ص ٤٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٦٥) .

والصحيحة رقم (٨٩٠) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ -: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ...**» رواه البخاري ومسلم .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَنْ صَمَتَ نَجَا**» . رواه أحمد والترمذي وقال عنه غريب .

وقال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله - : (إذا اغتممت بالسكوت، فتذكر سلامتك من زلل اللسان) . [1]

ولقد قيل : (ما ندم حليم ولا ساكت) . [2]

وقال أبو بكر بن عياش : (أدنى نفع السكوت السلامة ، وكفى به عافية ، وأدنى ضرر المنطق الشهرة ، وكفى بها بلية) . [3]

ولقد كان السلف لا يتكلمون كثيرًا خوف المباهاة .

ما إن ندمت على السكوت مرة   فلقد ندمت على الكلام مرارًا

وأنشد الإمام الشافعي - رحمه الله - يقول :

قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم   ما طول صمتي من عيٍ ولا خرس
لكنه أحمدُ الأشياءُ عاقبة   عندي وأيسره من منطقٍ شكس
ءأنشر البز فيمن ليس يعرفه   أم أنثر الدر بين العمي في الغلس

(١) حرمة أهل العلم (ص ٤٨) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠١).

٣-الصمت عبادة وهيبة ووقارًا :

قال أحد السلف : (أول العبادة الصمت)

وكان السلف يقولون: (كثرة الكلام تُذهب الوقار) .[١]

وعن أبي الذيال قال : (تعلم الصمت كما تتعلم الكلام) .[٢]

وقال سفيان : (طول الصمت مفتاح العبادة) .[٣]

وكان ابن مسعود -رضي الله عنه - يقول : (ما أحوج إلى طول سجن من لساني) .[٤]

تحفظ من لسانك ليس شيئ أحـق بطول سجن من لساني

قال ابن باز - رحمه الله -:(الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عما لا ينبغي ، وألا يتكلم إلَّا عن بصيرة) .[٥]

٤-لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضول لا يؤمن زوره :

أخي - رعاك الله - اعلم : أن من عرف قدر زمانه وأنه رأس ماله لم ينفقه إلا في فائدة، وهذه المعرفة توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعني،وفي الحديث : (**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالا يَعْنِيهِ**)رواه الترمذي.

قال معروف الكرخي - رحمه الله -:(كلام العبد فيما لا يعنيه ، خذلان من الله) .[٦]

(١) حرمة أهل العلم (ص ٤٨) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٤٨) .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٤٨) .
(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٥٥) .
(٥) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١٠٨) .
(٦) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤١) .

وعن زيد بن أسلم قال : (دُخِل على أبي دجانة وهو مريض،وكان وجهه يتهلل فقيل له : مال وجهك يتهلل ؟، فقال: ما من عمل شيئ أوثق عندي من اثنتين:كنتُ لا أَتكلم فيما لا يعنيني،وكان قلبي للمسلمين سليمًا) . [١]

أحب مكارم الأخـلاق جهدي وأكـره أن أعيب وأن أُعابا
وأصفح ُعن سبابِ الناس حُلمًا وشر الناس من يهوى السبابا
ومـن هـاب الـرجَـال تهيبوه ومـن حقر الرجال فلن يُهابا

٥-أقل الورع في اللسان :

ورع اللسان من أعظم الورع وأهله قليل -لا سيما في هذا الزمان- قال الحسن بن صالح - رحمه الله -:(فتشت عن الورع فلم أره في شيءٍ أقل منه في اللسان) . [٢]

وقال ابن القيم -رحمه الله - : (وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ، ولا يُبالي ما يقول). [٣]

قال الذهبي -رحمه الله - : (فقد ترى الرجل ورعًا في مأكله وملبسه ومعاملته وإذا تحدث عليه الداخل من حديثه فإما يتحرى الصدق وإما أن يصدق فينمق حديثه ليمدح على الفصاحة وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم وإما أن يسكت في موضع الكلام ليثني عليه ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة) . [٤]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٣) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٧٨) .
(٣) الداء والدواء (١٨٩- ١٩٠) .
(٤) تحفة العلماء (ص ٦٨٩) .

٦-احذر آفات اللسان :

أخي الطالب ، الجوارح جوارح ، وأخطرها شأنًا أداة البيان اللسان ترجمان الجنان ، فاحذره فإن آفاته أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تُذكر، كالغيبة والنميمة ، والكذب والشتائم وشهادة الزور ، والقول عليهم بلا علم ، والتجريح والبُهتان ، إلى غيرها من الآفات .

واعلم -وفقك الله وحفظك- أن رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - قال : « **كُلُّ كَلَام ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ ، إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرُ اللهِ** » رواه الترمذي وابن ماجه .

واحذر من الآفات أشدها خطرًا الكذب، فالمؤمن لا يكذب ، والكذب طريق للفجور، والفجور طريق إلى النار ، فلا خير فيه أبدًا ، اللهم إلا إذا كان للإصلاح بين الناس، أو كذب الرجل على زوجته، لينال رضاها ، كذا الكذب في الحرب فإن الحرب خُدعة .

قال ابن الجوزي -رحمه الله -:(وضابطه (يعني: الكذب) أن كل مقصود محمود ، لا يمكن التوصل إليه إلا بالكذب ، فهو مباح إن كان مباحًا ، وإن كان واجبًا ، فهو واجب) .[١]

ومع ذا فإنه يُفضل استعمال المعاريض ، ففيها مندوحة عن الكذب ، لقوله - ﷺ - : (**إِنَّ فِي المَعَارِيض لَمَنْدوحَةً عَنِ الكَذِبِ**) رواه البخاري في الأدب المفرد موقوفًا على عمران بن حصين .

وفي المعاريض ينبغي عدم التوسع فيها ، فإن ذلك مكروه ، جاء في الآداب الشرعية : (وإنما تصلح المعاريض عند الحاجة) .[٢]

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٢) مختصر منهاج القاصدين (ص١٥٨) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٢٣) .

الكتاب الخامس

كتاب المحاذير

باب

الولع بالجرح



معنى الجرح :

الجرح لغة : التأثير في الجسم بسلاح ونحوه ، وجرحه جرحًا إذا أثر فيه .

إصطلاحًا : ذكر الراوي بصفات تقتضي عدم قبول روايته .[١]

حكمه : فرض على الكفاية ومع ذا فهو أمرٌ إجتهادي ، يقبل الإختلاف إذ قد يختلف العلماء في تجريح عالم أو تعديله .

شروط أهل الجرح والتعديل :

من الأهمية بمكان أن يعرف طالب العلم الشروط التي ينبغي توافرها في المجرح والمعدل ، حتى لا يتعدى أحد قدره ، من ذلك :

١-**العلم والورع** : قال الذهبي - رحمه الله - : (الكلام في الرجال لا يجوز إلا لتام المعرفة ، تام الورع) .[٢]

(١) مصطلح الحديث ورجاله (ص١٩٠) ، معالم الجرح والتعديل (ص٢٢) ونحوه .
(٢) ميزان الإعتدال (٣/ ٦) ، نقلاً من: منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ١٣٠) .

وهذا البخاري - رحمه الله - يقول : (أرجوا أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا) .

قال الذهبي معلقًا : (صدق - رحمه الله - من نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس) وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثرمايقول : منكر الحديث - سكتوا عنه - فيه نظر - ونحو هذا وقل أن يقول فلان كذاب إلى أن قال : وهذا والله هو غاية الورع. [(١)]

٢-**العدل واليقظة** : قال ابن حجر - رحمه الله - : (ينبغي أن لا يقبل الجرح والتعديل إلامن عدل متيقظ) . [(٢)]

قال ابن تيمية - رحمه الله - : (والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل لا بجهل وظلم كحال أهل البدع) . [(٣)]

فاعتماد العلم والعدل واليقظة شروط أساسية في الكلام على الناس عمومًا وفي الحكم على أقوال المخالفين خصوصًا هذا هو المنهج الحق الذي شرعه الله لأنبياءه وعباده وارتضاه لهم في كتابه وأتبعه رسوله وسار عليه سلف الأمة وعلماؤها). [(٤)]

٣-**التفسير** : فلا يقبل من الجرح إلاما كان مفسرًا .

قال أحمد - رحمه الله - : (كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه) . [(٥)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٩) .
(٢) نزهة النظر (ص٨٩) .
(٣) المرجع نفسه (ص ٦٩) نقلاً من الإستقامة (١/ ٣٨) .
(٤) منهج الأئمة (ص ٧١) مختصرا .
(٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٣) .

قال إبن عبد البر –رحمه الله –: (والصحيح في هذا الباب أن من صحت عدالته وثبت في العلم أمانته ، وبانت ثقته وعنايته بالعلم ، لم يلتفت فيه إلى قول أحد إلا من يأتي فيه بجرحه ببينة عادلة تصح بها جرحته على طريق الشهادات ، والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة ، لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر) . [1]

٤–**البعد عن الهوى** : وذلك حتى لا تميل به شهوات نفسه إلى جانب الباطل .

مكانة هذا العلم :

أخي –حفظك الله – إعلم أن هذا العلم من أجل العلوم ، وفن من أعظم الفنون ، وسيفٌ صارمٌ مسلول ، سله الله على أهل الأهواء والبدع، وقد اصطفى الله تعالى من عباده علماء يحرسون هذا الدين من انتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وتحريف الغالين ، ولولا هؤلاء العلماء ، لقال في الدين كل غثٍ وسمين .

ومع ذا ينبغي أن نعلم بيقين ، أن هذا العلم ليس بابه مفتوحًا لكل من هب ودرج ، بل له أهلون وأهله من توفرت فيهم شروط الجرح والتعديل الآنفة الذكر .

ويالالأسف حين ولج هذا الباب، واقتحم سور هذا الحصن ، ممن ليسوا بأهل ، فسلت سهام ألسنتهم الحداد في أهل العلم والفضل ، بدون فقه ولا رويه ، وهذه أفة الآفات ومزلقٌ خطير ، هلك فيه الكثير من الصالحين وطلبة العلم والدين ، وهذا هو الإفلاس المبين .

---

(١)جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٥٨٣) .

تحذير السلف من التجريح :

قال أبو سنان الأسدي - رحمه الله - : (إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين ، يتعلم الوقيعة في العلماء ، متى يفلح ؟) .[١]

وقال أبو الحارث سمعت أبو عبد الله غير مرة يقول : (ما تكلم أحدٌ في الناس ، إلا سقط وذهب حديثه) .[٢]

قال ابن المبارك -رحمه الله- :(من استخف بالعلماء ذهبت آخرته)[٣].

قال أحمد - رحمه الله - :(لحوم العلماء مسمومة ، من شمها مرض ، ومن أكلها مات) .[٤]

لحوم أهل العلم مسمومة ومن يعاديهم سريع الهلاك
فكن لأهل العلم عونًا وإن عاديتهم يومًا فخذ ما أتاك

فمحارب العلماء محروب والواقع فيهم معرض نفسه لحرب الله وفي الحديث القدسي : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : **(إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)**.[٥] رواه البخاري رقم (٦٥٠٢) .

ياصاحب البغي إن البغي مصرعة فاعدل فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبلٌ يومًا على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ١٤) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٢٢) .
(٣) سير اعلام النبلاء (٨/ ٤٠٨) .
(٤) حرمة أهل العلم (٣٢٣) . .
(٥) آذنته بالحرب : أي أعلمته بأني محارب له .

واعلم -هديت - أن أئمة السلف مضوا يدافع بعضهم عن بعض ، وهذا هو المنهج السديد الذي ينبغي أن يسلكه علماؤنا ، وقد صار عزيزًا، فهذا أبو زرعة -رحمه الله - يقول: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله - ﷺ - ، فاعلم أنه زنديق) .[١]

وهذا ابن معين -رحمه الله- يقول : (إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد ابن سلمة وعكرمة مولى ابن عباس ، فاتهمه على الإسلام) .[٢]

وقال الدورقي : (من سمعته يذكر أحمد بن حنبل بسوء ، فاتهمه على الإسلام) .[٣]

أضحى بن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يُعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنقصًا ... فاعلم بأن ستوره ستهتك

وقال يحي بن معين -رحمه الله - : (إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة ، أكثر من مئتي سَنَة).[٤]

كلام الأقران في بعضهم يُطوى ولا يُروى:

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :(استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض) .[٥]

قال الذهبي - رحمه الله - :-(وكلام الأقران إذا تبرهن أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه ، بل يطوى ولا يُروى) ، وقال : (كلام الأقران

(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٣٣) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٣٣).
(٣) المرجع نفسه (ص ٣٣٤) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٨) .
(٥) قواعد في التعامل مع العلماء (ص١٤٧) .

بعضهم في بعض لا يعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ماينجوا منه إلا من عصمه الله وماعلمت أن عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردتُ من ذلك كراريس) . [١]

تنبيه هام :

(وهذا الكلام في دفع كلام الأقران بعضهم في بعض ، ليس على إطلاقه إذ إنما يُدفع كلام الأقران بعضهم في بعض ، إذا كان العالم المتكلم فيه وُثقَ من جماعة يلوح على قولهم العدل والإنصاف ، ودلت قرينة على أن كلام المتكلم ، إنما هو بهوى وعصبية وظلم لا بعدل وحق وعلم ، وأما إذا كان المنقول في بيان غلط الراوي ووهمه ، أو نقص حفظه ونحو ذلك، فليس من هذا النمط ، بل المراد توضيح درجة ناقل العلم وضعفه ، ليُعبد الله -عز وجل- على بصيره) . [٢]

عواقب الطعن في العلماء :

فانتبه أرشدك الله للخير -عواقب الطعن في العلماء - أخي الكريم -صانك الله- لا شك أن الوقيعة في العلماء خلق ذميم ، ومرتع وخيم ، والخائض فيهم حقير مهين ، وإن حمل عنه ذلك واقتدى به فقد سنَّ سُنَّة سيئة ، فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، إذ الدال على الشر كفاعله ، والسعيد إذا مات ماتت معه سيئاته.

قال العثيمين -رحمه الله - : (لا شك أن تجريح العلماء بعضهم بعضًا عمل محرم ، وإذا كان الإنسان لا يجوز له أن يغتاب أخاه المؤمن ، وإن لم

---

(١) ميزان الإعتدال (١/ ١١١).
(٢) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١٥٠).

يكن عالمًا ، فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين) . [١]

فمن عواقب الطعن في العلماء :

١ -أنه ذنبٌ عظيم يلحق بصاحبه .

٢ -أنه يتسبب إلى تعطيل الإنتفاع بهم والزهاد ة في علومهم .

٣-أنه يسهل للماكرين الكيد بالشريعة الإسلامية السمحاء .

٤-أنه يسبب موت القلب قال ابن عساكر -رحمه الله - : (ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب) . [٢]

٥- تلويث الجو الدعوي بين العاملين في حقل الدعوة إلى الله سبحانه.

٦- الجزاء من جنس العمل ، فمن وقع في أعراض العلماء والدعاة إلى الله ظلما وعدوانًا ، فليبشر بالوقوع فيه وكما تدين تُدان ، قال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت ٤٦] . [٣]



(١) منهج الأئمة مع المخالف (ص٢٤٤) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٢٣- ٣٢٤) .
(٣) قال الشيخ محمد المهدي -حفظه الله - : ولقد رأينا هذا عيانًا بارزًا حيث بلي عدد جم من العلماء والدعاة ، الذين أطلقوا لألسنتهم وأقلامهم العنان في ثلب إخوانهم في العقيدة والعلم والايمان ، من دون سبب شرعي ، لقد تلبثو وقيل فيهم ما فيهم ، وما لا يوجد عندهم ، وبلوا بأقرب الناس إليهم ، بل من تلاميذهم ، فيا لله الغوث الغوث ، اللهم كف ألسنتنا عن أعراض المسلمين ، وأجز المؤلف خيرًا على تذكيرنا بحقوقهم ، وغفر لنا ما قد حصل ، وسددنا في ما بقي من العمر .

باب
تتبع العثرات

لا شك: (أن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه ، عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه) . [١]

وأعظم الإثم بعد الشرك تعلمه ... في كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها ... منهم ولا تبصر العيب الذي فيها

أخي طالب العلم : الواقف على العثرات أشبه ما يكون بذباب واقف على جرح أو قذر ، إذ الصغير في نفسه وأخلاقه ، يعيش دومًا في الوحل مع الدود والحشر ، بل هو أحقر ، وعالي النفس والأخلاق لازم سماء الفضيلة ، وعلياء المكارم ، أشبه ما يكون بطير رفيع عالٍ يهوى القمم وهواء القمم نقي .

فاحذر تتبع الزلات والهنات، فإنها بضاعة الجبناء السقطاء ، والغض عن المساوي وإقامة النصح ، سمت الرفعاء الشرفاء .

قال شيخ الإسلام-رحمه الله - :(ليس لأحد أن يتبع زلات العلماء ، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان ، إلا بما هو له أهل) . [٢]

جاء عند الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ صَعِدَ رَسُولُ

(١) روضة العقلاء (ص ٢١٠) .
(٢) الإقتضاء (٢/ ٥٨) .

الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: « **يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ** ».

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: (أما من فُتن والعياذ بالله وصار يتبع عورات الناس ويبحث عنها، وإذا رأى شيئًا يحتمل الشر، ولو من وجهٍ بعيد، طار به فرحًا ونشره، فليبشر بأن من تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، فضحه ولو في حجر بيته)

لاتلتمس من مساوي الناس ماسُتروا ... فيكشف الله سترًا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ... ولاتعب أحدًا منهم بما فيكا
واستغن بالله عن كلٍ فإن به ... غنىً لكلٍ وثق بالله يكفيكا

قال بكر المزني -رحمه الله-: (إذا رأيتم الرجل موكلًا بعيوب الناس ناسيًا لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكر به) .[1]

وفي حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (**يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ**) رواه ابن حبان وأبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣٣) .

قبيح من ينسى عيوبه ... ويذكر عيبًا في أخيه قد اختفى
ولوكان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

(١) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص ٢٨٢) .

وعَن ابْنِ عَبَّاس ، قَالَ : ذَكَرُوا رَجُلا ، فَقَالَ : « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَذْكُرَ عُيُوبَ صَاحِبَكَ ، فَاذْكُرْ عُيُوبَكَ » . رواه البيهقي .

المــرء إذا كــان عــاقـلاً ورعًــا   أشغله عن عيوب غيره ورعه
كـما العليل السقيم أشغله   عن وجع الناس كلهم وجعه

وعن محمد بن سيرين - رحمه الله - قال : كنا نُحَدَّثَ أن أكثر الناس خطايا ، أفرغهم لذكر خطايا الناس) . [1]

وعن عون بن عبد الله قال:- (لا أحسب الرجل ينظر في عيوب الناس ؛ إلا من غفلة قد غفلها عن نفسه) . [2]

واعلم - بارك الله فيك - أن من أعظم الأسباب في التلوث بهذه الآفة ، حب الرياسة والشهرة .

قال الفضيل بن عياض-رحمه الله-(ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى ، وتتبع عيوب الناس ، وكره أحد أن يُذكر بخير) . [3]

وحاله :

إن يسمعوا سبةً طاروا بها فرحًا   مني ومايسمعوا من صالحٍ دفنوا

وقال آخر :

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا   شرًا أذاعوا وإن لم يسمعوا أفكوا

قال محمد بن سيرين - رحمه الله - ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما

(١) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٣٨) .
(٢) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٣٨) .
(٣) المرجع نفسه .

تعلم وتكتم خيره) .[١]

أخي طالب العلم: من لك بأخيك كله ؟، فالكامل من عدت سقطاته، والسعيد من حسبت هفواته) .[٢]

وكم من أخٍ لم تحتمل منه علة   قطعت ولم يمكنك منه بديل
ومن لم يـردْ إلا خليلًا مهذبًا   فليس لـه في العالمين خليل

ولا أنسى في هذا المقام أن أوجه لإخواني الفضلاء وطلبة العلم العقلاء ، رسالة أخوية دعوية، أدعوهم فيها أن ينظروا إلى مشايخ الأمة الأمناء ، بعين الإجلال ، فإن ذلك أقرب إلى الإنتفاع بهم ، فقد كان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيئ وقال : (اللهم استر عيب شيخي عني ، ولا تذهب بركة علمه عني).[٣]

قال ابن حزم–رحمه الله –:(إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد ، مستزيد علمًا وأجرًا ، لا حضور مستغن بما عندك طالبًا عثرة تشنعها ، أو غريبة تشيعها ، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العلم أبدًا) .[٤]

وقال ابن رجب – رحمه الله –: (وإذا كان مراد الراد على العالم إظهار عيبه وتنقصه ،وإظهار قصوره في العلم ونحو ذلك ، كان محرمًا سواءً كان رده ذلك في وجه من رد عليه أو في غيبته وسواءً كان في حياته، أو موته).[٥]

---

(١) حرمة أهل العلم (ص ٣٦٨) نقلاً من البداية والنهاية (٩ / ٢٧٥) .
(٢) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٤٩٨).
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٢٠٢) .
(٤) حرمة أهل العلم (ص ٢٣٢) .
(٥) المرجع نفسه (ص ٢٣٤) . .

باب
الولع بالإفتاء



الفتوى لغة : إسم مصدر بمعنى الإفتاء والجمع الفتاوى ، والفتاوى يُقال : أفتيه فتوى وفتيا إذا أجبته عن مسألته .

إصطلاحًا : تبيين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه .

وهذه الفتوى تكتسب شرفها العظيم وقدرها الجليل ونفعها العميم ومنزلتها الرفيعة ، ممن تولاها بنفسه ونسبها إلى ذاته ، وهو الله سبحانه القائل : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ ﴾ [النساء ١٧٦] .

فكفى هذا المنصب شرفًا وجلالة أن يتولاه الله بنفسه ويزيدها سموًا ورفعة ، أن أول من قام بها من هذه الأمة صاحب المقام الرفيع محمدًا -ﷺ- ، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين فكانت فتاويه - ﷺ - جوامع الأحكام .

ثم خلفه في هذا المنصب كوكبة من صحابته الكرام، قامت به أحسن قيام ، فكانوا سادة المتقين، ثم خلفهم من بعدهم التابعون وأتباعهم -رحمهم الله أجمعين -) . (١)

هؤلاء هم أهل الإفتاء الذين عز الله بهم دينه ، ورفع بهم شرعه، ولقد خلف في زماننا هذا خلوف ممن أساء وتعدى قدره ، وتصدر للإفتاء

(١) إعلام الموقعين (١/ ١١) مختصرا .

ونطق باسم العامة ، فشرق وغرب وميع وَخَرَّبَ ، وأتى بالعجائب ، فأذاع هؤلاء القوم الفتاوي الخاطئة والأراء الشاذة بدعوى التيسير تارة ، وفهم الواقع ثانية ، والضرورة ثالثة، والحاجة التي تنزل منزل الضرورة .

وهكذا قاموا بتطويع الأحكام الشرعية للواقع ، وكان الواجب هو العكس من ذلك ، تلك الحال هي حال أهل الأهواء والخصومات من العقلانيين ، وأهل الكلام والفلاسفة والمنظرين، وكثير من المفكرين -عافانا الله -ولو علم هؤلاء عاقبة الفتوى بلا علم ، ما تجرأها أحد .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾ [الأعراف ٣٣] ، فرتب سبحانه المحرمات أربع مراتب بدأ بأسهلها وهو الفواحش وختم بأشدها وهو القول عليه بلا علم .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾** ﴾ [النحل ١١٦] .

ومن التقول على الله التقول على رسوله - ﷺ - جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** » . رواه البخاري ومسلم عن المغيرة ورواه الترمذي وابن ماجه .

ومن التقول على الله التقول على علماء الإسلام المعتبرين ، وتلفيق الأكاذيب عليهم ، والأخذ بالشواذ والإغراب في المسائل، وتتبع الرخص وغير ذلك .



وقل لمن يدعي في العلم فلسفة علمتَ شيئًا وغابت عنك أشياء

هدي الرسول الأمين وسلف الأمة الميامين في الفتوى :

أخا الإسلام اعلم أن خير الهدي هدي محمد - ﷺ - وخير من أخذ بهديه ولزم سنته هم أصحابه الأبرار وأتباعهم الأخيار .

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

ولقد كان هديه - ﷺ - في الفتوى الإجابة بما يعلم ، ورد العلم إلى الله فيما لا يعلم ، أو التو قف حتى يأتيه خبر السماء .

جاء عند مسلم من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ... قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ**». الشاهَدَ : قولَه : (**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ**) .

ومن ذلك أن اليهود لما سألو ا النبي -ﷺ -عن خبر الفتية قال: (أخبركم غدًا ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس الوحي عنه ، حتى شق عليه فأنزل الله ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف ٢٣-٢٤] ،الشاهد قوله : أخبركم غدًا بمعنى أنه توقف عن الإفتاء ،وما أخبر به إلا بعد أن آتاه الخبر من السماء ،واقتدى به سلف الأمة فكانوا على هذا المنهج الحكيم ، يتدافعون الفتوى ،وتعلموا وعلموا من بعدهم رد العلم إلى الله ،والجرأة على الإجابة بـ (لا أدري) فيما لا يعلمونه .

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى -رحمه الله-: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله -ﷺ- ما أحد يُسئل عن حديث أو

فتوى إلا ود أن أخاه كفاه ذلك ثم آل الأمر إلى إقدام أقوام يدعون العلم اليوم يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب لجمع أهل بدر واستشارهم) . [١]

قال ابن عباس- رضي الله عنه - : (إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله وكذا قال على بن الحسين) . [٢]

وقال مالك : نحوهما . [٣]

وقال الشعبي -رحمه الله -: (لا أدري نصف العلم) .[٤] وبهذا القول قال عطاء . [٥]

وصح - أيضًا - عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - . [٦]

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (إن من العلم أن تقول لمالا تعلم لا أعلم) . [٧]

وقال يزيد بن عبد الله بن هرمز : (ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول (لا أدري) حتى يكون ذلك أصلًا يفزعون إليه . . [٨]

وعن خالد بن خداش قال : (قدمت على مالك بأربعين مسألة فما أجابني منها إلا في خمس مسائل) . [٩] وروى أن رجلًا سأله عن مسألة

(١) انظر الأداب الشرعية (٢/ ٥٧) نحوه .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٥٤) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٥٤) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٥٤) .
(٥) المرجع نفسه .
(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٧) .
(٧) شرح حلية طالب العلم (ص ١٦٨) .
(٨) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٧) .
(٩) سير أعلام النبلاء (٨/ ٧٧) .

فقال : لا ادري . فقال : سافرت البلدان فقال ارجع إلى بلدك وقل : سألت مالكًا فقال لا أدري . [١]

قال بكر أبو زيد –رحمه الله –:(جُنة العالم لا أدري ، ويهتك حجابه الإستنكاف منها ، فإن كان نصف العلم لا أدري ، فنصف الجهل يُقال وأظن). [٢]

حاجتنا إلى فتوى أهل العلم والتقوى :

أخي طالب العلم – رعاك الله – لتعلم أنه لئن كانت حاجة الأمة إلى الفتوى كثيرة فيما مضى ، فإن الحاجة إليها في هذه الأيام أشد وأبقى، فقد تمخض الزمان عن وقائع لا عهد للسابقين بها ، وعرضت للأمة نوازل لم يخطر ببال العلماء الماضين وقوعها ، فكانت الحاجة إليها شديدة لبيان حكم الله فيها ،إذ لا يعقل أن تقف شريعة الله العليم عاجزة عن تقديم الحلول الناجعة لمشاكلهم المتسعة ، فهي شريعة صالحة لكل زمان والجديرة بالتطبيق في كل مكان .

قال الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ –رحمه الله – :(فإنه ما من قضية كائنة ما كانت ،إلا وحكمها في كتاب الله وسُنَّة رسول الله –ﷺ – ، نصًا أو ظاهرًا أو إستنباطًا أو غير ذلك ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله) . [٣]

ومع حاجتنا الكبيرة إلى الفتوى فإننا بحاجة أشد إلى أهل الفتوى ممن اجتمعت فيهم شروط الفتوى وانتفت موانعها .

---

(١) صيد الخاطر (٢٩٢) .
(٢) شرح حلية طالب العلم (ص ١٧٠) مختصًرا .
(٣) تحكيم القوانين (ص ١٧) .

وإليك أخي الكريم تلك الشـروط :

شروط المفــتي : [١]

١-أن يكون عارفـًا بالحكم يقينـًا أو ظنًا راجحًا .

٢-أن يتصور السؤال تصورًا تامًا ليتمكن من الحكم عليه فإن الحكم على الشيئ فرع عن تصوره .

٣-أن يكون هادئ البال ليتمكن من تصوره المسألة وتطبيقها على الأدلة الشرعية . أ-هـ .

ضوابط الفتوى :

وللمزيد من الفائدة ، أنقل إلى أخي الطالب بعض الضوابط ، التي ينبغي مراعاتها عند الفتوى :

١-العلم بالمسائل المختلف فيها :روى عثمان بن عطاء عن أبيه قوله: (لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالمًا باختلاف الناس، فإن لم يكن كذلك رد من الحق ماهو أوثق من الذي في يديه) . [٢]

وعن سعيد بن جبير -رحمه الله- قال : (أعلم الناس أعلمهم بالإختلاف) . [٣]

٢-سلامة الفتوى من الغموض وكذا من التطويل المخفي للجواب ففي الأثر : (إذا ازدحم الجواب خفي الصواب) . [٤]

---

(١) الأصول من علم الأصول (ص ٩٥- ٩٦) مختصًرا .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٠٨) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٦٣).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٧٤) .

٣-الإعتماد على الأدلة الشرعية (الكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع، والقياس الصحيح)

٤-تعلق الفتوى بموضوع الإستفتاء حتى تبلغ بالمستفتي حاجته ، ويجوز أن تكون أشمل إذا اقتضت الحاجة من أجل الفائدة .

٥-مراعاة الحال والزمان والمكان ، وليس معنى ذلك تطويع الأحكام للواقع ، وإن خالفنا النصوص الشرعية .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -:(ليس لأحد أن يغير شريعته التي بعث رسوله -ﷺ- ، ولا يبتدع في دين الله مالم يأذن به)

٦-الورع والعدل: قال سفيان -رحمه الله - : (لقد كان الرجل يستفتي فيفتي ، وهو يرعد) .[1]

وقال مسروق - رحمه الله - : (لئن أفتي يومًا بعدل وحق ، أحب إلى من أن أغزو سَنَة) .[2]



(١) الآداب الشرعية (٢/ ٥٥) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٦).

باب
الولـع بالخلاف

الخلاف: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل.[١]

أخي -حفظك الله- إن مما يجب وعيه أن الخلاف سُنَّة جارية منذ قديم الزمن، وأمر مقدور لا يمكن تجاوزه، وأن محاولة القضاء على الخلاف وجمع الأمة كلها على قول، ورأي واحد، أمرٌ مستحيل، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا نزع العلم وحل الجهل، هنا سيجتمع الناس على الجهل.

وعليه فالإشتغال بالقضاء على الخلاف فيه تضييع للوقت والطاقة، بما لا ينفع وبما هو مستحيل إذ الخلاف باق ما بقي العلم، ونصوص القرآن والسُّنَّة متناثره ومتضافرة في إثبات ذلك فمن القرآن .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، وقال -أيضًا-: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [البينة: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [الشورى: ١٤].

أما من السُّنَّة: فقد جاء عند ابن ماجة وصححه الألباني من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

(١) فن الحوار (ص ٥٢).

«افْتَرَقَت الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَت النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» ، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : **« لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا »** . رواه البخاري ومسلم .

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-عن هذا الحديث : (نهى النبي -ﷺ- عن الإختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق، لأن كلًا من القارئين كان حسنًا فيما قرأه ، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا) . [١]

ثم قال : (واعلم أن أكثر الإختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء، تجده من هذا الضرب ، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبًا فيما يثبته أو في بعضه مخطئًا في نفي ما عليه الآخر) . [٢]

أخي الحبيب : إن من الناس من صار ديدنه في ليله ونهاره الحديث حول الخلاف ، وكأنه ما خلق إلا لأجله فما تستريح له نفس وما يسكن له بال إلا إذا ولج في فلان وفلان ، وربما بلغ به ذلك إلى حد الولع والإدمان ، فصار له خلقاً وديناً يُحب مخالفة الآخرين في كل شيء ، وغدا عنصرًا شاذا بين بني قومه ومجتمعه ، وهذه - والله - آفة عظيمة وبلية جسيمه ، على دين المرء وخلقه .

قال الخطابي -رحمه الله-: (إن من الناس من يولع بالخلاف أبدًا، حتى أنه يرى أن أفضل الأمر أن لا يوافق أحدًا ، ولا يُجامعه على رأي ولا يوافقه على محبة ، ومن كانت هذه عادته ، فإنه لا يبصر الحق ولا ينصره

---

(١) الإقتضاء (١/ ١٤٣-١٤٤) .
(٢) الإقتضاء .

ولا يعتقده دينًا ومذهبًا ، إنما يتعصب لرأيه فينتقم لنفسه ، ويسعى في مرضاتها ...) .[١]

وعن الزجاج قال : كنا عند المبرد أبي العباس محمد فوقف عليه رجل فقال : أسألك عن مسألة في النحو ؟ ، قال : لا فقال أخطأت . فقال : يا هذا كيف أكون مخطئًا أو مصيبًا ولم أجبك عن المسألة بعد ؟ ، فأقبل عليه أصحابه يعنفونه فقال لهم : خلوا سبيله ولا تعرضوا له أنا أخبركم بقصته ، هذا رجل يحب الخلاف وقد خرج من بيته وقصدني على أن يخالفني في كل شيئ أقوله ، ويخطئني فيه فسبق لسانه بما كان في ضميره) .[٢]

يصدق في هذا وأمثاله قول القائل :

لنا صاحبٌ مولع بالخلاف   كثير الخطأ قليل الصواب
ألج لجاجًا من الخنفساء   وأزهى إذا ما مشى من غراب

واعلم - هديت - أن الخلاف شر كله إذا دب في أمة أهلكها لا سيما إذا تكلم فيهم السفهاء والجهلاء ولهذا قال الشافعي - رحمه الله - : (لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف) .[٣]

وروى عثمان بن عطاء عن أبيه قوله : (لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالمًا باختلاف الناس فإنه إن لم يكن كذلك رد من الحق ما هو أوثق من الذي في يديه) .[٤]

---

(١) فن الحوار (ص ١٦٥) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ١٦٧) .
(٣) مختصر الإيمان الأوسط (ص٢٣) .
(٤) جامع بيان العلم (٢/ ٤٠٨) .

وكان أيوب السختياني -رحمه الله- يقول : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً باختلاف العلماء وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء) .[١]

قال سعيد بن جبير-رحمه الله- :(من علم إختلاف الناس فقد فقه) .[٢]

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : (الفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن) كما قال الله : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال ٢٥] .

وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله) .[٣]

وفي الأثر : (الخلاف يهدم الرأي) .

قواعد وآداب يلزم مراعاتها في الخلاف :

أخي الكريم : فقه الخلاف من أهم العلوم التي ينبغي علينا تعلمها ومعرفة قواعدها وآدابها من ذلك :

١-أن نعلم ونعتقد أن المعصوم من الدين ثلاثة: الكتاب ، والسُّنَّة ، والإجماع ليس إلا .

٢-أن نرد النزاع إلى تلك الأصول الثلاثة المعصومة .

٣-أن نعلم أن الكثرة ليست هي المعيار لمعرفة الحق من الباطل .

٤-أن نعلم أنه لا يجوز يعلم بدلائلة لا بحاكيه وقائلة .

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٤٠٨) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٦٣) .
(٣) منهاج السُّنَّة (٤/ ٣٣٧) ، نقلاً من: منهج الأئمة في التعامل مع المخالف (ص ٦٨) .

٥-أن نعلم أن لا يجوز الخلاف في المعلوم من الدين بالضرورة .

٦-أن نعلم أنه لا يجوز الإختلاف فيما يجوز فيه الخلاف ، ولا يصح أن يُعقد عليه ولا براء .

قال النووي - رحمه الله - : (المختلف فيه لا إنكار فيه).[١]

وقال ابن مفلح -رحمه الله - : (ولا إنكار فيما يسوغ فيه خلاف من الفروع على من اجتهد ، أو قلد مجتهدًا فيه) .[٢]

وقال ابن عثيمين -رحمه الله - : (لا يجوز للإخوة طلاب العلم أن يتفرقوا ، أو تتفرق كلمتهم بمجرد خلاف يسوغ فيه الإجتهاد ، لأن ذلك ضرر يحصل به الفشل وذهاب الريح،كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ ﴾ [الأنفال ٤٦] ، ثم هو قوة عظيمة للعدوا المخالف سواء كان هذا العدو المخالف بدعيًا ينتسب إلى الإسلام أو كان كافرًا ...) .[٣]

٧-سعة الأفق : يجب على المختلفين أن لا يضيقوا ذرعًا فيما يسع فيه الخلاف ، قال شيخ الإسلام -رحمه الله - : (وأنا في سعة صدر لمن يخالفني ، فإنه إن تعد حدود الله فيَّ بتكفير ، أو تفسيق ، أو افتراء ، أو عصبية جاهلية ، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه ، بل أضبط ما أقوله وأفعله ، وأزنه بميزان العدل) .[٤]

٨-الرفق والرحمة بالآخرين : قال ابن باز - رحمه الله - : (الذي

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٤٦-١٤٨) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٤٦-١٤٨) .
(٣) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٢٦٣) نقلاً من شرح حلية طالب العلم .
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٤٥) .

أوصي به جميع إخواني من أهل الدعوة والعلم إلى الله -عز وجل- هو تحري الأسلوب الحسن والرفق في الدعوة في مسائل الخلاف عند المناظرة والمذاكرة في ذلك ، وأن لا تحمله الغيرة والحدة على أن يقول ما لا ينبغي أن يقول ، مما يسبب الفرقة والإختلاف والتباغض والتباعد) .[١]

وقال العباد - حفظه الله - : (حصل في هذا الزمان انشغال بعض أهل السُّنَّة ببعض تجريحًا وتحذيرًا ، وترتب على ذلك التفرق والإختلاف والتهاجر ، وكان اللائق بل المتعين التواد والترحم بينهم ، ووقوفهم صفًا واحدًا في وجه أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السُّنَّة والجماعة) .[٢]

مشروعية المناظرة :

أخي القارئ الكريم : اعلم أن المناظرة بين أهل العلم مشروعة ، إذا كانت إنما يراد من ورائها الوصول إلى الحق ودفع الباطل ، وكانت خالصة لوجه الله .

قال يونس الصدفي -رحمه الله- : (ما رأيت أعقل من الشافعي ، ناظرته يومًا في مسألة ، ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم بنا أن نكون إخوانًا ، وإن لم نتفق في مسألة).[٣]

قال الذهبي -رحمه الله- معلقًا : (هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه ، فما زال النظراء يختلفون) .

وقال الشافعي -رحمه الله- : (ما ناظرتُ أحدًا على الغلبة إلا على

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٥/ ١٥٥) .
(٢) رفقًا أهل السُّنَّة بأهل السُّنَّة (ص ٤٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦-٢٩).

الحق عندي) .[١]

وقال : (ما ناظرت أحدًا إلا على النصيحة) .[٢]

إذا ماكنت ذا فضلٍ وعلم   بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظر من تناظر في سكون   حليمًا لا تلح ولا تكابر
يفدك ما استفاد بلا امتنان   من النكت اللطيفة والنوادر

الخلاف الذي يُعْتَدُّ به :

أخي الطالب ليس كل خلاف يُعْتَد به ، إنما يعتد من الخلاف ما كان صادرًا عن أدلة واضحة معتبرة .

قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- في الموافقات : (وإنما يُعد في الخلاف الأقوال الصادرة عن أدلة معتبرة في الشريعة، كان مما يُقَوِّي أو يُضعف ، وأما إذا صدرت عن مجرد خفاء الدليل ، أو عدم مصادفته فلا) .[٣]

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦-٢٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦-٢٩) .
(٣) الموافقات (٤/ ١٧٢) .

باب
الولع بالمراء والجدال



المراء في اللغـة : الجدال يُقال مارى يُماري مماراة ومراء أي جادل .
وتفسير المراء في اللغـة : استخراج غضب المجادل من قولهم مريتُ الشاة إذا استخرجتُ لبنهـا .[1]

أنـواع الجـدل :

نستطيع القول أن الجدال نوعان :

١-جدال محمود

٢-جدال مذموم

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : (تضمن الكتاب العزيز ذم الجدال والأمر به ، فعلمنا علماً يقينًا أن الذي ذمة غير الذي أمر به ، وأن من الجدال ما هو محمود مأمور به ، ومنه ما هو مذموم منهيٌ عنه) .[2]

وضابط ذلك ما قاله الإمام الجويني-رحمه الله - : (من الجدال ما يكون محمودًا مرضيًا ، ومنه ما يكون مذمومًا محرمًا ، فالمحرم منه ما يكون لدفع الحق وتحقيق العناد أو ليلبس الحق بالباطل ، والمحمود هو الذي يحقق الحق ويكشف عن الباطل ، ويهدف إلى الرشد مع من يُرجى

(١) الآداب الشرعية (١/ ٢٧) .
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٢٦٨) .

رجوعه عن الباطل إلى الحق).[١]

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين النوعين من الجدال ، قال تعالى : ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال : ﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [الكهف : ٥٦] ، وقال : ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

وقال على لسان قوم نوح –عليه السلام – : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود : ٣٢] .

وورد في السُّنَّة النصوص الكثيرة التي تحذرنا من الجدال العقيم ، من ذلك : ما رواه أبو داو د من حديث أَبِي أُمَامَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا...** » .

وجاء عند الترمذي وأحمد وابن ماجة من حديث أَبِي أُمَامَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ** » .

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « **أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ** » رواه البخاري رقم (٢٤٥٧) ومسلم رقم (٢٦٦٨)

تحذير السلف من الجدال العقيم :

اعلم أخي– رحمني الله وإياك –أن الولع بالجدال علامة أهل الأهواء

(١) نهج الأئمة مع المخالف (ص٥٧).

والبدع، أما أهل السُّنَّة والجماعة،فلن يدخروا جهدًا في التحذير من الجدال.

قال بكر أبو زيد–رحمه الله–:(وهدى السلف الكف عن كثرة الخصام والجدال وأن التوسع فيه من قلة الورع، كما قال الحسن : إذ سمع قوم يتجادلون : (هؤلاء ملوا العبادة وخف عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا) .[١]

وهذا مالك بن أنس يقول: (ليس هذا الجدل من الدين بشيئ) .[٢]

وقال : (أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد لجدله) .[٣]

وقال عبد الكريم الجزري: (ما خاصم ورع قط في الدين) .

وقال البخاري : (الإمتحان بدعة) .[٤]

وهذا لقمان الحكيم يقول لابنه: (يابني لا تمارين حكيماً ولاتجادلن لجوجًا ولا تعاشرن ظلومًا ولاتصاحبن متهماً) .[٥]

وقال الأوزاعي –رحمه الله – :(إذا أراد الله بقوم شرًا ، فتح عليهم الجدال ، ومنعهم العمل .[٦]

ورحم الله وهب ابن منبه حين قال : (دع المراء والجدال ، فإنه لن يعجز أحد رجلين ، رجل هو أعلم منك ، فكيف تُعادي وتُجادل من هو أعلم منك) ؟ ، ورجل أنت أعلم منه ، فكيف تعادي وتجادل من أنت

(١) شرح حلية طالب العلم (ص ٢١٩) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٧٢-١٧٣) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ١٧٢-١٧٣) .
(٤) حرمة أهل العلم (ص ٢٦٦) .
(٥) المرجع نفسه (ص ٢٧٠) .
(٦) الآداب الشرعية (١/ ٢٧) .

أعلم منه ، ولا يطيعك ؟) .[١]

وإذا بليتُ بجاهل متجاهل يجد المحال من الأمور صوابًا
أوليته مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابًا

وهذا الجويني -رحمه الله- يقول : (وعليك أن لا تفاتح من تعلمه متعنتًا ، لأن كلام المتعنت ومن لا يقصد مرضاة الله في تعرف الحق والحقيقة بما تقوله، يورث المباهاة والضجر ، وحزن القلب ، وتعدي حدود الله ...) .[٢]

وإياك اللجوج ومن يُرائي بأني قد غلبتُ ومن يفاخر
فإن الشر في جنبات هذا يمني بالتقاطع والتدابر

وقال العثيمين-رحمه الله -: (كذلك يترك الجدال والمراء، لأن الجدال والمراء هو الباب الذي يقفل طريق الصواب ، فإن الجدال يحمل المرء على أن يتكلم وينتصر لنفسه فقط ، حتى لو بان له الحق ، تجده إما أن ينكره ، وإما أن يؤوله على وجه مستكره انتصارًا لنفسه ، وإرغامًا لخصمه على الأخذ بقوله ، فإذا ما رأيت من أخيك جدال ومراء، بحيث يكون الحق واضحًا ، لكنه لم يتبعه ففر منه فرارك من الأسد ، وقل ليس عندي إلا هذا) .[٣]

وقال : (فدع الجدال واتركه ، لأنه لا يزيدك إلا قسوة في القلب وكراهة للحق إذا كان مع خصمك وغلبك فيه فلهذا دع هذا النوع من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٩) .
(٢) منهج الآئمة مع المخالف (ص ٥٦) .
(٣) شرح حلية طالب العلم (ص ٢٨ــ ٢٩) .

الجدل) .[١]

أخي الطالب : أرجو أن يكون فيما ذكرته لك من نقولات السلف في معرض التحذير من الجدال العقيم كفاية : (فأئمة السلف لا يرون الدخول في الكلام ولا الجدال ، بل يستفرغون ، وسعهم في الكتاب والسُّنَّة ، والتفقه فيهما ، ويتبعون ولا يتنطعون).[٢]

جاء في مختصر المنهاج في معرض وصفه للقرن الأول : (... وأنهم قد أدركوا كثيرًا من البدع والأهواء ، فلم يجعلوا أعمارهم غرضًا للخصومات والمجادلات ، ولم يشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم ، بل لم يتكلموا فيه إلا لضرورة رد الضلال ، فإن رأوه مصرًا على بدعته هجروه ، من غير مماراة ولا جدال) .[٣]

ولو تأملنا إلى حال كثير من المتأخرين ، لوجدناهم قد اقتحموا باب الجدل العقيم والمراء الذميم ، قال ابن رجب - رحمه الله - : (ولقد فتن كثير من المتأخرين بهذا ، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين ، فهو أعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض) ، إلى أن قال : (فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ، ولكنه نور يقذف في القلب ، يفهم به العبد الحق ويميز بينه وبين الباطل ، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقصد) .[٤]

آفات الجدال والمراء :

١-يورث قسوة القلب : قال الشافعي - رحمه الله - : (المراء في العلم

(١) المرجع السابق (ص ٢١٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٢٠) .
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٢٩) .
(٤) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٣٩) .

يقسي القلوب ، ويورث الضغائن) .[١]

٢-يورث الضغائن : كما سلف من كلام الشافعي ، وجاء في مختصر منهاج القاصدين : (من أشد الأسباب لإثارة الحقد والحسد بين الإخوان المماراة) .[٢]

قال محمد بن علي بن الحسين - رحمه الله - : (الخصومة تمحق الدين وتثبت الشحناء في صدور الرجال) .[٣]

٣-يُذهب نور العلم : قال مالك - رحمه الله - : (الجدال في الدين ينشئ المراء ، ويُذهب بنور العلم من القلب،ويقسي ويورث الضغن) .[٤]

٤-يورث التنقل وعدم الثبات : قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله - : (من جعل دينه غرضًا للخصومات ، أكثر التنقل) .[٥]

وقال الشافعي كان مالك : إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال : أما أنا فإني على بينة من ديني ، وأما أنت فشاك اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه).[٦]

٥-يخرم المروءة ويسقط الكرامة : قال الأصمعي : (سمعتُ أعرابيًا يقول : من لاحى الرجال وماراهم ، قلت كرامته ، ومن أكثر من شيئ عُرف به) .[٧]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٩) .
(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص ٩٤).
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٧ - ٢٨) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٦).
(٥) حرمة أهل العلم (ص ٢٦٦) .
(٦) حرمة أهل العلم (ص ٢٦٦) .
(٧) الآداب الشرعية (١/ ٢٨) .

باب
حب الترؤس والشهرة



من علامات العلم النافع أنه يدل صاحبه على التواضع والفرار من الدنيا والهرب من الشهرة وإخمال الذكر، واستواء القدح، والمدح لدى صاحبه.

قال ابن رجب-رحمه الله -:(من علامات العلم النافع، أنه يد ل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح).[١]

فرار السلف من الشهرة:

لقد جهد السلف في إخلاصهم وتخفيهم فكانوا نعم الأتقياء الأخفياء وكانوا زهادًا في الشهرة وبُعد الصيت ولم يُعلم عن واحد من أئمتهم أنه حرص على مدح أحد أو فر من ذم -وهذا والله أعظم الزهد- فعن يوسف بن أسباط -رحمه الله- قال: سمعت سفيان يقول: (ما رأيت الزهد في شيئ أقل منه في الرئاسة وترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإن نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى).[٢]

إي-والله - إن النفس مجبولة على حب الترؤس، وكثرت الأتباع، وذيوع الصيت، ولن يقوى على منازعة النفس رغبتها وكسر شهوتها إلا صادق في إخلاصه وورعه وزهده.

وعن الفضيل -رحمه الله- قال: (علامة الزهد في الناس: إذا لم يحب

(١) منهج الآئمة مع المخالف (ص ١٣٧).
(٢) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٨).

ثناء الناس عليه ، ولم يبال بمذمتهم ، وإن قدرت أن لا تُعْرَفْ فافعل ، وما عليك ألا يثني عليك وما عليك ، ألا تكون مذمومًا عند الناس إذا كنت محمودًا عند الله - عز وجل - ومن أحب أن يُذكر لم يُذكر ومن كره أن يُذكر ذُكر) .[١]

وعن المروذي قال : قال لي أبو عبد الله : قل لعبد الله : (أخمل ذكرك فإني أنا قد بليتُ بالشهرة) .[٢]

وقال ابن المبارك -رحمه الله- قال لي سفيان : (إياك والشهرة،فما أتيتُ أحدًا إلا وقد نهى عن الشهرة) .[٣]

وقال إبراهيم بن أدهم : (ما صدق عبد أحب الشهرة) .[٤]

وعن سفيان قال : (السلامة أن لاتُحب أن تُعرف) .[٥]

ومن هذه الأقوال السلفية والدراري البهية،نستخلص أن العالم بالله الصادق في تقواه ، الزاهد في دنياه ، هو من أخمل ذكره وخاف ذيوع صيته ، وأدرك أن الشهرة والترؤس بلية وفتنة ، فإن أحسن فله ، وإن أساء فعليه .

فاحذر - أيها الطالب - أن يكون مقصدك من العلم نيل الرئاسة ، وكثرت الأتباع ، وتصدر المجالس ، فإن الآفة الداخلة على العلماء ، أكثرها من هذا الوجه .

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٩٤) .
(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٠) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٩٤) .
(٥) سير أعلام النبلاء(٧/ ٢٨٥ .

علامات محبي الترؤس والشهرة :

أذكر هذه العلامات حتى يعرف طالب العلم أين هو منها فيحذرها:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

١ ـ الحسد والبغي :

محب الزعامة والترؤس تجده باغيًا حاسدًا لأقرانه يكره أن يُذكروا عنده بخير فإن وصف أحد أقرانه بخير كشر وعبس ثم لا يبرح في أن يبحث له عن عيب فيهمزه به .

قال الفضيل –رحمه الله – : (مامن أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغي وتتبع عيوب الناس وكره أن يُذكر أحد بخير) .[١]

٢ ـ التنقيب عن عيوب الآخرين :

قال أحمد –رحمه الله – : (من أحب الرياسة طلب عيوب الناس) .[٢]

وقال الثوري – رحمه الله – : (ما أحب الرياسة أحد إلا أحب للناس النقائص والعيوب ليتميز هو بالكمال ويكره أن يذكر الناس أحدًا عنده بخير).[٣]

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه ... بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى ... يد النقص عنه بانتقاص الأفاضل

(١) جامع بيان العلم (١/ ٢٦٤) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٩٢) .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٣٥٩) .

٣ـ التصدر بين يدي الأكابر [(١)] والوقوع فيهم :

قال محمد بن إسماعيل المقدم –حفظه الله – : (فتر أ بتثيا [(٢)] صريع الجهل متشبعًا بما لم يُعط ينصب نفسه مرجعًا للفتيا ، ويتملكه العجب ، فيلمز أكابر العلماء ، ويفري أعراضهم ويسفه أقوالهم ، فيصد الناس عن سبيل ربهم ، بصدهم عن الأدلاء عليه) .[(٣)]

قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه – : (إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم ، فإذا كان العلم في صغاركم ، سفه الصغير الكبير).[(٤)]

قال أبو الحسن القالي :

تصدر للتدريس كل مهوس | بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا | ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزُلت حتى بدا من هزالها | كلاها وحتى سامها كل مفلس

٤ـ مقاطعة الآخرين عند حديثهم :

عن معاذ بن سعيد قال : كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث ، فاعترض له آخر في حديثه فقال عطاء : سبحان الله ماهذه الأخلاق ؟ ، ما هذه الأخلاق ؟، إني لأسمع من الرجل وأنا أعلم به فأريه أني لا أحسن منه شيئًا) .[(٥)]

(١) الآكابر : كبار العلماء وفضلائهم .
(٢) الذي يعرف حروف الهجاء(أ – ب – ت) .
(٣) حرمة أهل العلم (ص ٣٤٨) .
(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٩٣) .
(٥) حرمة أهل العلم (ص ٢١٧) .

وقال الثوري –رحمه الله– : (إن الرجل ليحدثني بالحديث قد سمعته أنا قبل أن تلده أمه ، فيحملني حُسن الأدب أن أسمعه منه) .[1]

وتراه يصغي للحديث بسمعه وبقلبه ولعله أدرى به

٥ـ يوجب لنفسه مالا يوجبه عليها :

وفي هذا يصدق قول الشاعـر :

لي صديق يرى حقوقي عليه نافلات وحقه كان فرضا
لو قطعتُ الجبال طولًا إليه ثم من بعدها سرت عرضا
لرأى ما صنعتُ غير كبير واشتهى أن أزيد في الأرض أرضا

٦ـ العجب : ويأتي تفصيله ـ بإذن الله ـ :

وأختم لك أخي الطالب بما قاله ابن مفلح – رحمه الله – :

(عليك –رحمك الله– بتقوى الله وإيثار طاعته ورضاه ، على كل شيئ سرًا وجهرًا ، مع صفاء القلب من كل كدر ، ولكل أحد وترك حب الغلبة، وترك الترؤس والترفع) .[2]

واسمع واصغ لقول ابن أدهم – رحمه الله – : (لا ينبغي لرجل أن يضع نفسه دون قدره ، ولا يرفع نفسه فوق قدره) .[3]



(١) السير (٥/ ٨٦) ، نقلًا من : حرمة أهل العلم ، لِلمُقَدِّم .
(٢) الآداب الشرعية (٣/ ٣٩٧) .
(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٣٩٧) .

باب
العجـــــب

معنى العجب : هو رؤية النفس بعين الإفتخار .[١]

حقيقته: ما قاله ابن المبارك- رحمه الله-: (الكبر : أن تزدري الناس، والعجب : أن ترى أن شيئًا عندك ليس عند غيرك ، لا أعلم في المصلين شيئًا شرًا من العجب) .[٢]

وقال ابن عقيل -رحمه الله- : (الإعجاب ليس بالفرح ، والفرح لا يقدح في الطاعات ، لأنها مسر ة النفس بطاعة الله -عز وجل- وإنما الإعجاب استكثار ما يأتي من طاعة الله -عز وجل-، ورؤية النفس بعين الإفتخار) .[٣]

وقال أيضًا : (إن العجب يدخل في إثبات نفسك في العمل ونسيان ألطاف الحق ، ومن إغفال نعمه التي لا تحصى ، وإلا فلو لحظ العبد اتصال النعم ، لاستقل عمله وإن كثُر ......) .[٤]

نعم أخي الكريم : إن العجب أكذب ، ومعرفة النفس أصوب ، والعجب كلب ينبح في صدر صاحبه ، وكم ألحق بأهله من العذاب ، والطرد والإبعاد.

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٢١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧) .
(٣) الآداب الشرعية (١/ ١٢١) مختصرا .
(٤) الآداب الشرعية (١/ ١٢١) مختصرا .

قال ابن القيم –رحمه الله –: (وليُحذر كل الحذر من طغيان : (أنا، ولي، وعندي) ، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي ، بها إبليس وفرعون وقارون، فـ ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي ﴾ لإبليس ، و ﴿ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ لفرعون ، و﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ لقارون) .[١]

فأما إبليس فكُتِبَتْ عليه اللعنة والإبعاد من الرحمة إلى يوم الدين ، وكان من الهالكين ، وأما فرعون فأغرق بالذي أعجب به وصار جسده عبرة للمعتبرين ، وأما قارون فخُسف به وبداره الأرض ، وما كان من المنتصرين .

إن الليالي والأيـــام حاملةٌ وليس يعلم غـير الله مـا تلد

ولقد قيل لولا ثلاث سلم الناس: (شُح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه) .[٢]

وقال سفيان بن عيينه : (من كانت معصيته في شهوة، فأرج له التوبة فإن آدم – عليه السلام – عصى مشتهيًا فغفر له ، فإن كانت معصيته من كبر ، فأخشى عليه اللعنة ، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعِنْ) .[٣]

وقال ابن القيم–رحمه الله – : (أصول الخطايا كلها ثلاث : الكبر ، وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره ، والحرص ، وهو الذي أخرج آدم من الجنة ، والحسد ، وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه) .[٤]

فإياك إياك أخي طالب العلم ، والعجب بالنفس ، ورؤية التقدم

(١) فن الحوار (ص ١٢٨) ، نقلًا من : زاد المعاد .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٦٨) .
(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢١٥) .
(٤) الفوائد (ص ٩١).

واستكثار العمل،فإن المؤمن الحق لا يزال يحتقر نفسه ويستصغر عمله.

وفي الأثر : (سيئة تسوؤك ، خيرُ عند الله من حسنَةً تعجبك)

صور العجب : للعجب صور كثيرة من ذلك :

١ـ العجب بالنفس :

من الناس من تعجبه صورته وهندامه وحلته الثمينة ، وضخامة جسمه ، وطوله وعرضة ، ولو فكر قليلًا في نفسه وتأمل أصل خلقته ، وما تحويه بطنه ، لما أصابه داء العجب .

قال الله : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المرسلات : ٢٠] .

عجبتُ من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو في تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقال آخر :

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته ... انظر إلى خلاك فإن النتن تثريب

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر العجب شبانٌ ولا شيب

هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة ؟ ... وهي ببضع من الآفات مشحون

أنف يسيل وأذن ريحها سهكٌ ... والعين مرفضة والثغر ملعوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

فكم تجد -أخي الحبيب- من هؤلاء المعجبين بأنفسهم المتبخترين في مشيهم ، قد صار الشقاء حليفهم ، والنار مصيرهم .

جاء عند البخاري ومسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّة تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ ، إِذْ خَسَفَ الله بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة**» .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**» . رواه البخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٢٠٨٧) .

واعلم - وفقك الله - أن من الناس من يعجبك قوله وهيئته ، لكن أخلاقه رديئة ، وأحلامه خفيفة ، وقلبه نتنى خبيث .

يصدق فيهم قول الله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [البقرة ٢٠٤] .

لا يغرنك البهاء والصور   تسعة أعشار من تراهم بقر

٢ـ العجب بالرأي :

ومن الناس من يرى قوله صوابًا ورأيه سداد لا يحتمل الخطأ ، وهذا مرض خبيث أصاب الكثير ، وكان عائقًا أمام النصيحة والحوار بين الإخوان ، قال الله :﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾[فاطر : ٨] .

(فإن هذا متى كان معجبًا بر أيه لم يصغ إلى نصح ناصح ، وإنما علاجه في الجملة أن يكون متهما لرأيه أبدًا لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سُنَّة أو دليل عقلي ، جامع لشروط الأدلة ، ولن يعرف ذلك إلا بمجالسة أهل العلم ، وممارسة الكتاب والسُّنَّة) .[1]

(١) مختصر منهاج القاصدين (٢٢٣) .

ومن أمن الآفات عجبًا برايه أحاطت به الآفات من حيث يجهل

تتيه وجسمك من نطفة وأنت وعاء لما تعلم

فكم من معجب برأيه كشف له من غيره ما عاد يحقر رأيه ، وكم من متأخر سبق متقدمًا) .

٣ـ العجب بالعلم :

ومنهم من أعجب بعلمه ، وهذه الصورة لحقت كثير من طلاب العلم ، ولو علموا أن العجب بالعلم رأس الجهل ما عجبوا .

يصدق فيمن هذا حاله قول القائل :

مليئ السنابل ينحني بتلطف والفارغات رؤوسهن شوامخ

جاء في مختصر منهاج القاصدين : (من الناس من أحكموا العلوم الشرعية والعقلية ، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي ، وإلزامها بالطاعات واغتروا بعلمهم ، وظنوا أنهم من الله بمكان ، ولو نظر هؤلاء بعين البصيرة علموا أن علم المعاملة لا يراد به إلا العمل ، ولولا العمل لم يكن له قدر) .[١]

وجاء -أيضًا- : (ومن الناس من استغرقوا أوقاتهم في سماع الحديث وجمع رواياته وأسانيده الغريبه والعالية ، فَهَمَّ أحدهم أن يدور البلاد ويرى الشيوخ ، ليقول : أنا أروي عن فلان ، ولقيتُ فلانًا ، ولي من الأسناد ما ليس لغيري) .[٢]

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٢٥) .
(٢) المرجع نفسه (ص ٢٢٩) .

وعلاج ذلك أن يعلم المصاب بهذا الداء أن ما أوتيه من العلم قليل ، ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وأنه ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف ٧٦] وأن الأصل في العلم العمل به ومن العمل به التواضع والإنكسار بين يدي الله رهبة ورغبة فهذا أنفع وأبقى .

قال ابن القيم –رحمه الله – : (تالله ما نفع آدم عند معصيته عز (اسجدوا) ، ولا شرف ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ، ولا خصيصة ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾، ولا فخر ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ ، وإنما انتفع بذل ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ ، لما لبس درع التوحيد على بدن الشكر وقع سهم العدو منه في غير مقتل فجرحه فوضع عليه جبار الإنكسار فعاد كما كان فقام الجريح كأن لم يكن به قلبه) .[١]

إذا شئت أن تزداد قدرًا ورفعة   فلن تواضع واترك الكبر والعجبا

٤ـ العجب بالعمل :

وهذا من أقبح صور العجب،لأنه يحبط العمل ويفسده كما يفسد الخل العسل، وربما صاحبه ظن نفسه من أهل الفلاح ، فبدا له مالم يكن في الحسبان، وأيقن أنه من أهل الخسران، في يوم عظيم الكرب شديد الأهوال .

وعلاجه ما ذكره الإمام الشافعي –رحمه الله – : (إذا خفت على عملك العجب ، فاذكر رضا من تطلب ، وفي أي نعيم ترغب ، ومن أي عقاب ترهب ، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله) .[٢]

---

(١) الفوائد (ص ٦٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢) .

باب
حب المدح والثناء

حب المدح والثناء علامة على نقص طالبه، وإيثار الخمول والتواضع وكثرة الوجل، علامة التقوى والفلاح والكمال.

فهذا رسولنا الكريم -ﷺ- ينهى عن الغلو في إطرائه فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي سَعِيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**» رواه البخاري ومسلم، فنفى عن نفسه الفخر الذي هو الإعجاب.

عَنْ مُعَاوِيَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ**» رواه ابن ماجة.

وَعَنِ الْمِقْدَاد-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِم التُّرَابَ**» رواه مسلم وأحمد.

وَعَن أَبِي مُوسَى-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ فَقَالَ: «**أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ**» رواه البخاري ومسلم وأحمد.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ : وَيْلَكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا ، ثُمَّ قَالَ : « **مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللهُ حَسِيبُهُ ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ** » . رواه البخاري ومسلم وأحمد .

السلف وفرارهم من المدح والثناء :

المتتبع لسلف الأمة والناظر في سيرهم يجدهم أمة منقطعة النظير في جميع الأعمال من ذلك أنهم يفرون من المدح والثناء ، وعلى رأس أولئك القوم صحابة رسول الله -ﷺ- مع أنهم أهل السبق والفضل، لا يدانيهم أحد ممن سوى الأنبياء والرسل ، فهذا ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول عن نفسه : (لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي ، لحثوتم على رأسي التراب) .[1]

وخرج يومًا فأتبعه ناس فقال لهم : ألكم حاجة؟، قالوا : لا ولكن أردنا أن نمشي معك قال : ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع).[2]

وعلى هذا المنهج سار أئمة الهدى وقناديل الدجى كابن حنبل ، وابن تيمية وابن عبد الوهاب ، وغيرهم رحمهم الله أجمعين - .

فهذا الإمام أحمد - رحمه الله - قال عنه محمد بن الحسن بن هارون: (رأيت أبا عبدالله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد) .[3]

---

(١) الفوائد (ص ١٩٢) .

(٢) الفوائد(١٩٢)وروى عن عمر بن الخطاب عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسند صحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٦) الآداب الشرعية (٢/ ٨) نحوه .

وعن المـروذي قال : قلت لأبي عبد الله : ما أكثر الداعين لك ، فتغرغرت عينه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا) .[١]

وقال المروذي : قلت لأبي عبد الله : لا يزال الرجل يُقال له في وجهه أحييت السُّنَّة قال : هذا فساد لقلب الرجل) .

وقال المروذي -أيضاً- : (لم أر الفقير في مجلس أعز منه ، في مجلس أحمد) .[٢]

وقال يحي بن معين : (ما رأيت مثل أحمد صحبناه خمسين سَنَة ما افتخر علينا بشيئ ، مما كان فيه من الخير) .[٣]

وقال رجل يومًا لعمر ابن عبد العزيز : جزاك الله عن الإسلام خيرًا .

فقال : (بل جزى الله الإسلام عني خيرًا) [٤] ، وهذا خلف بن تميم يقول : رأيت الثوري بمكة وقد كثروا عليه ، فقال : إنا لله أخاف أن يكون الله قد ضيع هذه الأمة ، حيث احتاج الناس إلى مثلي) .

وقال الإمام الشافعي- رحمه الله - : (أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره ، وأكثر هم فضلًا من لا يرى فضله) .[٥]

فكن أيها الطالب خير خلف لخير سلف : فلا تفرح بمدح من مدحك ولا تجزع من ذم من ذمك .

واعلم: أن من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك واحذر -رحمك الله-

---

(١) تحفة العلماء (ص٥٧٥) .
(٢) تحفة العلماء (ص ٥٧٦) .
(٣) تحفة العلماء (ص ٥٧٦) .
(٤) تحفة العلماء (ص ٣٠٥) .
(٥) تحفة العلماء(ص٥٧٥) .

التعجل بمدح أحد أو ذمه فربما لا تتوفق فتجور .

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : (لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رُبَّ من يسرك اليوم يسوؤك غدًا) .[1]

لا تحمدن امــرأً حتى تجر به ولا تـذمـن مـن لم يبله الخبر

وآفة الآفات مدح المرء نفسه فإن ذلك علامة نقصه وخفة عقله وعاقبة أمره احتقار الآخرين له .

ومع ذا فيجوز مدح النفس بالحق للمصلحة وشكر النعمة لا عجبًا وحب شهرة ، ودليل ذلك قول الله تعالى على لسان يوسف : ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف ٥٥] ، فهنا وصف يوسف نفسه بالأمانة والعلم ، وهاتان الصفتان وغيرهما من الفضائل ملازمة لعامة الأنبياء والرسل .

وإنما قال يوسف عن نفسه ذلك إخبارًا بنعمة الله عليه ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى ١١] ، وأيضًا قصد أن يوله الملك على الخزائن فتحقق المصلحة العامة ، علمًا بأن أهم شروط الولاية الأمانة والعلم والقوة .

ومن الأدلة ما تحدثت به الملائكة عن نفسها كما قال الله : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الصافات : ١٦٦] .

ومن الأدلة قوله - ﷺ - عن نفسه« **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ** » رواه البخاري ومسلم .

---

(١) الآداب الشرعية (٢/ ١٩٤) .

باب
اتباع الهوى

الهوى : هو تحقيق شهوات النفس ورغباتها ، أي كان حكمها .

فيا لله كم من صريع للهوى أفسد عليه عقله وأذهب عليه دينه وتركه حيوانًا في مسلاخ بشر كأن لم يكن له قلب كأن لم يكن له سمع كأن لم يكن له بصر.

قال بعض السلف : (اتباع الهوى يطمس نور العقل ويعمي بصيرة القلب ويصد عن اتباع الصراط المستقيم والعبد إذا تبع هواه فسد هواه فسد قلبه ونظره وأرته نفسه القبيح في صورة الحسن والحسن في صورة القبيح فألبس عليه الحق بالباطل فأنى له الإنتفاع بالتذكر أو التفكر) .

قال وهب بن منبه – رحمه الله – : (العقل والهوى يصطرعان ، فأيهما غلب مال بصاحبه) .[1]

وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا

إي وربي – إنه ما خالط شيئًا إلا أفسده كما يفسد الخل العسل فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة وصار صاحبه من أهل الأهواء وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وإن وقع في العبادة أخرجها إلى العادة .

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٨٩) .

قال ابن الجوزي-رحمه الله - : (الهوى يعمي عن الحق وينسى الآخرة وما مثل الهوى إلا كسبع في عنقه سلسلة فإن استوثق منه ضابطه كفه وربما لا حت له شهواته الغالبة عليه فلم تقاومها السلسلة فانفكت على أن من الناس من يكف هواه بسلسلة ومنهم من يكفه بخيط فينبغي للعاقل أن يحذر شيطانه وهواه) .(١)

وقال : (وفي قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة) .(٢)

قال ابن القيم : (شراب الهوى حلو ولكنه يورث الشرق).(٣)

وقال : (اتباع الهوى وطول الأمل ، مادة كل فساد فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق ، معرفة وقصدًا ، وطول الأمل ينسي الآخرة ، ويصد عن الإستعداد لها) .(٤)

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى كـل ما فيه عليك مقال

القرآن يحذرنا من الهوى وأهله :

أخي الطالب: المتأمل لكتاب الله لا يكاد يرى آيةً من كتاب الله تتحدث عن الهوى ، إلا في معرض الذم قال الله :﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية ٢٣] .

وقال-أيضًا- : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

---

(١) دواء القلوب (ص ٢٣- ٢٤) .
(٢) صيد الخاطر (ص ١١٣) .
(٣) الفوائد (ص ١٠٣) .
(٤) المرجع السابق (ص ١٤١) .

ووصف أحد علماء بني اسرائيل يُدعى بلعام بن باعوراء بأبشع وصف يوم استجاب لشهواته واتبع هواه،قال الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف : ١٧٥:١٧٦] .

فمن كان يرى أن الهوى قائده ، فليوقن أن الدمار والعذاب حليفه.

تحذير السلف من الهوى وأهله:

الناظر لأحوال السلف وأقوالهم ، يجدها زاخرة في التحذير من الهوى وأهل الأهواء ، كيف لا وهم من قادوا العقل بالنقل ، واتهموا الرأي والذوق ، وتمسكوا بالأثر ، وتحصنوا من الهوى بالهُدى فكانوا على هدى وعالجوا أهل الكلام والأهواء بالسنان واللسان ، فكانوا أئمة الأعلام .

قال الشافعي-رحمه الله - : (حكمي في أهل الكلام ، أن يُضربوا بالجريد ، ويُحملوا على الإبل ، ويُطاف بهم في العشائر يُنادي عليهم ، هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنَّة ، وأقبل على الكلام) .(١)

وقال ابن سيرين - رحمه الله - : (لا تجالس أصحاب الرأي) .(٢)

وقال سهل بن حنيف - رضي الله عنه - : (أيها الناس اتهموا الرأي في دينكم ، فإنا كنا يوم أبي جندل ولو نستطيع أن نرد أمر رسول الله

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٦٢) .

لرددناه).[١] رواه البخاري وعن عمر نحوه .

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ ،وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ . رواه أبو داود

وكان عمر -رضي الله عنه-يقول : (اتقوا الرأي في دينكم) .[٢]

وقال شريك - رحمه الله - : (أثر فيه بعض الضعف أحب إليَّ من رأيهم).[٣]

وقال الأوزاعي - رحمه الله - : (عليك بالأثر وإن رفضك الناس ، وإياك وأراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول) .[٤]

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - : (إنما العلم كله بالآثار).[٥]

وقيل للمهلب : بما ظفرت ؟ قال : بطاعة الحرام وعصيان الهوى) .[٦]

فدع ما هويت فإن الهوى   يقود النفوس إلى ما يُعاب

أخي طالب الحق والدليل ، إنما أودعتُ هذا الباب نقولات السلف وأكثرت منها أروم من ورائها أن تصل إلى الذين ما أفلحوا ولن يفلحوا من أهل الكلام ، الحائرين والعقلانيين المارقين ، وأهل الأهواء والخصومات الضالين ، ومن اغتر بهم وتشبع بأفكارهم ومنطقهم

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٦٢) .
(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٦٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٧) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٦٢) .
(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٦٢).
(٦) المرجع نفسه (٣/ ٩٠).

من المتحزبين ، كالإخوان المسلمين إلى هؤلاء أجمعين نقول لهم هؤلاء أسلافكم ، قد رسموا لنا طريق المصطفى - ﷺ - ونقلوا إلينا جميع أقواله وأعماله فلا داعي للرأي ولا حاجة للجدل ، ولا مكان للهوى عند العقلاء ، فمن كان له أدنى مسكة عقل فليتعظ بمن ضل من أهل الأهواء الذين أكثروا التنقل والتخبط وماتوا حائرين ، إلا من تداركهم الله برحمته ، فعادوا إلى جادة السلف كأبي الحسن الأشعري ، وغيره ممن هدى الله ، والسعيد من وُعظ بغيره - والله وحده الهادي إلى سواء السبيل - .



باب
التحزب المقيت

لا شك أن الحزبية إحدى معاول الهدم لكيان الصف المسلم الواحد ولقد أغرق بعض العاملين في ميدان الدعوة إلى الله فيها فلوثت دعوتهم وأظهرت حقيقتهم أنهم دعاة أحزاب لا دعاة سُنَّة وكتاب والأعجب والأغرب أن بعضهم يصف كثرة التعدد بالظاهرة الصحية وهكذا رصد دعاة التحزب في أفئدة الشباب الربط بين الحزب وبين العمل الإسلامي أي : لا عمل إلا بحزب .

وأطلقوا على ذلك بأنه ضرورة عصرية ، وكل ذلك إن دل فإنما يدل على أراء مغلوطة وأفهام معكوسة وفطر منكوسة .

إذ الحق الأبلج أن كثرت التعدد تمرض القلوب ، وبالتالي ينتج من ورائه التنازع المؤدي للفشل وذهاب الريح .

هـذا هـو الحـق ليس بـه خفاء فدعني مـن بنيات الطريق

الحزبية في ميزان القرآن والسُّنَّة :

اعلم - أخا الإسلام - أن الله -عز وجل- حذر من التحزب ورسوله وورد في ذلك النصوص الكثيرة المستفيضة .

من ذلك قول الله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

وقال الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

وقال الله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وفي الحديث الذي أخرجه الحاكم وغيره وصححه الألباني من حديث عَبْد الله بْنِ مَسْعُود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ : خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا خَطًّا ، ثُمَّ قَالَ : « **هَذَا سَبِيلُ الله** » ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِه ، وَعَنْ شِمَالِه ، ثُمَّ قَالَ : « **هَذِه سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْه** ، **ثُمَّ تَلَا** : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ » [الأنعام : ١٥٣] .

من أضرار الحزبية :

١-أنها منبع للعصبية الجاهلية .

٢-أنها أعظم وسائل النزاع والتفكك بين الأمة الواحدة .

٣-أنها أعظم مدمر للقوة وإحلال الضعف .

٤-أنها وسيلة لتحجيم الإسلام وتحجير للمسلمين .

٥-أنها غدت معيار لامتحان الناس بها .

٦-أنها رفعت لواء الإخوة المحصورة والولاء الضيق .

٧-أنها وسيلة تلميع لأهلها وتشنيع لمخالفيها وإن كانوا علماء أجلاء .

٨-أنها قاتلة للمواهب ومدمرة للأوقات وكاسحة للطاقات .

٩-أنها وسيلة بغي وتعدي على من خالفها .

١٠-أنها أعظم وسيلة لتحقيق القاعدة الصهيونية (فرق تسد) ، إلى غيرها من الأضرار التي فيها مادة هلاك الإنسان - عافانا الله - .

ومن هنا تأكد لدى كل عامل لبيب ، وحر أريب ، أن الحزبية محرمة تحريماً شديدًا ، وهذا هوالحكم السديد والمنطق الرشيد .

وقد أفتى بذلك علماء الأمة الأعلام كابن عثيمين [١] ، والألباني[٢] ، وصالح الفوزان [٣] ، وبكر أبو زيد [٤] ، واللجنة الدائمة للإفتاء [٥] ، وغيرهم كثير وكثير

فاحذر - يارعاك الله - أحزابًا وطوائف طاف طائفها ونجم بالشر ناجمها فماهي إلا كالميازيب تجمع الماء كدرًا وتفرقة هدرًا إلا من رحم ربك فصار على مثل ماكان عليه الصلاة والسلام - وأصحابة - رضي الله عنهم) .[٦]



(١) استمع شريط إلى متى هذا الخلاف ؟ .
(٢) انظر رسالة أخوية (ص ٣٧) لفيصل الحاشدي.
(٣) انظر كتاب عقيد ة التوحيد (ص ٧٧ـــ ٨٠) .
(٤) انظر كتاب حكم الإنتماء (ص ١١٤).
(٥) انظر منهج الآئمة مع المخالف (ص ٥٤).
(٦) شرح حلية طالب العلم (ص ٨٥) .

باب
التعصب الأعمى

التعصب الأعمى ما هو إلا أثر من آثار التحزب المقيت .

والتعصب بجميع أضر به محرم شرعًا ، مذموم عقلًا سواءً كان للنفس أو للقبيلة أو للأرض (الوطن) ، أو للمذهب أو للشيخ ، أو للجماعة أو للحزب ، أو نحو ذلك .

ولست هنا بالمتحد ث عن جميع تلك الصور ، بل اقتصر على حرمة التعصب للشيوخ وللحزب ، أو للجماعة ، إذ هذه أبرز مانلمسه بين شباب الصحوة - عافانا الله - .

أخي طالب العلم : اعلم هديت- أن التعصب للشيوخ سبب من أسباب فرقة المسلمين ، إذ لو ساغ لكل طائفة أو أهل بلد ذلك التعصب لتفرق المسلمون في دينهم شيعًا ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٢] ، وما وقوع أهل البدع في بدعهم وضلالاتهم إلا نتاج جملة من الأسباب منها التعصب والتفرق ، وهذا أمر يغفل عنه بعض الصالحين في كل زمان ، فيتعصبون لعالم أو شيخ ، ويظنون ذلك التعصب تعصبًا للحق) .[١]

وإن من المؤسف لدى بعض شباب الصحوة أنهم يقدسون علمائهم بدعوى تقديرهم ولو أنهم أبدلوا (راء) تقديرهم (سينًا) ، لكان هو

(١) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٧٧).

الأليق بهم .

وهذه الظاهرة كانت في الأمم البائدة ، كأمة اليهود والنصارى الذين قال الله فيهم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة :٣١].

أخي – طالب الحق – إن مما دعت إليه شريعة الله السمحاء ، وأكدت عليه أن ننزل الناس منازلهم الشرعية ، فلا غلو ولا إجحاف ، خلافًا لأهل الأهواء ودعوتهم الضآلة التي لم تزل في خندق التحزب والتعصب تعمل ، وترسخت هذه الآفة عند بعض المسلمين ، فنجم عنه التعصب المذهبي قديماً والتعصب للأحزاب والجماعات الإسلامية حديثًا ، وإليك صور من ذلك :

صور من التعصب المذهبي :

١-أحد الأحناف ينسب إلى رسول الله – ﷺ – أنه قال : (سراج هذه الأمة أبو حنيفة) موضوع .

٢-وهذا مالكي ينسب إلى رسول الله – ﷺ – أنه قال : لولا مالك لكان الدين هالك) موضوع .

٣-روى أن الشافعي -رحمه الله – لما دخلٍ مصر أتاه جلة من أصحاب مالك ، وأقبلوا عليه فلما أن رأوه يخالف مالكا جفوه وتنكروا له ، فأنشأ يقول :

أأنثر درًا بين سارحة النعم ... وأنظم منثورًا لراعية الغنم

لعمري لئن ضيعت في شر بلدة ... فلست مضيعًا بينهم درر الكلم

فـإن فـرج الله الكريم بلطفه وصادقت أهلًا للعلوم وللحكـم
بثث مفيدًا واستفـدت ودادهم وإلا فمخزونٌ لـدي ومكتتم
ومن منح الجهال علمًا أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
وكاتم علـم الدين عمـن يريـده يبوء بإثم زاد وآثم إذا كتم [1]

٤-وعن الربيع قال : رأيت أشهب بن عبد العزيز ساجدًا يقول في سجوده : (اللهم أمت الشافعي لا يذهب علم مالك) فبلغ الشافعي فأنشأ يقول : [1] [2]

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لستُ فيها بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تهيأ لأخـرى مثلها فكأن قدِ
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم لئن مت ما الداعي علي مخلدِ [2]

٥-وهذا آخر يضع على رسول الله كذبًا - ﷺ - أنه قال : (سيخرج في الناس رجل أشد عليهم من إبليس يُدعى محمد بن إدريس) يعني : به الشافعي .

٦-وفي المقابل هذا أحد متعصبة الشافعية يقول :

ومن شعب الإيمان حب ابن شافع وفـرض أكيـد حبه لاتطوع
أنا شافعي إن حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتشفعوا

٧-وهذا أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري ينشد يومًا على المنبر

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧١ - ٧٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧١ - ٧٢).

أنا حنبلي إن حييت وإن أمت   فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

قلتُ وكم من أهل التعصب الحزبي اليوم من لسان حاله يقول :

متحزب أنـا حييت وإن أمت   فوصيتي للناس أن يتحزبوا

صور من التعصب الحزبي :

١-البيعة عند الإخوان المسلمين الدالة على عمق التعصب الحزبي : وهذا نصها : (أعاهد الله العلي العظيم ، على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين ، والجهاد في سبيلها ، والقيام بشرائط عضويتها ، والثقة التامة بقيادتها ، والسمع والطاعة في المنشط والمكره ، وأقسم بالله العلي العظيم على ذلك ، وأبايع عليه ، والله على ما أقول وكيل) .[١]

٢-وهذا منظر الإخوان المسلمين في الكويت (المهلهل) ، يقول : (بل إن دعوة الإخوان المسلمين ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ، ولو كان أروع الدعاة ، فهما للإسلام وعقيدته وأنظمته ، والإخوان لا يبالون بهم ، وهم بهذه المزايا الإ أن يقبلوا التقيد بخطط الجماعة ، والسعي لإقامة أهدافها ، وهي إقامة دولة الإسلام ، وذلك فضلاً عن المنحرفين والغافلين وغيرهم) .[٢]

ويكفيك أخي- طالب العلم - هاتان الصورتان اللتان فيهما غنية عن ذكر غيرها من الصور . إذ فيها من الدلالة على وجود التعصب الحزبي بأنتن صورة .

---

(١) الجماعات الإسلامية (ص ١٧٨).

(٢) للدعاة فقط (ص ١٢٤).

وعليه فاحذر – وفقك الله – من لوثة التعصب الأعمى .

وانتصر لدين الله فقط وليكن حُداؤك : [١]

أنا أحمدي [١] إن حييت وإن أمت   فوصيتي للناس أن يتأحمدوا



(١) أي على طريقة محمد رسول الله – ﷺ –.

باب

التقليد العقيم



معنى التقليد :

التقليد لغـةً : وضع الشيئ بالعنق محيطًا به كالقلادة .

إصطلاحًا : اتباع من ليس قوله حجة بغير حُجة .[١]

بداية ظهور التقليد :

لقد حدثت ظاهرة التقليد في أوائل القرن الرابع الهجري بعد انقراض خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) .[٢]

حكم التقليد :

التقليد غير جائز إلا في حالات معدودة [٣] ، إذ أن الله تعالى نهى عنه وأمر بالإتباع فقال : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الأعراف : ٣] .

(١) الأصول من علم الأصول (ص٩٩) .

(٢) المدخل إلى إرشاد الأمة (ص ١٦٣) .

(٣) وهي:

١ـ الجاهل يجوز له أن يقلد من اشتهر بالعلم والأمانة والورع فإن جاء يومًا من الدهر فظهر له الحق خلاف ماعليه مقلده لزمه العدول إلى الحق

٢ـ طالب العلم أو العالم إن نزلت به مسألة تحتاج إلى بحث وتأمل لكنه لم يتسع له الوقت للبحث جاز له أن يقلد من اشتهر بالإجتهاد وقوة الإستنباط فإذا بان له الحق بخلاف ماعليه مقلده عدل عن قول مقلده إلى الحق .

وذم التقليد وأهله بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان ٢١] .

ومدح الله أهل الإتباع بقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر ١٧-١٨] .

وبين الله أن التقليد مانعًا للهداية وسببًا للغواية والضلالة ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المائدة ١٠٤] .

قال الشوكاني - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية : (وقد صارت هذه المقالة التي قالتها الجاهلية نصب أعين المقلدة ، وعصاهم التي يتوكؤن عليها) .[1]

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٤] .

قال صاحب الزبدة - حفظه الله -: (وهكذا يجيب من ينتسب إلى العلم من أهل هذه الملة الإسلامية ، إذا أنكر عليه العالم بالكتاب والسُّنَّة بعض المخالف، لها قالوا : هذه قد قال به إمامنا ويرفضون الأخذ بالدليل

(١) فتح القدير (٢/ ٩٤) .

الواضح لمجرد التقليد).[1] فاللهم غفرانا - .

ذم السلف للتقليد وأهله :

لقد مضى سلفنا الصالح - رحمهم الله - يحذرون من التقليد أيما تحذير وذلك على اختلاف أعصارهم وأمصارهم .

فهذا الصحابي الجليل ابن مسعود- رضي الله عنه- يقول : (ألا لا يقلدن أحدكم في دينه رجلاً إن آمن آمن ، وإن كفر كفر فإنه لا أسوة في الشر).[2]

وروي عن علي-رضي الله عنه- أنه قال : (إياكم والإستنان بالرجال، فإن كنتم لابد فاعليه فعليكم بالأموات ، لا بالأحياء ، فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة) .[3]

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : (ويل للأتباع من عثرات العالم) .[4]

وكان معاذ - رضي الله عنه - يقول : (إياكم وزيغة الحكيم) .[5]

وقال سلمان - رضي الله عنه - : (... فأما زلة العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم تقولون نصنع مثل ما يصنع فلان وننتهي عما ينتهي عنه فلان وإن أخطأ فلا تقطعوا إياسكم منه فتعينوا عليه الشيطان) .[6]

وهذا الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - يقول : (إذا صح الحديث فهو

(١) زبدة التفسير (ص ٣٢٦) .
(٢) منهج أهل السُّنَّة في تقويم الرجال (ص ٢١) ، حقوق النبي - ﷺ - (ص١٢٩) .
(٣) انظر الفوائد(ص ١٩٧) نحوه .
(٤) حرمة أهل العلم (٣٦٦ـ٣٦٧) .
(٥) حرمة أهل العلم (٣٦٦ـ٣٦٧) .
(٦) حرمة أهل العلم (٣٦٦ـ٣٦٧) .

مذهبي) .[١]

وقال مالك – إمام دار الهجرة – : (إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسُّنَّة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسُّنَّة ، فاتركوه) .[٢]

وقال الشافعي –رحمه الله – : (كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله – ﷺ – عند أهل النقل بخلاف ما قلت ، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي) .[٣]

وقال أحمد – إمام أهل السُّنَّة – : (لا تقلدني ، ولا تقلد مالكًا ، ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا).[٤]

وفي تحذير الأئمة الأربعة (أصحاب المذاهب المعتمدة عند أهل السُّنَّة) من التقليد ، نظم الشيخ : محمد سعيد صفر قائلًا:

وقول أعلام الهدى لا يعمل ... بقولنا بدون نص يقبل
فيه دليل الأخذ بالحديث ... وذاك في القديم والحديث
قال أبو حنيفة الإمام ... لا ينبغي لمن له إسلام
أخذًا بأقوالي حتى تُعرضا ... على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة ... قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوى الرسول

---

(١) صفة صلاة النبي – ﷺ– .
(٢) الجماعات الإسلامية (ص ٢٣٥).
(٣) رفع الملام عن الآئمة الأعلام (ص ٨ـ ٩) .
(٤) رفع الملام عن الآئمة الأعلام (ص ٨ـ ٩) .

والشافعي قال إن رأيتم قولي مخالفًا لما رويتم
من الحديث فاضربوا الجدارا بقولي المخالف الأخبارا
وأحمد قال لهم لاتكتبوا ما قلته بل أصل ذلك فاطلبوا
فاسمع مقالات الهداة الأربعة واعمل بها فإن فيها منفعة
لقمعها لكل ذي تعصب والمنصفون يكتفون بالنبي [1]

وجاءت كوكبة من أعلام الإسلام من بعد أولئك الأئمة الأخيار ماضوون في التحذير من التقليد العقيم إلى يومنا هذا . [1]

فهذا محدث الديار اليمنية الشيخ مقبل الوادعي –رحمه الله– يقول: (من قلد ندم) ، وكان يقول : (لا يجوز لأحد أن يقلد هذا ولا ذاك من العصريين ، أيًّا كان ، ولو كنا مقلدين لقلدنا أحمد بن حنبل إمام أهل السُّنَّة ، ولقلدنا أبا بكر الصديق ، فأنا لا أرى نفسي أهلًا لأن أتبع وأعتقد أن من قلد عصريًا فقد هبط) .[2]

وقال –رحمه الله – : (فلا ينبغي أن نقلد فلا نقبل من الشيخ ابن باز ولا من الشيخ ابن عثيمين ، ولا من الشيخ الألباني ، إلا من كتاب الله أو من سُنَّة رسوله – ﷺ – ، والله المستعان .[3]

والحاصل أخي طالب الحق والدليل : أن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعًا ضلال وأن الحجة

(١) تحقيق معنى السُّنَّة (ص ٤٤) .
(٢) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٢٧٩ــ ٢٨٠) .
(٣) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٢٧٩ــ ٢٨٠) .

القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره).[١]

قال الشاطبي - رحمه الله - (فعلى كل تقدير ، لا يتبع أحد من العلماء إلا من حيث هو متوجه نحو الشريعة ، قائم بحجتها ، حاكم بأحكامها جملة وتفصيلًا ...).[٢]

فاحذر أخي السائر على منهج السلف ، أن تقع في بؤرة التقليد من حيث لا تشعر .

ولله در الشيخ أحمد ابن حسن المعلم - حفظه الله- ضمن قصيدة له، حين قال:

إنا نرى التقليد داءً قاتلًا ... حجب العقول عن الطريق الأرشد
جعل الطريق على المقلد حالكًا ... فترى المقلد حائرًا لا يهتدي
فلذا بدأنا في اجتثاث جذوره ... من كل قلبٍ خائفٍ متردِدِ
ولسوف ندمل داءه وجراحه ... بمراهم الوحي الشريف المرشد



(١) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ٦٧) مختصرًا .
(٢) المرجع نفسه (ص ٦٤) .

باب الغلـو

الغلو :هو التجاوز للحدود بالإفراط والتفريط .(١)

حكمه : محرم شرعًا ومذموم عقلًا .

ومن أدلة التحريم قول الله تعالى :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء ١٧١] .

وقال الله : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة ٧٧].

وجاء في الحديث الذي أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وابن ماجهْ عَنِ ابْنِ عَبَّاس ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**» .

وعند البخاري وأحمد وأبوداود والترمذي ، قوله -ﷺ- : « **وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا** » ، وَعَنِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود -رَضِيَ الله عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا** » أخرجه مسلم .

والأدلة غير ما ذكرنا كثيرة ومشهورة .

فالواجب على الشباب المسلم ، لاسيما طلبة العلم منهم الحذر من العنف والتطرف والغلو ، وعليهم التوسط والإعتدال ، وهو السير على

(١) زبدة التفسير (ص ١٠٥) .

نهج الله كتابًا وسُنَّة .

قال ابن القيم -رحمه الله - : (فدين الله بين الغالي فيه ، والجافي عنه ، وخير الناس النمط الوسط ، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ، ولم يلحقوا بغلوا المعتدين) .[1]

وخير الأمـور الوسط الوسيط   وشره الإفـــراط والتفريط

وقال آخر :

فلا تغلُ في شيءٍ من الأمرِ واقتصد   كلا طـرفي قصد الأمـور ذميمُ

صور الغلـو :

أخي - يارعاك الله - اعلم أن للغلو صورًا كثيرة فتدبر ها واحذرها فإنها الشقوة والهلكة من ذلك :

١-الغلو في الطاعات .

٢-الغلو في إصدار الأحكام تحليلًا وتحريماً وتكفيرًا وتبديعًا وتضليلًا.

٣-الغلو في الشيوخ ومؤلفاتهم قدحاً أو مدحًا .

٤-الغلو في الجماعات الإسلامية قدحًا أو مدحًا .

٥-الغلو في الهجر إفراطًا أو تفريطًا .

أخي الطالب : إن الناظر للغالي في دين الله يجده قليل الألفة ، دائم الكلفة ،عابس الوجه، مقطب الجبين ،ضئيل البشر والبشاشة ، شديد اللهجة لا يقبل المعذرة ، ولا يعفو عن الذنب ، يضخم الخطأ ويُهوله،

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٢) .

ويفرح به للتنقيص والتشهير ،لا يقيل العثرة ،ولا يتغافل عن الزلة ، قليل الإنصاف ،يطيح بجهود الآخرين ويختصرهم في المثالب والمعايب، نظراته لهم سوداء قاتمة ، فإلى الله المشتكى .

وعليه فاحذر ياطالب العلم مجاوزة الحد الشرعي ،إفراطًا أو تفريطًا ، وسدد وقارب ، ويسر ولا تعسر ،وبشر ولاتنفر ، وتألف ولا تتكلف ، واقتصد في جميع أعمال الخير ،تنال المحبوب وتصل إلى المطلوب ، ولا تشطط فتقع في المرهوب .

ولقد رأينا - والله - من شدد فنفر ونفر وتقلبت أحواله ، وتشعبت أفكاره ، ولم يدم على حال - عافانا الله من ذلك - .



باب التنازل

ويقابل صنف الغلاة صنف آخر، هم المميعون المضيعون لكثير من أحكام الدين وتشريعاته، بل وربما بعض ثوابته ومسلماته، ولهم في تنازلهم المشؤوم وتراجعهم المذموم، حجج داحضة وعلل عليلة من ذلك .

١-محاربة الغلو والتطرف والإرهاب .

٢-الإنفتاح والمرونة .

٣-التيسير .

٤-التحلي بالأخلاق الكريمة .

٥-مسايرة الواقع ومواكبة العصر .

٦-فقه الزمان والمكان والحال والمآل .

وكل هذه دعاوي إنما أرادوا من ورائها تمرير مناهجهم ، وتحقيق مآربهم ، واستخدموا تلك الحجج التي ألبسوها لباس الحق والعدل ، تلبيسًا على الناس .

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت فقل قيئ الزنابير

أخي طالب العلم : إياك والولوج مع هذا الصنف والإنخداع بشعاراتهم البراقة ، فإنهم دخلاء على علماء الإسلام ودعاته ، فاحذرهم

أن يفتنوك .

فالمتتبع لتفاصيلهم والمتعمق لأهدافهم ، والناظر المتأمل لأقوالهم في كتبهم وأشرطتهم ومنشوراتهم ، يجدهم أمة قد تنكروا لسُنن المصطفى -ﷺ- ، في أقوالهم وأعمالهم ، بل وفوق ذلك شنوا حربًا ضروسًا على غيرهم من أهل السُّنَّة والجماعة ، فتارة يصفونهم بعلماء الحيض والنفاس، وأخرى بأنهم نصيون جامدون لا يفقهون واقعهم .

وأخرى بأنهم ما زالوا في خندق القشور[١] ، يرتعون إلى غير ذلك من السهام المسددة المسمومة، والأقوال المستوردة المشؤومة ، من قبل هؤلاء المعدومين المحسوبين على الدعوة والدعاة .

فإياك إياك أيها الطالب -وقاك الله - والإغترار بزخارف الأقوال ، والإغراق في التفاؤل ، فتُلدغ من حيث لا تشعر .

فحقيقة القوم أنهم يرومون لتحقيق أهدافهم ومصالحهم بأي وسيلة كانت ، ولو على حساب الدين ، علماً بأن تلك الأهداف لا تمت إلى الدين بصلة ، كالفوز في الإنتخابات ونحوها .

فشُد أيها الطالب وثاقك ، وأسس بنيانك ، وكن كيسًا فطنًا ، ولا تشمت بناء الأعداء .

قال ابن الجوزي -رحمه الله - : (واعلم أن فتح باب المباحات رُبما جر أذىً كثيرًا في الدين ، فأوثق السكر[٢] قبل فتح الماء ، والبس الدرع

---

(١) مع أن دين الله جميعه لب ليس فيه قشور ، إذ القشر هو الشيئ الرديئ الذي لا يُحتاج له غالبًا ، وهل في دين الله ما لا يُحتاج له ؟ ، وتسميتهم الجزئيات من دين الله بتلك التسمية أعظم دليل على تمييعهم وتضييعهم لدين الله الحق تحت حجة الواقع . والله المستعان ..

(٢) ماسد به النهر .

قبل لقاء الحرب ، وتلمح عواقب ما تجني قبل تحريك اليد ، واستظهر في الحذر باجتناب ما يُخاف منه وإن لم يُتَيقن) .[١]

وفي الأثر أن أبا أيوب قال : مرض أبو قلابة بالشام ، فعاده عمر بن عبد العزيز وقال : يا أبا قلابة تشدد لا يشمت بنا المنافقون)[٢] .

تلك هي وصايا السلف لبعضهم ، وهي وصايا لمن بعدهم ، فلا تكن من الغافلين ، واعلم -رحمك الله- أن أهل التراجع والتنازل لا يثبتون على حال ، بل يتقلبون بتقلب الزمان والمكان ، يصدقُ فيهم قول من قال :

يدور مع الزجاجة حيث دارت ويلبس للسياسة ألف لبس
فعند الإنجليز يُعَد منهم وفي باريس نحسبه فرنسي



(١) صيد الخاطر (ص ٢٩٠) .
(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٧٣) .

باب الهجــر

الهجر لغةً : الترك يقال هجره هجرًا أي تركه .

إصطلاحًا : هو الإعراض بالكلية عن المبتدع والبراءة منه .[(١)]

حكم الهجــر :

الهجر ليس له حكم واحد بل يختلف حكمه باختلاف أحواله وملابساته فتارة يكون واجبًا وتارةً يصير محرمًا وأخرى مُباحًا .[(٢)]

الهجر في ميزان القرآن والسُّنَّة :

من المعلوم أن الله عز وجل أذن لنبيه بل وأمره بالهجر في مواضع من كتابه الحكيم والخطاب لرسوله - ﷺ - خطاب لأمته ، إلا ماورد فيه الدليل بالخصوصية .

من ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل : ١٠] .

وقوله : ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام ٦٨] .

وقوله : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم ٢٩] .

---

(١) معالم في الجرح والتعديل (٣٧٤ - ٣٧٥) مختصًرا .

(٢) انظر كتاب:معالم في الجرح والتعديل(ص٣٧٤) وما بعدها لشيخنا/ محمد المهدي -حفظه الله- ، ترى فيه فوائد وقواعد وضوابط مهمة في هذه المسألة .

ومن السُّنَّة :

١-ما ورد في البخاري رقم (٤٤١٨) ومسلم رقم (٢٧٦٦) من حديث كعب بن مالك ، في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن تبوك وهجره - ﷺ - وأصحابه إياهم خمسين ليلة .

٢-ماجاء في البخاري رقم (٥٢٠٢) من حديث أم سلمة أن النبي - ﷺ - هجر بعض نسائه شهرًا .

٣-ما جاء عَنْ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ : « **كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كَذَبَ كَذْبَةً ، لَمْ يَزَلْ مُعْرِضًا عَنْهُ حَتَّى يُحْدِثَ لِلَّهِ التَّوْبَةَ** » . صحيح الجامع للألباني رقم (٤٦٧٥)

صور من هجر السلف :

١-قصة هجر عائشة - رضي الله عنها - لعبد الله بن الزبير ابن أختها حين أقسم بالحجر عليها في بيع أو عطاء أعطيه فبلغ ذلك عائشة فنذرت أن لا تكلمه أبدًا حتى استشفع له . والقصة بطولها في صحيح البخاري رقم (٦٠٧٣).

٢-ما فعله ابن عمر مع ابنه بلال حين حدث أن رسول الله-ﷺ - قال : « **لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ** » ، رواه أحمد وأبو داود من حديث هريرة فقال ابنه بلال : (والله لَنمنعهن) فأقبل عليه أبوه وجعل يسبه سبًا عظيمًا ما سبه مثله قط ، وقال : أحدثك عن رسول الله - ﷺ - وتقول: (والله لنمنعهن) ثم هجره حتى مات ولم يكلمه . وما فعله هو من باب التعزيز وإلا فالأصل قبول التوبة حتى من الكافر . حكاه - ابن عثيمين -رحمه الله - .[1]

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٤٨٨ - ٤٨٩) .

أصناف الناس في الهجـر:

الناس من الهجر طرفان ووسط :

الطرف الأول : الغالي : وهذا الصنف من الناس غدا الهجر عنده هو ورقته التي يلوح بها دائمًا ، في تعامله مع كل من يقع في الخطأ بدون مراعاة للأحوال ، ولا للزمان ولا المكان ، ولا المهجور ولا صفة الهجر، ولامراعاة لاستيفاء الشروط ، وانتفاء الموانع ، ولا مراعاة للمصالح أو المفاسد ، ولا شك أن هذا غلو قبيح ، وتصرف غير صحيح ، ضرره معلوم ونفعه معدوم .

الطرف الثاني : الجافي : وهؤلاء ما أقاموا للهجر في الشرع مكانًا ، ورأو أن الهجر بكل أحواله وضوبطه وآدابه أمرٌ قد عفا عليه الزمن ، فلا مكان له اليوم ولا ينبغي فعله .

وهذا بلا ريب طعن بلسان الحال في الأحوال التي تعامل -ﷺ- وأصحابه بالهجر ، كما بينا آنفا .

الطرف الثالث - أهل الوسط والإعتدال: وهم الذين علموا بالهجر ومشروعيته ، وآدابه وضوابطه ، فهجروا في محل الهجر - ليس إلا - .

وهؤلا ء هم أهل الفقه والنظر ، وأهل السُّنَّة والأثر ، وبالإخلاص والسُّنَّة جاءوا بإذن ربهم بعطاء غير مجذوذ .

مسائل ينبغي مراعاتها في الهجر :

١-**الهجر مسألة اجتهادية** : اعلم أخي الطالب أن الهجر من المسائل التي يسع فيها الخلاف ، كونها من المسائل التي تزدحم فيها المصالح

والمفاسد في المحل الواحد ، وقد يرجح أحد المجتهدين ما لم يرجحه الآخر ، وهما بين أجر وأجرين ، فلا يجو ز لأحدهما إلزام الآخر بما وصل إليه اجتهاده من الهجر أو عدمه ، إذا ليس أجتهاده أولى من اجتهاد غيره .

وبالتالي فلا يجوز أن يقع بسببها التدابر والإنفصام ، والبغض والخصام ، قال الذهبي – رحمه الله – : (ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لا تباع الحق ، أهدرناه وبدعناه ، لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا ، فرحم الله الجميع بمنه وكرمه) . (١)

٢-الهجر قربة وعبادة : لا ريب أخي الطالب أن الهجر عبادة وقربة إلى الله سبحانه ، ومن المعلوم قطعاً أنه لا يُعبد الله إلا بما شرع ، إذ الأصل في العبادات الشرع .

وينبغي لصحة العبادة وقبولها أن يتوفر فيها شرطا الإخلاص والإتباع.

فينبغي على الهاجر أن ينظر لهذين الشرطين بعين الإعتبار ، في محل هجره حتى ينتفع بهجره في الدنيا والآخرة .

فلا ينبغي أن يكون هجره صادرًا عن تقليد فيطيح بالإتباع ، أو عن هوى وسوء نية ، فيطيح بالإخلاص ، فيفسد عبادته تلك بسوء نيته وعدم اتباعه .

٣-الهجر مسألة مضيقة: لو تأملنا صور هجره -ﷺ- لوجدناها قليلة في حدود ما أعلم ، هي تلك الصور التي سبق وأن بيناها آنفًا .

وكذلك الحال لو تأملنا صو رًا من حياة السلف في الهجر لوجدنا

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦) .

صورًا معدودة ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن التعامل باهجر محدود ومضيق جدًا ، وهو آخر ما يكون من العلاج ، ويؤخذ منه بقدر ما يجلب المصلحة أو يكثرها ، ويدرء المفسدة أو يقللها .

قال الألباني - رحمه الله - : (نحن لو فتحنا باب المقاطعة والهجر والتبديع لازم نعيش بأه في الجبال ، إنما نحن واجبنا اليوم : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل ١٢٥].

وسُئل - رحمه الله - هل صحيح أن هجر المبتدعة في هذا الزمان لا يطبق؟، فأجاب : لا يُطبق لأن المبتدعة والفساق والفجار هم الغالبون ، وقد قلتُ هذا صراحة آنفًا حين ضربت المثل الشامي : (أنت مُسكر وأنا مبطل) . [(١)]

وقال العثيمين - رحمه الله - : (لا يجوز الهجر بين المؤمنين لأن النبي - ﷺ - قَالَ : « **لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ** » رواه البخاري ومسلم .

حتى لو ارتكب معصية ، فإن هجره لا يجوز ، الإ إذا كان في هجره مصلحة ، كأن لم ينتهي عن معصية ، ولهذا هجر النبي - ﷺ - كعب بن مالك وصاحبيه ، حين تخلفوا عن غزوة تبوك) . [(٢)]

وقال - رحمه الله - : (فالمهم أن الهجر إذا كان ينفع في تقليل المعصية أو التوبة منها ، فإنه مطلوب ، إما على سبيل الوجوب أو على سبيل الإستحباب ، أما إذا كان لا ينفع وإنما يزيد العاصي عتوًا ونفورًا فلا

(١) المنهج السلفي للألباني (ص ٩٠ـ ٩٢) .
(٢)منهج الآئمة مع المخالف (ص ٢٥٠) .

تهجره) . [١]

٤-الهجر علاج لمرض ودواء لداء : أخي الطالب : الداعية اللبيب كالطبيب الحاذق الأريب ، يضع دواءه حيث ينفع ، ولا يصرف من العلاج إلا ما للضر يدفع ، فالزيادة في العلاج والنقص منه قد لاينفع .

وكذلك الهجر الزيادة منه شطط وحيف وإفساد ، والواقع خير دليل لمن تأمل ، والنقص تفريط وتضييع وإهمال .

والصواب فيه لزوم الإعتدال،فهو المسلك السديد والمنهج الرشيد

٥-لا يكون الهجر إلا ممن هجره معتبر : نعم إن الهجر ليس لكل أحد بل هو حق لمن كان هجره معتبر ، كالإمام أو العالم المطاع وغيرهما . [٢]

قال ابن القيم – رحمه الله– في معرض ذكره للفوائد المأخوذة من هجر النبي – ﷺ – لكعب وصاحبيه : (وفيه دليل على أن هجران الإمام والعالم المطاع ، لمن فعل ما يستوجب العتب ، ويكون هجرانه له دواء بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء ، ولايزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه ، إذ المراد تأديبه لا إتلافه) . [٣]

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم ، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ، ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة ، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا ، وإن

(١)شرح رياض الصالحين (١/ ٦٤٤) .
(٢) قال الشيخ محمد المهدي – حفظه الله – : والعجيب أن بعض طلبة العلم يهجر أهل قريته وهم لا يقيمون له وزناً ولا يأخذون بقوله فيصبح الطالب مهجورًا ويقاطعه أهل بلده ولم يحقق الغرض من الهجر فيعزل نفسه عن الناس ويحرمون علمه ..
(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٠٣).

كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك ، بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ، لم يشرع الهجر ، بل يكون التاليف). [١]

(قال ابن عبد البر – رحمه الله – : (ولا هجرة إلا لمن ترجوا تأديبه بها، أو تخاف من شره في بدعة أو غيرها) . [٢]

٦-**هجر المبتـدع والفاسق** : قال أبو زيد – رحمه الله – : (والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرها ، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها ، كما حرره شيخ الإسلام في مواضع). [٣]

قال ابن عثيمين عند شرحه لهذا الكلام : (فننظر إلى المصالح فإذا رأينا أن من المصلحة ألا نهجره ، ولكن نبين الحق ولا نداهنه ، ويبقى على بدعته ، ونحن على سنتنا إذا رأينا من المصلحة ، هذا فترك الهجر أولى ، وإذا رأينا من المصلحة الهجر بأن يكون أهل السُّنَّة أقوياء وأولئك ضعفاء مهزومين ، فالهجر أولى) . [٤]

وقال – رحمه الله – : (... فإذا كان في هجر الفساق مصلحة راجحةً فإنهم يُهجرون ، وإلا فلا يهجرون هذا بالنسبة لعموم الفساق ، أما الدعاة إلى الله فإنه لا ينبغي لهم ، بل لا يجوز لهم أن يتهاجروا فيما بينهم بسبب اختلاف أساليب الدعوة ، ولكن على كل واحد منهم أن ينتفع بأسلوب

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٦) .
(٢) التمهيد (١٥/ ٧٤) .
(٣) شرح حلية طالب العلم (ص ١٢١).
(٤) المرجع السابق (ص ١٢١) .

الآخر ، إذا كان أجدى وأنفع) . [١]

وقال -أيضًا- : (الصحيح في مسألة الهجر أنه حرام ، إلا إذا كان فيه مصلحة ، وأنه يحرم أن يهجر الإنسان أخاه المؤمن ، الذي لا يصل إلى حد الكفر ، إلا إذا كان في ذلك مصلحة ، والدليل لذلك مناط الأدلة على حقوق المسلم على المسلم ، فحقوق المسلم على المسلم عامة، والمؤمن لا يخرج من الإيمان بمجرد الفسوق والعصيان ، عند أهل السُّنَّة والجماعة) . [٢]

٧-**يزول الهجر برد السلام** : اختلف العلماء هل يزول الهجر بمجرد رد السلام أم لا ؟ ، على قولين :

الأول : أنه بمجرد السلام يزول الهجر المحرم ، لما رَوَى أَبُو حَفْص عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -مَرْفُوعًا « **السَّلَامُ يَقْطَعُ الْهِجْرَانَ** » وجاء عند البخاري ومسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -صَاحب رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ -: « **لا يَحِلُّ لمُسْلَم أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ ، فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمُ الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلام** » .

وعن أبي داود من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -: « **لَا يَحِلُّ لِمُؤْمنَ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاث ، فَإِنْ مَرَّتْ به ثَلَاثٌ فَلْيَلْقَهُ ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْه ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْه السَّلَامَ فَقَد اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ وَخَرَجَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْهِجْرَةِ** » .

وهذا هو مذهب مالك والشافعي ومن وافقهما ، كما ذكر ذلك

(١) الصحوة الإسلامية (ص ١٩١) .
(٢) الشرح الممتع (٥/ ٣٧٤).

النووي .[١]

ويرى الإمام أحمد (أنه لا يخرج من الهجرة بمجرد رد السلام بل يعود إلى حاله مع المهجور قبل الهجرة) .[٢]

وخلاصة ما سبق :

أن الهجر لا يكون شرعيًا إلا بتوفر شروطه ، وانتفاء موانعه ، وشروط الهجر هي :

١-أن يكون الهجر خالصًا لوجه الله .

٢-أن يكون الهجر موافقًا لهدي رسول الله - ﷺ - .

٣-أن يكون الهجر صادرًا ممن هجره معتبر .

٤-أن يكون الهجر آخر وسيلة من وسائل الدعوة .

٥-أن يتحقق من وراء الهجر مصلحة راجحة ، أو تدفع مفسدة راجحة.

٦-أن لا يكون الهجر إلا بقدر دفع الضرورة ، إذ الزيادة فيه والنقص منه مادة هلاك وفساد .

٧-أن لا يزيد الهجر فوق ثلاثة أيام ، إلا لمصلحة شرعية متيقنة ، أو راجحة .

موانع الهجر :

١-أن يكون الهجر لحظوظ نفسية وهوى متبع .

٢-أن يكون الهجر مجرد تقليد لشيخ أو لجماعة أو نحو ذلك .

---

(١) الآداب الشرعية (١ / ٢١٤ - ٢١٥) .

(٢) الآداب الشرعية (١ / ٢١٤ - ٢١٥).

٣-أن يكون الهجر صادرًا ممن لا يُعتد بهجره .

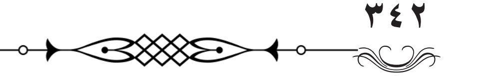
٤-أن يُفضي الهجر إلى مفسدة راجحة ، أو منكر أكبر .

٥-أن يُهْجَر الشخص قبل إقامة الحجة عليه .

٦-الغلو في الهجر إفراطًا أو تفريطًا .

٧-أن يُجعل من الهجر هو الوسيلة الأولى والوحيدة في التعامل مع المبتدع، أو الفاسق ، أو المخطئ ، أو نحوهم .





باب
التكفير والتبديع

إن من المؤسف المحزن أن مسألة التكفير والتبديع والتفسيق والإخراج من السُّنَّة،غدت لعقة سهلة عند كثير من الشباب المسلم ، بل ومن طلبة العلم يطلقونها على من يريدون بدون ترو ، ولا مراعاة لاستيفاء الشروط وانتفاء الموانع ، وهذا - بلاء عظيمٌ ، وخطرٌ جسيمٌ ، وشرٌ مستطيرٌ .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (ليس لأحد أن يُكَفِّرَ أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط ، حتى تقام عليه الحجة ، وتبين له المحجة، ومتى ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك بالشك ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة) .[1]

هذا هو المنهج السلفي ، الذي يجب أن يغرس في أفئدة طلبة العلم ومعلميهم ، فأهل السُّنَّة والجماعة لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بالذنب والمعصية ، إذ التكفير بالذنب والمعصية من شان أهل الأهواء والبدع من الخوارج وغيرهم .

وليعلم أخي الطالب أن اقتحام هذا الباب اقتحام لجراثيم جهنم ، بل فيه مادة هلاك صاحبه وخسرانه في الدارين ، كيف لا ؟ .

ومن المعلوم أن التكفير والتبديع تتعلق بهما أحكام عظام في الدنيا والآخرة ، قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : (اعلم أن مسائل التكفير

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦ - ٤٦٨) .

والتفسيق من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة ، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة ، وغير ذلك في دار الدنيا ، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين ، وحرم الجنة على الكافرين) . [١]

واعلم -وفقت وهديت - أنه ليس كل من وقع في الكفر وقع عليه ولا كل من وقع في البدعة،وقعت عليه هذا هو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله -: (فالتكفير يختلف بحسب حال الشخص ، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ، ولا جاهل ولاضآل ، يكون كافرًا، بل ولا فاسقًا ولا عاصيًا) . [٢]

والذي يمنع من ذلك هو أحد أمرين .

١-عدم إستيفاء الشروط كالعلم والتكليف ، (البلوغ والعقل) وغير ذلك .

٢-عدم انتفاء الموانع كالجهل والتأويل والصغر والجنون ونحو ذلك.

فكثير من مجتهدي السلف والخلف ، قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ، ولم يعلموا أنه بدعة ، بل فعل بعض الناس ما هو كفر ، ولم يعلموا أنه كفر فهم بذلك لا يكفرون بسبب الجهل أو التأويل أو لعدم بلوغه الدليل أو لاعتقاد تضعيفه ، أو لأي مانع آخر من موانع التكفير والتبديع ، ومن هنا نؤكد القول بخطر تكفير المعين ، أو تبديعه أو إخراجه من السُّنَّة بدون حجة، إذ كل ذلك شديد ولا يتقوى على التخصيص والتعيين بدون برهان ، إلا جاهل ، أو مكابر ، أو صاحب هوى .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦ - ٤٦٨) .
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٨٠) .

يقول الشيخ سعيد عبد العظيم –حفظه الله– :(قد يكون القول كفرًا أو يطلق القول بتكفير قائله ، فيُقال : من فعل كذا فهو كافر ، من قال كذا فهو كافر ، أما الشخص المعين فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، بحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ، وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع ...) .[١]

تنبيه هام : مما يجدر الإشارة به هنا ، أن يعلم أخي طالب العلم أنه قد نجم عن الغلو والتنطع القول بحرمة الترحم على فلان وفلان من عامة المسلمين ، أو ممن وقع في بدعٍ ومعاص بدون معرفة ، هل كان يعلمها أم لا؟ ، وهل أقيمت عليه الحجة لعله كان متأولا ... . إلخ .

وهذا منهج غريب وخلط عجيب بين المواطن التي يجوز فيها الترحم وعدمه، يقول الألباني –رحمه الله– :(فلا يجوز أن نتبنى اليوم مذهبًا فنقول: لا يجوز الترحم على فلان وفلان وفلان ، من عامة المسلمين فضلاً عن خاصتهم فضلاً عن علمائهم لماذا ؟ ، لسببين اثنين :

الأول : أنهم مسلمون .

الثاني : أنهم إن كانوا مبتدعين فلا نعلم أنه أقيمت الحجة عليهم وأصروا على بدعتهم ، وأصروا على ضلالتهم .

لهذا أنا أقول : من الأخطاء الفاحشة اليوم أن الشباب الملتزم والمتمسك بالكتاب والسُّنَّة ، فيما يظن هو يقع في مخالفة الكتاب والسُّنَّة ، من حيث لا يدرى ولا يشعر)[٢] ، وقال : (نحن نعتقد أن الرحمة أو بعبارة أصرح : الدعاء بالرحمة جائزة لكل مسلم ، ومحرمة على كل كافر) .[٣]

---

(١) منهج الأئمة مع المخالف (ص ٣٨٠) .
(٢) المنهج السلفي (ص ٩٣ – ٩٤) .
(٣) المنهج السلفي (ص ٩٣ – ٩٤) .

باب
الحســـد

من المعلوم أن الحسد خلقٌ قبيح من أخلاق اليهود ، وبئس الخُلق خُلق الحسد ، والحسد غير الغبطة ، إذ الحسد يعني: كراهة ما أنعم الله به على العبد. [١] وقيل الحسد هو : تمني زوال النعمة عن الغير.

والأول أعم وأقوى ، كما حقق شيخ الإسلام أما الغبطة فتعني: تمني أن يرزقك الله مثل ما أنعم على غيرك ، بدون تمني زوالها عنه .

وعليه فالحسد مذموم والغبطة محمودة قال الفضيل – رحمه الله – : (المؤمن يغبط ولا يحسد الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق) .[٢]

وإنما يُحمل قوله – ﷺ – : « **لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْن : رَجُل أَتَاهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَجُل أَتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** » رواه البخاري ومسلم على الغبطة .

أخي – طالب العلم – : (احذر الحسد فإنما صحة الجسد من قلة الحسد وهو آكل للحسنات كما تأكل النار الحطب) .

جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : « **إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**» ضعَّفه بعض المحدثين .

(١) كتاب العلم (ص ٦٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٧) .

وعليه فالحسد مرض خبيث ، إذا استشرى في النفوس قتلها ، والحاسد في عذاب دائم أشبه ما يكون في وسط نار محرقة ، لا يهدأ له بال ولا يسكن له خاطر ، ما دام محسوده في نعمة.

قال ابن الجوزي – رحمه الله – : (ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه ، فإنه في أمر عظيم متصل لا يرضيه إلا زوال نعمتك، وكلما امتدت امتد عذابه فلا عيش له ، وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم ، ولولا أنه نزع تحاسدوا وتنغص عيشهم) .(1)

قال – سبحانه وتعالى– : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر ٤٧] .

واعلم أخي الطالب – رحمك الله– أن الحسد إنما يقع لما يحصل للغير بسبب نعمة ، أو رفعة .

قال ابن الجوزي –رحمه الله– : (واعلم أن من الأمر الموضوع في النفوس الحسد على النعم أو الغبطة وحب الرفعة ، فإذا رآك من يعتقدك مِثْلاً له وقد ارتقيت عليه ، فلا بد أن يتأثر وربما يحسدك ، فإن إخوة يوسف –عليه السلام – من هذا الجنس جرى لهم ما شآنهم) .(2)

وقال: (وقد عرفتَ أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل ، وأن إخوة يوسف باعوه بِثمن بَخس ، وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء، وعبد الله بن أبي من الرؤساء ، أخرجهما حسد رسول الله– ﷺ– إلى

(١) صيد الخاطر (ص ٥٧٠ – ٥٧١) .
(٢) صيد الخاطر (ص ٢٤٢) .

النفاق وترك الصواب).[١]

قلتُ : وما أوقع إبليس فيما أوقعه من اللعنة والسخط والعذاب ؛ إلا الكبر والحسد لأبينا آدم –عليه السلام– لآنه نال عز﴿ ٱسۡجُدُواْ ﴾.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالناس أعداء له وخصوم[٢]

وقال آخر : [٢]

وإذا الفتى بلغ السماء بمجده   كانت كأعداد النجوم عداه

ورموه عن قوس بكل عظيمة   لا يبلغون بها جنوه مداه

ومن اللطائف : أن ابن الوزير شكا لابن عمه كثرت الحساد، فرد عليه قائلًا :

وشكوت من ظلم الحساد ولن نجد   ذا سؤدد إلا أصيب بحُسَّدِ

لا زلت يا سبط الكرام محسدا   والتافه المسكين غير مُحسد

فيا أيها الطالب: احرص على جمع الفضائل ، وإياك وخوارمها، التي تفسد نظام عقدها من ذلك الحسد ، الذي هو رأسها وأسها إي –والله– أن الحسد أُس الرذائل ولجام الفضائل ، فتنبه –رحمك الله– .

قال أحمد –رحمه الله– : (اعلموا رحمكم الله تعالى أن الرجل من أهل العلم ، إذ منحه الله شيئًا من العلم ، وحرمه قرناؤه وأشكاله حسدوه ، فرموه بما ليس فيه ، وبئست الخصلة في أهل العلم).[٣]

---

(١) المرجع نفسه (ص ٥٧٠ – ٥٧١) .
(٢) جامع بيان العلم (٢/ ٥٩٨).
(٣) السير (١٠/ ٥٨) ، نقلاً من : قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١١٠) .

احرص على جمع الفضائل واجتهد ... وتجافي عمن حمل الضغينة والحسد
اصبر على كيد الحسود مداريًا ... ياصاح بعد الموت ينقطع الحسد

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: « **إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيث ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا** » رواه البخاري .

وهذا الإمام الذهبي-رحمه الله- يُحذر من كلام الأقران بقوله : (كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به ، لا سيما إذا لا ح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجوا منه ، إلا من عصم الله ، وما علمتُ عصرًا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس) .[1]

وفي هذا قيل : (ما سلم جسد من حسد) .



(١) ميزان الإعتدال (١/ ١١١) .

باب
الإفراط في الحب وفي البغض

وهذه إحدى الآفات التي وقع فيها كثير من الشباب الملتزم .

والتي ينبغي بل يجب تجنبها إذ الأصل في الحب والبغض أن يكون لله وأن يكون معتدلاً فلا إفراط ولا تفريط .

قال الله : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة ٧١] .

وقال -أيضًا- : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وجاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** » . رواه البخاري ومسلم .

وعليه فالأصل بين المسلمين المحبة والبغض عارض ، وبمقدار والمحبة هي السبب الوحيد لاجتماع كلمة المسلمين به تُغفر الزلات، وتُقال العثرات وتشهر الحسنات ، ولولا الحب ما التف الغصن على الغصن ، ولا عطف الظبي على الظبية ، وما بكى الغمام لجدب الأرض ، ولا ضحكت الأرض لزهر الربيع .

إنما الحب نقاء النفس من حقد وبغض إنه أفئدة تهوى و تأبى هتك عرضي

فالمحبة والمودة كفيلان بجمع الكلمة ، وإن تباعدت الديار وتناءت الأقطار.

ما بيننا عــربٌ ولا عجم مهلًا يد التقوى هي العليا
خلو خيوط العنكبوت لمن هم كالذباب تطايروا عميا
وطــنــي كـبـير لا حــدود له كالشمس تمــلأ هذه الدنـيا
في أندونيسيا فـوق إيـراني في الهـنـد في روسـيـا وتركيا
آسيا ستصهل فوقها خيلي وأحــطـم الـقـيـد الحـديـديـا

أخي - رحمك الله - إن من عقيد ة أهل السُّنَّة والجماعه أن الولاء والبراء والحب والبغض ميزانه الشرع لا ميزان الهوى .

فيحبون المرء بقدر ما فيه من الخير ويبغضونه بقدر ما فيه من الشر

الناس في الولاء والبراء ثلاثة أقسام :

١-قسم لهم الحب والولاء المطلق كالأنبياء والرسل ، وأصحاب رسل الله أجمعين .

٢-قسم لهم العداء والبراء المطلق وهم الكفار على اختلاف مشاربهم

٣-قسم يوالى من وجه ويعادى من وجه آخر وهم عموم المسلمين .

قال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-:(الحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه أسباب الولاية وسبب العداوة والحب والبغض ، فيكون محبوبًا من وجه ، ومبغوضًا من وجه ،

والحكم للغالب .[١]

هذه هي عقيدة الولاء والبراء ، التي لم يحسن تطبيقها كثير من الشباب الملتزم اليوم ، أما أهل الآهوء فإنهم لا يحسنون فهم تلك العقيدة ولاتطبيقها ، بل عندهم إفراطٌ في الحب والبغض ، فمن والاهم بكل ماهم عليه أحبوه ورفعوه وقربوه ولمعوه ، وإن كان لا يحمل من العلم إلا بصيصًا كمصباح راهب .

ومن خالفهم أبعدوه ورموه بكلمات السوء ، التي عن حملها الجبال تنوء، واختصروه في سيئاته وزلاته وهناته ، وأطاحوا بجميع حسناته، وإن كان من أعلم الناس وأفقههم وأزهدهم - فنعوذ بالله من الهوى والفضاضة - .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله -: (وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ، ولا يرضى لرضى الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون مع ذلك له شبهة دين ، إن الذي يرضى له ويغضب له إنه السُّنَّة ، وأنه الحق وهو الدين......).[٢]

وتأمل للقالوسي - رحمه الله - وقد كان شديد التعصب لسيبويه، قال له القاضي أبو عمرو يومًا : أخطأ سيبويه فكاد يجن ، ولم يقدر على جوابه لمكان منصبه ، فجعل يدور في المسجد ودموعه تنحدر وهو يقول : (أخطأ من خطأه) ولا يزيد .[٣]

---

(١) منهج الأئمة مع المخالف (ص ١٦٨) شرح الطحاوية .
(٢) منهاج السُّنَّة (٥/ ٢٥٦) .
(٣) منهج الأئمة مع المخالف (٤١٨) مختصًرا .

نعم إمامًا فقد اتزانه على غير عادته وما دفعه إلى هذا إلا غلوه في سيبويه.

وهو نفسه الذي دفع أبا حيان لأن يختلف مع شيخ الإسلام ابن تيمية بعد محبته له .

فقد كان أبو حيان يقول في ابن تيمية قبل اختلافه معه : (ما رأت عيناي مثل هذا الرجل) ، ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة ، ومما قال فيها :

قَامَ ابْن تيمية في نصر شِرْعَتِنَا فقام سيد تيم إذا عصت مُضَر
وأظهر الحق إذ أثاره أندرست وأخمد الشر إذا طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجئ بها أنت الإمام الذي قد كان يُنْتَظَرُ

ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه، وكان مما قال له : ماكان سيبويه نبي النحو ، ولا كان معصومًا بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعًا ، ما تفهمها أنت) ، فنافره أبو حيان وقطعه وذكره في تفسير البحر المحيط بكل سوء .[1]



(١) منهج الأئمة مع المخالف (٤١٨) مختصرا .

باب
مجالسة أهل البدع

محاذرة أهل الأهواء والبدع واجب وسلامة ، ومقاربتهم هلاك وندامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام ٦٨] .

وقال الله حاكيًا عن إبراهيم –عليه السلام – : ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم ٤٨] .

وقال الله حاكيا عن أصحاب الكهف : ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الكهف ١٦] .

أخي –طالب العلم– إعلم أن مجالسة أهل البدع شر محض لا يسلم جليسهم ، وإن كان سُنِّيًّا من خبثهم فهم الأمة الذين يتركون السُّنَّة إلى البدعة ، وَيَدَعُونَ الهدى، ويأتون الهوى ويرفضون الحق ، ويرغبون بالباطل وتجاهلوا المُحكم ، وأولعوا بالمتشابه ، فهم أهل الزيغ الذين سمى الله) .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران : ٧] .

ولقد أحسن وصفهم الإمام أحمد -رحمه الله-حيث قال : (هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه) .[١]

تحذير السلف منهم :

لم يدخر سلف الأمة جهدًا في التحذير من أهل الأهواء والبدع فهذا محمد بن كعب القرظي - رحمه الله - يقول : (لا تجالسوا أصحاب القدر، ولاتماروهم) .[٢]

وعن أبي الجوزاء قال : (لأن أُجالس الخنازير ، أحب إليَّ من أن أُجالس أحدًا من أهل الأهواء) .[٣]

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : (المرء بخدنه) .[٤]

قال أحمد ابن حنبل -رحمه الله - : (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السُّنَّة والجماعة فأرجه ، وإذا رأيته مع أهل البدع فايأس منه ، فإن الشاب على أول نشوئه) .[٥]

وقيل له : أرى رجلًا من أهل السُّنَّة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه ؟ ، قال : لا أو تُعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعه ، فإن ترك كلامه فكلمه ، وإلا فألحقه به) .[٦]

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٧٨) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٩٧) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٧٢) .
(٤) الآداب الشرعية (١/ ١٩٨) .
(٥) المرجع نفسه (٣/ ٤١٥) .
(٦) المرجع نفسه (١/ ١٩٨) .

وقال-رحمه الله -: (ولا تشاورأهل البدع في دينك ، ولاترافقه في سفرك) .[١]

قال ابن القيم - رحمه الله - : (إجتنب من يعادي أهل الكتاب والسُّنَّة لئلا يعديك خسرانه ، إحترز من عدوين هلك بهما أكثر الخلق : صاد عن سبيل الله بشبهاته وزخرف قوله ، و مفتون بدنياه ورئاسته) .[٢]

وتأمل معي أخي -رحمك الله - هذا الكلام الذهبي للإمام الذهبي -رحمه الله- حيث يقول : (إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول دعنا من الكتاب والأحاديث ، وهات العقل ، فاعلم أنه أبو جهل ، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول دعنا من النقل ومن العقل وهات الذوق والوجد ، فاعلم أنه إبليس ، قد ظهر بصورة بشر أو حل فيه ، فإن جبنت منه فاهرب وإلا فاصرعه وابرك على صدره ، واقرأ عليه آيه الكرسي واخنقه).[٣]

قال أبو زيد -رحمه الله- : (إحذر أبا الجهل) المبتدع الذي مسه زيغ العقيدة وغشيته سحب الخرافة يحكم الهوى ويسميه العقل ، ويعدل عن النص وهل العقل إلا في النص؟ ، ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح ويقال لهم أيضًا أهل الشبهات وأهل الأهواء ، ولذا كان ابن المبارك : - رحمه الله - يسمي المبتدعة بالأصاغر) .[٤]

واعلم - هديت- أن الرافضة والقدرية والجبرية والمعتزلة والمرجئة والجهمية والصوفية ، وأكثر متحزبي العصر وغيرهم من أهل الأهواء

(١) المرجع نفسه (٣/ ٤١٦) .
(٢) الفوائد (١١٢) .
(٣) شرح حلية طالب العلم (ص ١١٤-١١٧) .
(٤) شرح حلية طالب العلم (ص ١١٤-١١٧) .

والجدل، ومن بضاعتهم الفلسفة وعلم الكلام الذي لا يمت إلى الدين بصلة، جميعهم يحذرون، (فإنهم يوظفون للإقتناص المخاتلة سبلًا يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول ، وهو عسل مقلوب) .[١]

قال أحمد -رحمه الله - : (لا تجالس أصحاب الكلام ، وإن ذبوا عن السُّنَّة) .[٢]

قال الشيخ موفق الدين (إذا كان أصحاب النبي -ﷺ- ومن اتبع سنتهم في جميع الأمصار والأعصار ، متفقين على وجوب اتباع الكتاب والسُّنَّة ، وترك علم الكلام ، وتبديع أهله وهجرانهم ، والخبر بزندقتهم وبدعتهم ، وجب القول ببطلانه ، وألا يلتفت إليه ملتفت ، ولا يغتر به أحد) .[٣] .[٤]

فالله الله في أهل السُّنَّة فكن في ركابهم وزاحم ركبهم ، واشرب من عسلهم المصفى ، فإنهم عسل ولا تسل ، - والله الموفق والمعين - .



(١) شرح حلية طالب العلم (ص ١١٤-١١٧) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٧٣).
(٣) الآداب الشرعية (١/ ١٩٨) .
(٤) يعني: بطلان قول من أجاز الإستماع لأهل الكلام وغيرهم ، من أهل الأهواء ، والأخذ عنهم ومجالستهم.

الخاتمـة

تأتي هذه التذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، في وقت اختلطت فيه الأوراق ، وتشعبت السُّبل ، وهُجرت فيه الآداب الشرعيةً، والسُّنن المحمدية ، والأخلاق الإسلامية ، وجاء دور التلميع والتمييع ، والتنازل والرخاوة لدى كثير من أبناء الجماعات الإسلامية ، فوضعت هذه الروضة لبنةً بجانب لبنات ، وضعها من يكبرني علماً وفضلاً ، وسنًا تثبيتًا وترسيخًا لقدم طالب العلم الشرعي على الحق ، فلا يغالي ولا يجافي، وبثثت فيها الأدلة من الكتاب والسُّنَّة ، وأقوال سلف الأمة ، كي ينشرح الصدر ، وتستقيم الجوانح فتظهر على الجوارح .

ونثرت لك أيها الطالب الدر فانتقي ، وقربت لك المراقي فارتقي ، واحذر أن تكون كالدفتر يحكي عن الرجال ما صنعوا ، وليس له في الحياة صنعة ولا أثر .

وبعد مشوارك ورحلتك في هذه الروضة ، أظنك قد عرفت وجهتك، فابدأ المسير فصبيب المزن أوله قطره ، وعصف الريح مبدأه نسمه ، وصادق الوحي مبدأه رؤيا منام ، وبعده أبشر بخير فإن لأمة الإسلام من في السماء ، ولدين الله من في السماء ، ولاتيأس فإن اليأس موت ، والموت قبل الموت ذل وانهزام .

أخيـرًا:

على قدر اللحاف مددت ر جلي ولو طال اللحاف لها لطالت

قد عقلت فيها الناقة وبذلت الطاقة ، راجيًا من الله أن يستقيم بهذه الروضة الصدد ، وينفتح بها السدد ، ويتلاحق المدد ، وتنموا البذور ، وترسخ الجذور ، فتنشرح الصدور .[1]

إن شئت أن تحظى بجنت ربنا ... وتفوز بالفضل الكبير الخالد
فانهض لفعل الخيرواطرق بابه ... تجد الإعانة من إله ماجدِ
واعكف على هذا الكتابِ فإنهُ ... جَمَعَ الفَضَائِلَ جمع فَذٍ ناقدِ[1]
يهدي إليك كلامُ أفضل مرسلٍ ... فيما يقرب من رِضَاء الواحدِ
فـأدمْ قِـراءتَـهُ بِقلبٍ خالصٍ ... وادْع لِكَاتبِهِ وكُـلِّ مُسَاعِدِ

بدأت جمعه وإعداده في العشر الأول من شهر شوال ١٤٢٧هـ، وفرغت منه ضحوة يوم الأربعاء ، الخامس من شهر جماد الآخر ١٤٢٨هـ.

وكتبه / أبو البدر
عمر بن محمد بن صالح العمراني
غفر الله له ولوالديه ولذويه ولجميع المسلمين
اليمن - إب - مديرية ذي السفال
هاتف : (٧٧١٤٢٥١٦٠)

---

(١) ومع ذلك فلا أدعي فيه العصمة والكمال ، إذ الكمال لمن خُلق ظلومًا جهولًا محال، فمن وجد فيه عيبًا فليستر ولينصح ، ولا يهتك ولا يفضح .

بـالله يَـا قَـارِئًا كُـتُبِـي وَسَامِعَهَـا ... أَسْبِـلْ عَلَيْهَا رِدَاءَ الْحُكْمَ والْكَـرَمِ
وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَـاهُ مِنْ خَطَاءٍ ... أَوْ أَصْلِحَنْـهُ تُثَبْ إِنْ كُنْـتَ ذَا فَهَـمِ
وَكُلُّنَـا يَـا أَخِـي خَطَـآءُ ذُو زَلَـلٍ ... والْعُذْر يَقْبَلُـهُ ذُو الْفَضْـلِ والشِّيَمِ
فَكَمْ جَـوادٍ كَبَـا والسَّبْـقُ عَادَتُـهُ ... وَكَـمْ حُسَـامٍ نَبَـا أَوْ عَـادَ ذُو ثُلَـمِ

المراجـــــع

١- الأجوبة المفيـة ، صالح بن فوزان آل فوزان .

٢- الآخلاق بين الطبع والتطبع ، فيصل بن عبده قايد الحاشدي .

٣- الآداب الشرعية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي .

٤- إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسُّنَّة ،محمد صبحي حسن حلاق .

٥- الأصول من علم الأصول ،محمد بن صالح العثيمين .

٦- أعلام السُّنَّة المنشـورة ،حافظ أحمد حكمي .

٧- إعلام الموقعيـين ،للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .

٨- إغاثة اللهفان ،للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية .

٩- إقتضاء الصراط المستقيـم ،لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

١٠- إلى متى هذا الخلاف ؟ (شريط) ،محمد بن صالح العثيمين .

١١- تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء ،جمع وترتيب/ أحمد بن سليمان وأم صفية بنت محمد صفوت .

١٢- تحقيق معنى السُّنَّة ويليه منظومة الهدى ،للشيخ محمد سعيد صفر.

١٣- تحكيم القوانين ،محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

١٤- تذكـرة الحفـاظ ،للإمام الحافظ الذهبي .

١٥- تزكيـة النفـوس ،للدكتور / أحمد فريد .

١٦- تفسيــر ابن جرير الطبري ،للإمام ابن جرير الطبري .

١٧- تفسير القرآن الكريـم ،للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير .

١٨- التقييـد والإيضاح،للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي .

١٩- التمهيـد ،للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي .
٢٠- تهذيـب التهذيب ،ابن حجر العسقلاني .
٢١- تهذيـب مدارح السالكين،للإمام ابن قيم الجوزية،إعداد/ صالح أحمد الشامي
٢٢- التوحيد للناشئة والمبتدئين ، للدكتور / عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
٢٣- تيسير الكريم الرحمن ،عبد الرحمن بن ناصر السعدي .
٢٤- جامع بيان العلم وفضله،للإمام ابن عبد البر القرطبي .
٢٥- الجامع لآداب الرواي والسامع،للإمام الخطيب البغدادي .
٢٦- الجماعات الإسلامية ،سليم بن عيد الهلالي .
٢٧- حرمة أهل العلم ،محمد بن إسماعيل المقدم .
٢٨- حقوق النبي -ﷺ- ، إعداد / فيصل بن على البعداني .
٢٩- حكم الإنتماء بكر بن عبد الله أبو زيد .
٣٠- الداء والدواء للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية.
٣١- دواء القلوب، محمد بن عبد الرحمن بن عباد الحنبلي .
٣٢- الرحيق المختـوم ، صفي الرحمن المباركفوري .
٣٣- رسالة أخوية ، فيصل بن عبده قايد الحاشدي .
٣٤- رفع الملام عن الأئمة الأعلام،لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
٣٥- رفقا بأهل السُّنَّة، عبد المحسن العباد البدر .
٣٦- روضة العقلاء ، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان .
٣٧- زاد المعـاد ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية.
٣٨- زبدة التفسيـر، محمد بن سليمان الأشقر .
٣٩- سوء الخلق ، محمد بن إبراهيم الحمد .

٤٠- سير أعلام النبلاء، للإمام الحافظ الذهبي .

٤١- شرح الأصول الثلا ثة ، محمد بن صالح العثيمين .

٤٢- شرح حلية طالب العلم ، محمد بن صالح العثيمين.

٤٣- شرح الرحبية ، سبط المارديني .

٤٤- شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين .

٤٥- شرح الطحاوية ، للإمام ابن أبي العز .

٤٦- شرح لمعة الإعتقاد ، محمد بن صالح العثيمين.

٤٧- الشرح الممتع ، محمد بن صالح العثيمين.

٤٨- الصحوة الإسلامية ، محمد بن صالح العثيمين.

٤٩- صفة صلاة النبي -ﷺ- ، محمد بن ناصر الدين الألباني .

٥٠- صيد الخاطر ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي .

٥١- طريقنا للقلوب ، فيصل بن عبد قائد الحاشدي.

٥٢- العقيدة الإسلامية ، محمد بن جميل زينو .

٥٣- عقيدة التوحيد ، صالح بن فوزان آل فوزان .

٥٤- العقيدة الطحاوية ، لأبي جعفر الطحاوي .

٥٥- عودة إلى السُّنَّة ، علي بن حسن عبد المجيد .

٥٦- فتاوى ابن باز ، للإمام عبد العزيز ابن عبد الله بن باز .

٥٧- فتاوى الحرم المكي ، محمد بن صالح العثيمين.

٥٨- فتح الباري ، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني .

٥٩- فتح القدير ، للإمام محمد بن على الشوكاني.

٦٠- فتح المجيد ، للعلامة / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

٦١- ففروا إلى الله، لأبي ذر القلموني .

٦٢- فقه الواقع ، ناصر العمر.

٦٣- فن الحوار ، فيصل بن عبد قائد الحاشدي.

٦٤- الفوائد ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية .

٦٥- قواعد في التعامل مع العلماء ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

٦٦- كتاب العلم ، محمد بن صالح العثيمين.

٦٧- لماذا اخترت المنهج السلفي نهج السلفي ؟ سليم بن عيد الهلالي.

٦٨- مجموع فتاوى ابن تيمية ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٦٩- المختار في شهر رمضان ، لمجموعة من طلبة العلم في القصيم ، ترتيب عبد الرحمن القرعاوي .

٧٠- مختصر الإيمان الأوسط ، لشيخ الإسلام أحمدبن عبد الحليم بن تيمية .

٧١-مختصر شرح الطحاوية،للإمام ابن أبي العز،اختصره/ أبومحمد عصام بن مرعي

٧٢- مختصر منهاج القاصدين،للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي .

٧٣- مصطلح الحديث ورجاله ، حسن محمد مقبول الأهدل .

٧٤- المعجم الوسيط ، لمجموعة من مشايخ اللغة.

٧٥- مفتاح دار السعادة ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية .

٧٦- منهاج السُّنَّة ، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٧٧- المنهج السلفي للألباني ، عمرو عبد المنعم سليم .

٧٨- الموافقات ، للإمام أبي إسحاق الشاطبي.

٧٩- ميزان الإعتدال ، للإمام الحافظ الذهبي.

٨١ -نزهة النظر ، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني .

٨٢- الهمة طريق إلى القمة ، محمد بن حسن بن عقيل موسى .

الفهرس



من أحدث اصدارات دار الإيمان

فوائد
مدارج السالكين
بين منازل
إياك نعبد وإياك نستعين

للإمام العلامة ابن قيم الجوزية

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه



